





قصيدة ناول  
صالحه

فوزي السيف

# حقوق الطبع محمولة

الطبعة الأولى  
٢٠٢٠م



أطيف للنشر والتوزيع  
Atiyaf For Pub. & Dist.

المملكة العربية السعودية - القطيف - تلفاكس : 00966138549545  
a t y a f . q a t i f @ g m a i l . c o m

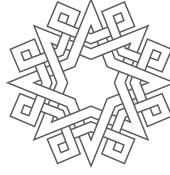
الإخراج الطباعي



mojaded@gmail.com

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ .





## بين يدي القارئ

هل هو كتاب عن قصص الأنبياء؟ وهل يتعرض إلى معاجزهم وكراماتهم؟ ليس كذلك وإن كان لا يخلو من قصص بعض الرسل والأنبياء وسيرتهم!

في الأساس فكرة هذا الكتاب أنه يقسم الديانات الموجودة بين البشر إلى ثلاثة أقسام؛ ما كان منها سماوي المنشأ بالتحقيق والتأكيد، وما كان يتعامل معه على أنه كذلك ولذا تلحق أتباعه أحكام أصحاب الديانات السماوية، وما لم يعلم أن له منشأ سماوياً، أو علم بعدم منشأ سماوي له، ومن القسم الأول يتعرض الكتاب بالبحث عن اليهودية والمسيحية والإسلام، فيتعرف على نبي الله موسى عليه السلام ومسيرة حياته، وأيضاً على كتاب اليهود التوراة، والتحريف الذي حصل له من بعد موسى عليه السلام، وأيضاً يتناول حياة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويشرح المشكلة التي تعترض الديانة المسيحية في انعدام الكتاب السماوي!! الأصلي، من جهة وتعرض هذه الديانة لتغيير عميق في أصولها وإدخال عقائد غريبة عنها عليها! وأخير يثالث بالإسلام فيتناول حياة سيد الأنبياء محمد عليه السلام في أهم مراحلها ثم يلقي نظرة على دين الإسلام ومبادئه من الداخل ولا ينسى أن يتعرض لتاريخ المذاهب وجغرافية الأمة الإسلامية المعاصرة.. هذا كله في الحديث عن القسم الأول. وأما القسم الثاني فيتعرض إلى ديارتين يتعامل معهما على أنهما سماويتان بالرغم مما قد يكون طراً عليهما خلال هذه المدة الزمنية من الضياع

والتغيير وهما الصابئة والمجوس ويتعرض إلى حياة النبي الشهيد يحيى بن زكريا الذي يُعظَّم غاية التعظيم في الصابئة. وفي القسم الثالث يتناول الديانة البوذية المنتشرة في قارة آسيا ويعرض لشيء من حياة مؤسسها بوذا مشيرًا إلى أنه لا يوجد ما يدل على انتمائها للوحي والنبوة ويناقش بعض الوجوه التي قدمت لإثبات ذلك، وكذلك يتعرض للهندوسية المنتشرة في الهند باعتبارها أكبر الأديان هناك ويسلط الضوء على بعض أفكارها في الكون والانسان.

هذه فكرة الكتاب، لكن ليست كله! فإن الكتاب قد تناول خريطة سريعة لبعض الرسل والأنبياء المعروفين من زمان أبي البشر آدم إلى نبينا الخاتم المصطفى محمد ﷺ، وعرض لشيء من قصة الخليفة مع الحديث عن آدم النبي أبي البشر، ولأن الكتاب حول الديانات فكان مهمًّا أن يتناول الحاجة للدين في عصر العلم الذي يعيشه العالم لا سيما وأن هناك من يتوهم بأن الحاجة للدين قد انتهت بالدخول في عصر العلم.

وقد لاحظ الكتاب بأن هناك مشتركات بين الديانات السماوية وبينها لكن ذلك لا يعني قبول التعددية الدينية بالمعنى العقائدي الذي يرى أن التعبد بأي دين من هذه الأديان مقبولٌ وموصلٌ لله، فهذه فكرة لا تصح بما أقيم في الكتاب من الأدلة على خطئها، نعم هي صحيحة بالمعنى الاجتماعي وهو القبول بالتعايش بين أبناء الديانات في المجتمع الواحد وألا يتحول الاختلاف بينها إلى احتراب بين أتباعها!

ولأن شيخ الأنبياء ابراهيم ﷺ هو الجامع المشترك الذي تتشرف بالانتماء إليه الديانات السماوية وأتباعها فقد تم الحديث عن شخصيته وسيرته وعن صحفه وشريعته أيضا!

ستجدون - أعزائي القراء عزيزاتي القارئات- في النهاية فهرسا شبه مفصل لمواضيع الكتاب للاطلاع على مواضيعه وما ذكرته إنما كان خارطة لهذا الكتاب،





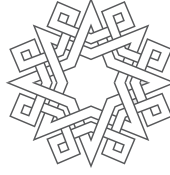
كما ستجدون شكرًا للإخوة الفضلاء والأخوات الفاضلات الذين ساهموا وساهمن  
مساهمة فعالة في أن يكون هذا الكتاب كما هو بين أيديكم الآن.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

تاروت - القطيف

١٤٤١/١١/٢٣ هـ





## خريطة الرسل بين آدم ﷺ والمصطفى ﷺ

نتناول في هذه الصفحات فهرستاً سريعاً يمر على حياة بعض المرسلين الذين ذكرهم القرآن الكريم وأشار إليهم، وسنفضل القول في بعضهم ممن يرتبط بدور استثنائي أو رسالة عالمية عند الحديث عن رسالتهم وديانتهم أو دورهم المتميز.

ونقدم لذلك بمقدمات عامة:

### الأولى: التطور العقلي للبشرية

من الواضح الذي لا يحتاج إلى بيان وبرهان أن مسار البشرية هو في حالة تكامل وترقٍ علمي وعقلي من مرحلة إلى مرحلة، ويستطيع أي ناظر أن يلحظ التطور العلمي للبشر المتزايد عصرًا بعد عصر، بل يجده كل إنسان في عمره العادي ما بين أوائل العمر ومنتصفه، والبشرية هي بهذا النحو في تقدمها وتطورها.

هذه الرؤية تقتضي أن تكون الرسائل السماوية غير ثابتة على مستوى واحد وإنما تخاطب البشرية بحسب مراحلها المتطورة. فما كان من المعارف والعقائد في أيام نبي الله

إبراهيم يختلف عما وصل إليه البشر أيام النبي موسى ﷺ، وهو بلا شك مختلف عما سيصير إليهم ويصل إليهم أيام خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

من هنا يعتقد المسلمون بأن الرسائل المتأخرة واللاحقة ناسخة لما قبلها من الرسائل، ومهيمنة عليها، وهذا لا يعني بطلان تلك السابقة في وقتها وزمانها وإنما المقصود كما سيأتي في بعض الصفحات أن تاريخ صلاحيتها قد انتهى، مع استيفاء أغراضها.

### الثانية: ماذا يعني نسخ الرسائل؟

لا يعني نسخ الرسالة السابقة بالرسالة اللاحقة أن تُرفع أحكامها بالكلية وتبطل، مثلاً لو كانت الأمانة في شريعة موسى جيدة ومطلوبة، والسرقه محرمة، فلا يعني النسخ أن الإسلام يرفع مطلوبة الأمانة، وحرمة السرقه، وإنما يعني النسخ - فيما يعني - أنه تكميل مع إطار اعتباري جديد.

ولنضرب مثلاً يوضح المطلوب؛ فلو أن دولة من الدول لها شبكة مواصلات من جسور وشوارع، وشبكات تعليم من مدارس وجامعات، ونظام صحي من مستشفيات ومراكز، وتدار بنظام حكم معين، ثم تغير هذا الحكم بانقلاب أو احتلال أو انتخابات أو غير ذلك، وألغي النظام السابق فهذا لا يعني تعطيل البنية التحتية المذكورة للدولة، أو تخريب تلك المؤسسات وإنما يعني أن الاعتبار السابق الذي كان يستند إلى شخص حاكم أو مجموعة حكومة قد انتهى! فالأوامر للحاكم السابق أو حكومته لم تعد نافذة والخطط والقرارات ليست ملزمة، وإنما النافذ والملزم هو ما تقرره الحكومة الجديدة والحاكم الجديد.

وما يقوم به العاملون هو غير مستند إلى حاكمهم ومديرهم السابق وإنما هو إلى



الحاكم والمدير الجديد. وهناك قرارات جديدة لم تكن في السابق قائمة، بل ما كان في السابق هناك تكميلات عليه وإضافات وشروط.. وبعض ما كان مقررا في السابق أصبح غير سارٍ بل غير مطلوب، بل إن الحاكم السابق أو المدير السابق لو كان باقيا فإنه هو بنفسه يخضع لهذه البرامج الجديدة<sup>(١)</sup> فضلا عن غيره... وهكذا.

وهذا مثال تقريبي. ومثلما أن المراكز التعليمية والصحية وشبكات المواصلات لا تهدم فكذلك هي الخطوط العامة المشتركة بين الرسائل كالإيمان بتوحيد الله والمعاد والبرامج الأخلاقية والأصول العبادية وغيرها، فإنها لا تحذف! وإنما تتغير وتتطور في أشكالها وتفصيلها.

إن مقتضى التطور العقلي والعلمي للبشر هو أن يتم التدرج في الرسائل وأن تأتي اللاحقة مكملة للسابقة وتنسخها، مثلما أنه في هذه الأيام عندما يتم اصدار تطبيق معين أو نظام تشغيل فإنه بعد مدة من الزمان لضرورات تطويره يُنسخ، وهو هنا في نفس الوقت الذي يحافظ على أرضيته الأولى فإنه -بعد تحديثه- لا يكون صالحا

(١) المقرئزي، تقي الدين: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ١١٧/٣: عن جابر عن عمر بن الخطاب قال: «أتيت النبي ﷺ ومعى كتاب أصبته من بعض أهل الكتاب فقال: والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حيًّا اليوم ما وسعه إلا أن يتبعني».

وبتفصيل أكثر الأحمدى الميانجى في مكاتيب الرسول ٥٤٤ قال: وفي رواية أخرى: «أنه مر برجل وهو يقرأ كتابًا فقال للرجل: أتكتب لي من هذا الكتاب؟ قال: نعم، فاشترى أديما فهناه ثم جاء إليه فنسخه له في ظهره وبطنه، ثم أتى به إلى رسول الله ﷺ يقرأه عليه، وجعل وجه رسول الله ﷺ يتلون، فضرب رجل من الأنصار بيده الكتاب - قيل هو عبد الله بن ثابت - وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اليوم وأنت تقرأ عليه هذا الكتاب؟! وفي نص تاج العروس: «قال له عمر: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها فقال: أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي».

للمرحلة اللاحقة، ولا يتعامل مع معطياتها.

التدرج هو نفسه يعطي معنى النسخ - بالمعنى الذي تقدم ذكره - فإنه ما دام أن الأنبياء قد أمروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، فلا بد أن يخاطبواهم بغير ما تمت مخاطبة سابقهم ممن كانت عقولهم وعلومهم في درجة مختلفة!!

## خريطة الأنبياء والرسول

مع ملاحظة أن القسم الأعظم من المرسلين لم يذكروا حتى بأسمائهم فضلا عن قصصهم ورسالاتهم، كما أخبر القرآن الكريم ﴿وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصُهُمْ عَلَيْكَ﴾<sup>(١)</sup>، بل لا يشكل الذين ذكروا في القرآن إلا العدد الأقل. فإننا سوف نتعرض باختصار لما قيل ويقال في شأن التسلسل الرسالي.

سنلاحظ ملاحظة لم نجد لها تفسيرًا واضحًا وهي تفاوت أعمار الرسل بشكل كبير، ففيما قيل أن النبي آدم عمر ما يقارب الألف سنة، كان عمر النبي سليمان والمصطفى محمد ﷺ فوق الستين سنة، وفيما ذكر عن نبي الله نوح أنه (لبث في قومه) تسعمائة وخمسين سنة، والبعض يقول هذا جزء من عمره وليس كامل مدة عمره، كان داود من أبناء ثمانين سنة كما قيل، وتوسط النبي إبراهيم ﷺ - كما ذكرت بعض المصادر - بما يقارب المائتي سنة! ومثله ذكر في شأن النبي ادريس أنه عندما رفع كان من أبناء الثلاثمائة وخمس وستين سنة<sup>(٢)</sup>!

ولم نعثر على جواب واضح لهذه الملاحظة!

بعض المخططات في تسلسل الأنبياء تذكر هذا التسلسل:

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) الصحاري؛ سلمة: الانساب ١٦/١.



## ١. النبي آدم

أبو البشر ﷺ، هو في رأس القائمة وأولها، وبناء على أن بداية هذه السلسلة البشرية كانت قبل أقل من عشرة آلاف سنة، فإن بداية بعثته يفترض أنها كانت سنة ٨٠٠٠ قبل ميلاد المسيح.

ذكرت قصته في القرآن في أصل خلقاته وكونه في الجنة ثم هبوطه إلى الأرض واصطفاء الله له ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾<sup>(١)</sup> وقصة أبنائه في مواضع متعددة، وسيأتي الحديث عنه.

لم يحدد القرآن الكريم أماكن جغرافية لرسالاته ولا لمحور دعوته، ولا مكان دفنه لكن في السيرة وما روي عن المعصومين ﷺ أنه كان موجوداً في مكة في فترات معينة، وأن البناء الأول للكعبة كان بواسطته، وأنه حصل التعارف بينه وبين حواء بعد الهبوط في عرفات، وفي بعضها الآخر ذكر لكونه قد صار إلى الهند وسريلانكا! وتحدد بعض هذه الروايات مكان مدفنه أنه في الغري المعروف بالنجف الأشرف<sup>(٢)</sup>، كما تقرأ في زيارة أمير المؤمنين ﷺ (السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح).<sup>(٣)</sup>

## ٢. النبي شيت (شيث) بن آدم

وهو وصي أبيه<sup>(٤)</sup> ووارثه، ويذكر في أحواله أنه كان مقيماً في مكة المكرمة، وأنه بنى

(١) مريم: ١٢٢.

(٢) حرز الدين؛ عبد الرزاق: تاريخ النجف الأشرف ١/ ٣٣٠.

(٣) الحسن بن سعيد؛ السيد ابن طاووس: الإقبال بالأعمال الحسنة - ط الحديثة ٣/ ١٣٥.

(٤) الطبري، ابن جرير: تاريخ الرسل والملوك ١/ ١٠٣ عن مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَدَمَ الْوَفَاةَ- فِيمَا يَذْكُرُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ- دَعَا ابْنَهُ شَيْثًا فَعَهَدَ إِلَيْهِ عَهْدَهُ، وَعَلَّمَهُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَعْلَمَهُ عِبَادَةَ الْخَلْقِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْهُمْ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ لِكُلِّ سَاعَةٍ صِنْفًا مِنَ الْخَلْقِ فِيهَا عِبَادَتُهُ وَقَالَ لَهُ: يَا بَنِيَّ

الكعبة بالحجارة والطين، وجمع ما أنزل إليه من الصحف وهي خمسون صحيفة. ويشار إليه كثيراً في روايات أهل البيت عليهم السلام باعتبار أنه صاحب الوصية بعد أبيه آدم، ضمن ما يقرره أئمة أهل البيت من أن الأرض لا تخلو من حجة وأنه لا بد من الوصية إليه من النبي أو الامام السابق عليه. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه نزل عليه جبريل وأخبره: «إنه نجا من ذرية آدم من تولى شيث بن آدم وصي أبيه آدم بشيث، ونجا شيث بأبيه آدم، ونجا آدم بالله»<sup>(١)</sup>. ويذكر أنه توفي وعمره (٩١٢) سنة. وأنه دفن في جبل أبي قبيس.

يفترض أن تناسل البشر وبقاءهم راجع إلى النبي شيث وهو هبة الله، فإنه وهبه لآدم بعدما قتل قابيل الشقي هايلل التقي، فلم يخلف هايلل أحداً كما أن أبناء قابيل كما روي اتجهوا اتجاهاً فاسداً منحرفاً فكان نهاية أمرهم أن عمهم طوفان نوح وكانوا فيه من المالكين، فكانت هبة الله لآدم النبي متمثلة في ابنه شيث (شيث)، الذي كان وصي أبيه ووارثه والامتداد الصالح من ذريته ومنهم أوصياء ثم النبي العظيم نوح عليه السلام.

يتحدث الصابئة الذين يؤمنون بالله عن شيث كأحد أعظم الأنبياء، بل ربما نسبوا ديانتهم في بدايتها إليه، ويعتقدون بصفحه، ولذلك يرون أن دينهم هو أقدم وأول الأديان التوحيدية كما سيأتي فيما بعد.

إِنَّ الطُّوفَانَ سَيَكُونُ فِي الْأَرْضِ يَلْبُثُ فِيهَا سَبْعَ سِنِينَ وَكَتَبَ وَصِيَّتَهُ، فَكَانَ شِيثٌ - فيما ذكر - وصي أبيه آدم عليه السلام، وَصَارَتِ الرِّيَاسَةُ مِنْ بَعْدِ وَفَاةِ آدَمَ لِشِيثٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله خَمْسِينَ صَحِيفَةً.

أقول على فرض صحة الخبر لا بد من توجيهه في موضوع عبادة الخلق أن يقال أن المقصود هنا الخلق بالإضافة إلى البشر وإلا فمن غير المحتمل أن لا يعرف النبي شيث وصي آدم عن أوقات عبادة البشر طول هذه المدة! وكذلك لا بد من التأمل المذكورة في مدة الطوفان.. والذي يهون الخطب أن الرواية هي من غير نسبة لمعصوم!

(١) لطبري الصغير، محمد بن جرير: دلائل الإمامة - ط مؤسسة البعثة ١/٥٦.





ويتلو شيثُ ابناؤه وأحفاده أنوش ثم قينان ثم مهلائيل ثم يارد (يارت): وهؤلاء لا نجد في المصادر الإسلامية شيئاً كثيراً عنهم<sup>(١)</sup> سوى ما يفترض من أنهم حملوا رسالة آبائهم وواصلوا خط التوحيد والهداية للناس. ومن أبناء يارد وأحفاد آدم:

### ٣. النبي إدريس (إخنوخ) ﷺ

وهو سادس السلسلة النبوية من أبناء آدم؛ ومما يذكر في شأن النبي إدريس الذي وصف في القرآن بـ ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا \* وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> أن له كتاباً لا يزال باقياً إلى اليوم ويسمى بسفر أخنوخ، وقد ذكر بعض المحققين<sup>(٣)</sup> أن هذا السفر والذي توجد نسخة منه على الانترنت أيضاً، تعترف به الكنيسة الحبشية وتعتمد عليه، بخلاف الكنيسة الكاثوليكية التي وإن كانت تراه من جملة التراث النبوي الواصل من الأنبياء السابقين لكنها لا تعتمد ما جاء فيه.

(١) المجلسي؛ الملا محمد باقر: بحار الأنوار ٢٨١ / ١١ قال ابن عباس: ولد شيث أنوش ومعه نفراً كثيراً وإليه أوصى شيث، ثم ولد لأنوش ابنه قينان بعد مضي تسعين سنة من عمر أنوش، وولد معه نفراً كثيراً وإليه الوصية، وولد قينان مهلائيل وولدا كثيراً معه، وإليه الوصية، وولد مهلائيل يرد - وقيل: يارد - ونفراً معه وإليه الوصية، فولد يرد خنوخ وهو إدريس النبي ونفراً معه وإليه الوصية.

وعبد الرحمن السهيلي؛ هامش الروض الآنف؛ شرح السيرة النبوية لابن هشام تحقيق الوكيل ٧٦ / ١: وعاش أنوش بن شيث بن آدم تسعين سنة وولد قينان، وعاش أنوش بعد ما ولد قينان ٨١٥ سنة.. وعاش قينان سبعين سنة، وولد مهلائيل؛ وعاش قينان بعد ما ولد مهلائيل ٨٤٠ سنة ويذكر الطبري أن قينان هو: ابن يانش بن شيث بن آدم، وفي مكان آخر أن قينان هو ابن أنوش بن شيث، وفي مكان آخر ص ١٠٧ ج ١ أن قينان بن أرفخشذ.

(٢) مريم: ٥٧.

(٣) السيد سامي البدري في لوحة ميثاق النبیین، إصدار مركز تراث النجف الحضاري والديني - العراق

ويبدو أن هذا النبي العظيم يحتاج إلى إعادة دراسة لدوره المهم، حتى ليكاد يقرن بأعظم الأنبياء والمرسلين، لكنه وسيرته غائب عن الذاكرة الدينية لدى المؤمنين، وإذا صح ما نقل عن سيرته في كتب المسلمين، فسيتجلى الدور الكبير الذي اضطلع به سلام الله عليه.

١. أول من كتب بالقلم: إن الدور الذي يلعبه القلم في بناء الحضارة الإنسانية جعلت الباري سبحانه يقسم به في سورة سميت بهذا الاسم. بل إنه تم الحديث عن إمضاء أقدار الله وقضائه وأحكامه بعدما أمر الله القلم أن يكتب! وبالرغم من أن هذه في الغالب إشارات لحقائق أكثر مما تكون مصاديق لما نعرفه عند البشر، إلا أن ذلك يؤكد ما قلنا من دور القلم.

ومن أوضح أدوار القلم أنه الوسطة التي بها يحتفظ بالعلم البشري والتجربة الإنسانية من جيل إلى آخر. كانت بداية هذا الدور منوطة بالنبي ادريس فيما نقل في مصادر المسلمين، فإنه روي عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْقَلَمِ إِدْرِيسُ»<sup>(١)</sup>.

٢. كما أنه بحسب ما ورد في الروايات كان (خيّاطاً)<sup>(٢)</sup>، بل أول من خاط الثياب، ولعل كونه خياطاً يضيء لنا فكرة مهمة وهي: تعليم الله سبحانه للإنسان إدارة شؤون حياته، فإن قسما من إدارة حياة الإنسان تعرف عليها الناس من خلال التجربة، لكن قسماً آخر كان لا بد أن يتعلمها الإنسان من خالقه عبر أنبيائه ورسله، ومن ذلك ما ذكره القرآن من أن الله (علمه البيان)، فقد يكون

(١) المجلسي؛ بحار الأنوار ١١ / ٢٧٠ عن مجمع البيان للطبرسي.

(٢) البروجردي، السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة ٤ / ٥٥٢ ذكر فيه (مسجد السهلة)...أما علمت أنه موضع بيت إدريس النبي ﷺ الذي كان يخيط فيه ومنه سار إبراهيم ﷺ إلى اليمن بالعمالق، ومنه سار داود إلى جالوت.



أمر الخياطة أيضاً مما علمه الله للناس من خلال الأنبياء..

وقد يكون ما أشار إليه القرآن من أن آدم وحواء لما بدت لهما سوءاتهما (وَوَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ)<sup>(١)</sup> قد عرفنا الطريقة الأولى للبشر في الستر، ثم تطورت باستعمال الجلود، وقال بعض الكتاب أن غاية ما كان يصنعه الناس حينها أنهم كانوا يسترون العورتين بالجلود، إلى أن تطورت البشرية إلى لبس المخيط، وهنا تأتي أهمية معرفة الخياطة التي جاء بها ادريس النبي.

٣. ويظهر من بعض المصادر أنه كان يقوم بخطوات مهمة في التنظيم الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع، فقد قيل إنه أظهر الأوزان والأكيال وأنار علم النجوم<sup>(٢)</sup>.

وينقل الري شهري عن كتاب القفطي؛ إخبار العلماء بأخبار الحكماء بأن إدريس لما خرج من بابل وقصد مصرا وأقام فيها بمن هاجر معه من المؤمنين «رسم لهم تمدين المدن، وجمع له طالبي العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنية وقرّر لهم قواعدها، فبنت كل فرقة من الأمم مدناً في أرضها... وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم؛ فإن الله عزّ وجلّ أفهمه سرّ الفلك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه وأفهمه عدد السنين والحساب، ولو لا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها إلى ذلك. وأقام للأمم سنناً في كل إقليم تليق كل سنة بأهلها، وقسم الأرض أربعة أرباع...»<sup>(٣)</sup>.

وبالرغم من أن العلامة الطباطبائي في الميزان رأى أن هذه الأحاديث لا يعول عليها كل التعويل، لكونها تنتهي إلى ما قبل التاريخ «غير أنه ذكر أن بقاء ذكره الحي

(١) الأعراف: ٢٢.

(٢) النوري؛ أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب ١٣ / ٣٨.

(٣) الري شهري؛ المحمدي الشيخ محمد: ميزان الحكمة ١١ / ٢٧٣.

بين الفلاسفة وأهل العلم جيلاً بعد جيل وتعظيمهم له واحترامهم لساحته وإنهاءهم أصول العلم إليه يكشف عن أنه من أقدم أئمة العلم الذين ساقوا العالم الإنساني إلى ساحة التفكير الاستدلالي والإمعان في البحث عن المعارف الإلهية أو هو أولهم (عليه السلام) (١).

٤. محيط رسالته ودعوته، كما يظهر من الروايات كان: بابل وما يتصل بها من مناطق الجنوب في العراق وورد ذكر هجرته عن نهر يفترض أنه الفرات إلى منطقة أخرى فيها نهر كبير والتصريح بأنها مصر، ولا نعلم هل كان سبب الهجرة هو التبليغ لدعوة الله تعالى من منطقة لأخرى؟ أو أن ظروفًا حصلت في بابل اقتضت منه الهجرة والنزوح وإلا فقد كان موضعه الاعتيادي في ما صار فيما بعد (مسجد السهلة) كما جاء في رواية عن الامام الصادق (عليه السلام) مرت أنفا في الهامش.

٥. ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: بعد (٣٦٥) من السنوات، انتهت مدة بقاء النبي ادريس على الأرض وذكر القرآن الكريم مصيره بعد ذلك، فقال ورفعناه مكانا عليا؛ وهذه تحتل معنيين فمن الممكن أن تكون ناظرة إلى أن النبي ادريس لم يمت وإنما رفع إلى السماء -المكان العلي- مثلما سيحصل فيما بعد للنبي عيسى بن مريم ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، ولعل هذا الرأي هو الذي يظهر من بعض المفسرين كما نقله الطبري في تفسيره، وابن كثير اعتمادًا على بعض الأحاديث من مصادر أهل الكتاب، واختاره الفخر الرازي في تفسيره (٢).

والقول الثاني: أن الرفع هنا يقصد به رفع المنزلة والشأن مثلما في قول الله تعالى

(١) الطباطبائي؛ السيد محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ١٤ / ٧٣.

(٢) الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب ٢١ / ٢٣٣.



مخاطبًا نبينا محمدًا ﷺ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾<sup>(١)</sup> وقد أشار العلامة الطباطبائي إلى القولين من دون ترجيح أحدهما صراحة حيث قال: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ من الممكن أن يستفاد من سياق القصص المسرودة في السورة وهي تعد مواهب النبوة والولاية وهي مقامات إلهية معنوية أن المراد بالمكان العلي الذي رفع إليه درجة من درجات القرب إذ لا مزية في الارتفاع المادي والصعود إلى أقاصي الجو البعيدة أيها كان.

وقيل: إن المراد بذلك - كما ورد به الحديث - أن الله رفعه إلى بعض السماوات وقبضه هناك، وفيه إراءة آية خارقة وقدرة إلهية بالغة وكفى بها مزية<sup>(٢)</sup>.

وكان بعد ادريس ابنه لامك وحفيده متوشلخ ثم بعدهما:

#### ٤. النبي نوح ﷺ

والمعروف أنه أول الرسل من أولي العزم وأصحاب الرسالات العالمية، ويظهر أن موضع رسالته كانت في بلاد وادي الرافدين، وكان قد لبث في قومه تسعمائة وخمسين سنة، وعندما يذكر يتبادر إلى الأذهان قصة الطوفان العظيم.

وقد قص القرآن الكريم قصة نوح في سور كثيرة وأفرد له سورة باسمه، وتعرض في تلك السور إلى قصة الطوفان وبناء السفينة ونجاة المؤمنين معه وحمله الحيوانات من كل زوجين اثنين، لكن لم يصرح القرآن الكريم بأن الطوفان هل كان عامًا لكل الكرة الأرضية وأهلها أو كان في منطقة معينة من الأرض دون باقي مناطقها؟

لذلك اتجه العلماء إلى رأيين: الأول يقضي بأن الطوفان كان عامًا لكل الأرض

(١) الشرح: ٤.

(٢) الطباطبائي؛ الميزان ١٤ / ٦٤.

وأهلها، وهو الذي يظهر اختياره من السيد الطباطبائي في الميزان، واستشهد لذلك:

١. بأن عموم دعوته ﷺ يقضي بعموم العذاب، وهو نعم القرينة على أن المراد بسائر الآيات الدالة بظاهاها على العموم ذلك كقوله تعالى حكاية عن نوح ﷺ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾<sup>(١)</sup>، وقوله حكاية عنه: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢. وبأنه سبحانه وتعالى أمر نوحًا أن يحمل من كل زوجين اثنين فمن الواضح أنه لو كان الطوفان خاصًا بصقع من أصقاع الأرض وناحية من نواحيها كالعراق - كما قيل - لم يكن أي حاجة إلى أن يحمل في السفينة من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين اثنين. وهو ظاهر.

وفي المقابل فإن هناك من ذهب إلى كون الطوفان خاصا ولا دليل على عموميته لكل الأرض والمخلوقات.. واستشهد لذلك:

١. بأن كلمة (الأرض) في الآيات ليست نصا في الكرة الأرضية، فإن المعروف من كلام الأنبياء أن تذكر الأرض ويراد بها أرضهم ووطنهم وقوله تعالى حكاية عن خطاب فرعون لموسى وهارون: ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup> يعني أرض مصر، وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾

(١) نوح: ٢٦.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) الصافات: ٧٧.

(٤) يونس: ٧٨.



لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا<sup>(١)</sup> فالمراد بها مكة، وقوله: ﴿وَفَضَّيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup> والمراد بها الأرض التي كانت وطنهم، فإنهم لا يستطيعون أن يفسدوا في كل بلاد الأرض، وهكذا قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ فالحصر فيهم يجوز أن يكون إضافياً أي الباقين دون غيرهم من قومه.

٢. كما قيل أيضاً إن ظواهر الآيات تدل بمعونة القرائن والتقاليد الموروثة عن أهل الكتاب على أنه لم يكن في الأرض كلها في زمن نوح إلا قومه وأنهم هلكوا كلهم بالطوفان ولم يبق بعده فيها غير ذريته، وهذا يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من الأرض سهلها وجبلها لا في الأرض كلها إلا إذا كانت اليابسة منها في ذلك الزمن صغيرة لقرب العهد بالتكوين وبوجود البشر.<sup>(٣)</sup>

وبناء على الأول فإن بيئة الطوفان كانت كل الكرة الأرضية المأهولة على الأقل، وأما بناء على الرأي الثاني وهو ليس بالبعيد لما ذكر آنفاً ولكون دعوة نوح - وإن كان من أولي العزم - إلا أن الروايات لا تتحدث عن محيط أبعد مما يطلق عليه اليوم (الشرق الأوسط وبشكل أخص العراق وربما يشمل بعض أجزاء تركيا الجنوبية، ومركزه كان وسط العراق متجهاً للجنوب إلى أن يصل إلى مكة المكرمة) وهذا ما تشير إليه الروايات.<sup>(٤)</sup>

(١) الاسراء: ٧٦.

(٢) الاسراء: ٤.

(٣) الطباطبائي، الميزان ١٠ / ٢٦٤.

(٤) منها: أن التنور الذي فار منه الماء كان قرب مسجد الكوفة: وقد ورد ذلك في روايات مدرسة الخلفاء كما في الدر المنثور للسيوطي ٤ / ٤٢٢ وفي تفاسير الشيعة كالعباشي وغيره بل وفي بعضها كالكافي

وإذا كانت الروايات لا تشير إلى دعوة خارج هذه المنطقة، مما يعرف الآن مثلا بالمغرب العربي أو أفريقيا أو أوربا، هذا إذا كان فيها بشر في تلك الفترة، فإنه يقرب أن الطوفان الذي كان بمثابة العقوبة ينبغي أن يكون بمقدار<sup>(١)</sup> وفي دائرة العاصمين، فلا معنى لعمومه لكل الأرض التي لم يكن فيها بشر مثلا أو حتى لو كانوا لم يُدعوا ولم يصلهم التبليغ الالهي!

وقد أشار بعض الكتاب المصريين إلى ملاحظة هي أن التاريخ المصري القديم، بما يشمل الأساطير لا يُلاحظ فيه ذكر لموضوع الطوفان - باستثناء المصادر اليهودية التي لا تبتعد كثيرا عما ذكرنا أنفا ولا تذكر مصر - ولا يوجد في غيرها ما يدل على حصوله في مصر<sup>(٢)</sup>. وكأن الموقف الديني الرسمي في مصر<sup>(٣)</sup> يتوافق مع ما ذكر من كون الطوفان محدودا ودائرته في العراق.

وقد توفي نوح كما ذكروا بعد مضي ثلاثمائة وخمسين سنة على الطوفان، والمشهور على أن عمره كان تسعمائة وخمسين سنة كما يشير القرآن إلى ذلك، إلا أن هناك من ذهب إلى أن عمره كان ألفين وخمسمائة سنة، وأن ما ذكره القرآن كان مدة دعوته فيهم.

أن نوحا النبي نجر سفينته في مسجد الكوفة وأن منزل نوح كان غربي الفرات.. وأنه طافت السفينة بالبيت الحرام الذي أعتق من الطوفان والغرق، حتى حطت أخيرا على جبل الجودي، وهو بحسب التحقيقات يعادل مرتفعات هضبة النجف في العراق.

(١) أشار إلى ذلك المحقق السيد سامي البديري في بعض كلماته.

(٢) وفي مقابل هذا ذكر بعض الكتاب بأنه تم رصد مئات القصص والأساطير في تاريخ الشعوب المختلفة والمناطق ما يلحظ تأثيره بموضوع الطوفان.. ولم يتسن لي التأكد من هذا ولا من المعلومة التي سبقتها المرتبطة بالتاريخ المصري.

(٣) دار الافتاء المصرية؛ فتاوى: ٨ / ١٥٩ في جواب سؤال عن الأرض التي وقع عليها الطوفان، أجابت دار الافتاء المصرية بلسان المفتي عطية صقر في مايو ١٩٩٧: الأرض التي وقع عليها الطوفان في عهد نوح ﷺ هي أرض العراق وهناك مكان يزعم الناس أنه المنطقة التي بلعت الماء.





والمعروف بين الشيعة اعتمادا على روايات عن الائمة انه دفن في نفس البقعة التي دفن فيها أمير المؤمنين<sup>(١)</sup> ﷺ حيث ورد في زيارته (السلام عليك وعلى ضجيعك آدم ونوح).

### ٥. النبي هود ﷺ

الحفيد التاسع لنوح النبي هو هود ﷺ الذي بعثه الله لقومه في الأحقاف ﴿وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾<sup>(٢)</sup>، والأحقاف حاليًا تعادل المنطقة التي تمتد من ظفار جنوب عمان متجهًا إلى الغرب باتجاه حضرموت (اليمن الجنوبي سابقًا)، ويقال أن هناك آثارًا تدل على تلك المراحل الزمنية القديمة في المنطقة.

وتلخص الآيات في سور الأعراف قصته مع قومه هكذا: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ \* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ \* أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَيَّ مِنْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ \* فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا

(١) القمي؛ ابن قولويه: كامل الزيارات ١/ ٣٥؛ فيه عن الإمام جعفر الصادق: إِذَا أَرَدْتَ زِيَارَةَ أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّكَ زَائِرٌ عِظَامِ آدَمَ وَبَدَنِ نُوحٍ وَجِسْمِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

(٢) الأحقاف: ٢١.

كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

## ٦. النبي صالح عليه السلام

وقومه هم ثمود؛ قبيلة من القبائل العربية المتفرعة من أولاد سام بن نوح وقد تحدث القرآن الكريم عن قضية النبي صالح مع قومه في سورة الأعراف.

والنبي صالح هو أيضاً من أحفاد نوح ويفصله عن جده الأعلى عشرة آباء وهو صاحب معجزة الناقة - والفصيل - التي قتلها قومه بعد أن سأله إياها معجزة واشترط عليهم بعد ذلك أن لها شرباً ولهم شرب يوم معلوم، لكن لم يفوا بهذا الوعد ونقضوا الاتفاق، فعقروها فأصبحوا نادمين.

هذا النبي العظيم دعا قومه إلى مشتركات الأديان السماوية ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ \* فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ \* فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٢﴾، وكانت منطقة دعوته ما يعرف اليوم بمدائن صالح والتي عبّر عنها في القرآن الكريم باسم (الحجر)، وتقع في أطراف المدينة المنورة تبعد عنها حوالي ٢٥٠ كيلو متر، وآثارها لا تزال قائمة.

(١) الأعراف: ٦٥ - ٧٢.

(٢) الأعراف: ٧٣ - ٧٨.



## ٧. النبي إبراهيم ﷺ

بطل التوحيد وشيخ الأنبياء، والذي امتدت النبوة والإمامة في أسرته من بعده حتى صار آل إبراهيم الأسرة المصطفاة (ونوحا وآل إبراهيم...) فمن إبراهيم الخليل كانت كل هذه البركات الالهية على البشر؛

■ فمن النبي إبراهيم ابنه إسماعيل، ومن أحفاده النبي المصطفى خير خلق الله تعالى.

■ ومن إبراهيم ﷺ ابنه وحفيده النبيان إسحاق ويعقوب<sup>(١)</sup> ومن أحفاد يعقوب النبي موسى بل آل موسى وهارون، ومن أحفاده مريم العذراء والدة المسيح عيسى بن مريم وعيسى نفسه، وإلى ذلك أشارت الآيات القرآنية: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ \*

(١) في لوحة صممها العلامة السيد سامي البدري بعنوان (ميثاق النبيين) إصدار مركز تراث النجف الحضاري يتبين فيها بوضوح: أن ابراهيم النبي ولد له اسماعيل واسحاق، ومن اسماعيل جاء رسول الله محمد بعد سلسلة من الأجداد الموحدين، ومن اسحاق جاء يعقوب والد يوسف النبي وأحد عشر من اخوته، ومن بين هؤلاء الاخوة كان لاوي جدًا لعمران والد موسى وهارون فاستمرت النبوة هكذا، وثم في نسل هارون كان زكريا وابنه يحيى وأيضا مريم العذراء وابنها المسيح عيسى. وأما في الابن الآخر يهوذا فقد كان من أحفاده بعد الثامن منهم النبي داود وابنه سليمان، أما النبي يوسف فقد كان في احفاده الوصية إلى أن تصل إلى وصي موسى المعروف يوشع بن نون ﷺ جميعا... وسنعمد هذه اللوحة في أكثر من موضع.

وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين ﴿١﴾.

وسبحان الله فإن هذه البركات كلها اقترنت مع عمر لا يعد طويلاً بمقاييس تلك الأزمنة وما نقل عن أعمار الأنبياء والمرسلين، فإن المعروف بين المؤرخين أن عمر نبي الله إبراهيم كان ١٧٥ سنة! وتوفي حوالي ٢١٠٠ قبل الميلاد.

المنطقة التي تحرك فيها النبي إبراهيم ﷺ في دعوته تعتبر واسعة بالقياس إلى سائر الأنبياء فهي تبدأ من الناصرية في العراق (أور الكلدان) سابقاً - تل إبراهيم في الناصرية حالياً - ثم تصعد إلى منطقة حرّان جنوب تركيا ثم تنزل إلى بلاد الشام - فلسطين وأطراف سوريا - شيئاً ما من مصر وقسم من الأردن؛ عندما أرسل نبي الله إبراهيم إليها ابن أخيه لوطاً كي يدعو أهلها إلى عبادة الله ﷻ في (بلاد سدوم) ويأمرهم بترك المحرم - الشذوذ الجنسي - ولكنهم لم يستجيبوا له فعذبوا بعذاب استئصالي تحدث عنه القرآن الكريم. وأخيراً جنوب الجزيرة العربية الغربي حيث امر ببناء الكعبة مع ابنه إسماعيل بعدما كان قد قصدها قبل ذلك بسنوات. وسيأتي موضوع خاص حول حياته ودعوته في الصفحات القادمة.

## ٨. النبي إسماعيل ﷺ (٢)

وهو صاحب قصة الفداء التي أخبر ربنا عنها ذاكراً هذه الفقرة من حياة النبي إبراهيم ﷺ ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ \* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا

(١) الأنعام ٨٣-٨٦.

(٢) ذكر السيد البدر في لوحته (المهدي والمسيح) أن اسمه بالعبرية (يشمع أيل) وتعني العلي يسمع.



إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾، وبالرغم من أن الموجود في المصادر اليهودية يشير إلى أن الذبيح هو إسحاق إلا أن ذلك لا يصح، لعدم الثقة بوحانية هذه النسخ الموجودة بين أيديهم، خصوصا وأنها تعرضت للتشويه والتحريف كما سيأتي الحديث عنه، كذلك فإن ترتيب القصة في هذه الآيات القرآنية في سورة فاطر وغيرها يشير بوضوح إلى الرؤية الإسلامية في كون الذبيح هو إسماعيل فإنها هنا بدأت بالحديث عن تبشير الله إبراهيم بالغلام الحليم وذكرت قصة الذبح. ثم بعد ان انتهى من ذكر ذلك جاء للحديث عن إسحاق وأن الله بشر به إبراهيم ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

ويفترض أنه باشر مهمات النبوة بعد أبيه نبي الله إبراهيم ﷺ الذي توفي في حوالي سنة ٢١٠٠ قبل الميلاد، وهو جد سيد الأنبياء محمد ﷺ، وكانت دائرة عمله الدعوي والتبليغي مكة وأطرافها، فلم يُؤثر أن النبي إسماعيل ﷺ ذهب إلى أماكن مختلفة، وإنما كانت دائرة نشاطه الديني ودعوته في هذه المنطقة فقط.

ونحن نحتمل أن بقاء النبي إسماعيل ودعوته القبائل التي حول مكة بما يمتد إلى اليمن، وإيمانها به هو الذي جعل المناسك الإبراهيمية في الحج باقية أجيالا بعد أجيال إلى زمان رسول الله ﷺ وإن تغير أو نسي بعضها.

فقد شارك إسماعيل أباه ﷺ في إعادة بناء الكعبة، وفي الحج كانت أول حجة حجّها النبي إبراهيم مع ابنه إسماعيل ﷺ، وقد عيّنت مواعيت ومناسك الحج في تلك الحجة والتي إلى الآن لا تزال قائمة.

وبعد مائة وأربعين سنة توفي النبي إسماعيل مقاربا في ذلك أباه الذي قيل إنه توفي

(١) الصافات: ١٠١-١٠٧.

(٢) الصافات: ١١٢.

عن مائة وخمس وسبعين سنة.

## ٩. النبي لوط عليه السلام

وهو من أحفاد النبي نوح، وابن أخ إبراهيم عليه السلام، وقد سبق إلى الإيمان به بمجرد إعلان إبراهيم الدعوة إلى الله، وتحطيم الأصنام في قصته المعروفة وعن ذلك يقول ربنا سبحانه ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup> وبالفعل هاجر مع عمه إبراهيم من بلده لكي يوجهه عمه نبياً من الله إلى القرية<sup>(٢)</sup> التي كانت تعمل الخبائث، رسول هداية وإصلاح، لبلدة كبيرة اسمها سدوم بالقرب من البحر الميت -حالياً- في الأردن، وتقع في طريق القوافل والتجار ولكنها كان أهلها بالإضافة إلى عدم إيمانهم بالله، كانوا منحرفي الأخلاق وقد عبر عنهم القرآن بأنهم يأتون الذكران من العالمين وبأنهم يأتون في ناديهم المنكر، وبأنهم يقطعون السبيل..

وبعث النبي إبراهيم ابن أخيه لوطاً إلى سدوم يشير إلى حقائق مهمة، منها أن

(١) العنكبوت: ٢٦.

(٢) هناك رأيان في موضوع القرية والمدينة من حيث الاختلاف والاتفاق، فالشائع الآن بين الناس أنهما مختلفتان والقرية تعني اسم البلدة الصغيرة القليلة السكان والبعيدة عن الحاضرة بعكس المدينة التي يفترض أن سكانها كثيرون وأنها كبيرة وهي أقرب للحضر ومنه أخذ لفظ التمدن وما شابه، وهناك رأي آخر يقول بأن القرآن الكريم قد عبر عن مكان واحد تارة بلفظ القرية وأخرى عبر عن نفس المكان بلفظ المدينة مما يعني عدم وجود اختلاف كبير بينهما فقد قال تعالى في قصة الخضر وموسى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾، ونفسها عندما تحدث عن الغلامين وجدارهما قال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾، فهناك عبر عنها بالقرية وهنا عبر عنها بالمدينة.. وهناك أمثلة أخرى بنفس المؤدى ولذلك فإن ما ذهب إليه بعض من يتعاطى التفسير في هذه الأيام من أن القرية تدل على المجتمع المتجانس الخير، والمدينة تدل على المجتمع غير المتجانس الذي يوجد فيه الخير والشر والإيمان والكفر.. لم نعرف وجهه ولا دليله؟



الممكن أن يكون هناك نبي ومعه أنبياء متعددون فالنبي (الأعظم حسب التعبير) هو إبراهيم لكن من الممكن أن يرسل أنبياء إلى مناطق أحر على الأقل في الأزمنة الماضية، وهذا يضيء لنا جهة في عدد الأنبياء والرسل، فإنه لم يكن بما هو المتبادر إلى الذهن من أنه يأتي نبي فلا يكون معه نبي حتى يتوفى ثم يبعث آخر وهكذا.. وإنما من الممكن أن يتعدد وجود الأنبياء في وقت واحد ولكن في مناطق متفرقة مثلما حصل زمان النبي إبراهيم ولوط وهكذا زمان موسى وشعيب وهارون ﷺ..

### تنبيهان مهمان

أولهما: نشير إلى الفرق بين الرواية من طريق أهل البيت ﷺ وتلك الموجودة في الكتب المحرفة كالتوراة الحالية مثلاً التي تقول أنهم لما وصلوا إلى فلسطين تنازع إبراهيم مع لوط على المرعى فكلّ منهم يريد المرعى الأفضل لأغنامه ولما لم يصلوا إلى حل قال إبراهيم للوط اذهب أنت إلى الشرق وأنا إلى الغرب!، فأين هذا المنطق من منطق ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ وأن إبراهيم أرسله لينشر التوحيد ويحارب سوء الأخلاق في تلك المنطقة؟ بل أين هذا مما نقلته روايات الأئمة ﷺ من أن إبراهيم خاض بعض المعارك العسكرية لمساعدة ابن أخيه لوط حتى ثبته في بلدة سدوم.

وثانيهما: أن من الاستعمالات الخاطئة عند بعض العامة أنهم يقولون لمن يقوم بالشذوذ أنه (لوطي)، وهذا استعمال خاطئ إذا كانت نسبة فاعل الفاحشة إلى النبي الكريم فإنه حارب هذه الفاحشة لمدة تزيد عن عشرين سنة في ما قيل، إلى أن جاءهم العذاب، فلا يصح نسبة الفاحشة إلى اسمه الكريم، نعم لو كانت النسبة ناظرة إلى قوم لوط فلا مانع منه. مثلما ورد من التعبير عن فاعل هذه الفاحشة بأنه يعمل عمل قوم لوط، وكذلك يحمل ما ورد من تعبير (اللوطي) في بعض الروايات<sup>(١)</sup>، وهي -إذا

(١) الكليني؛ محمد بن يعقوب: الكافي - ط الإسلامية ٧ / ١٩٨: علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى،

صح صدور تلك الروايات - ناظرة إلى نسبته إلى قوم لوط الذين كانوا يأتون الفاحشة لا إلى النبي الذي كان يجارها ويقاومها.

نعم هناك تشابه في الاشتقاق، فالفعل (لاط) وما يشتق منه، فإنه يدل على التصاق بين شيئين أو شخصين فقد ورد في معجم مقاييس اللغة: لوط: كلمة تدل على اللصوق، يقال: لَاطَ الشيء بقلبي، إذا لصق. وفي مفردات الراغب: لوط: اسم علم، واشتقاقه من لَاطَ الشيء بقلبي لَوَطًا وليطًا. وفي الحديث: الولد أَلَوَطٌ، أي أَلَصِقَ بالكبد. ولطت الحوض بالطين: ملطته به.<sup>(١)</sup>

وبهذا المعنى فإنه ينطبق على ممارسة الفاحشة فإنها أحد أنحاء الالتصاق بين جسدين لكنه التصاق بنحو خاص وحرام.

والتعبير عن هذه الفاحشة باللواط وإن لم يأت في القرآن الكريم إلا أنه ورد في كلمات المعصومين في ضمن بيان الأحكام المترتبة عليه من الحرمة والحد وما شابه.

عن يونس، عن محمد بن سنان، عن العلاء ابن الفضيل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: حد اللوطي مثل حد الزاني وقال: إن كان قد أحصن رجم وإلا جلد. والرواية فيها كلام لجهة محمد بن سنان فإنه قد ضعف على المشهور وإن كان بعض المتأخرين يميلون لقبول رواياته. فأنت ترى في هذه الرواية قد عبر عن فاعل هذه الفاحشة باللوطي، ولا بد من حمله على أنه منسوب إلى الفاعلين لها وهم قوم لوط دون النبي العظيم. ويؤكد ما جاء في روايات أخر بالتعبير صراحة بأنه من عمل قوم لوط. بالإضافة إلى ما ذكرناه من الوجه الاعتباري.

وكذلك في نفس الجزء في ص ١٩٧: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو كان ينبغي لاحد أن يرحم مرتين لرحم اللوطي.. وهذا أيضًا عند بعضهم فيها مشكلة سندية لجهة الحسين بن يزيد النوفلي، فإنه لا توثيق له صريحًا. وعلى فرض صدور الرواية أو كونها مؤيدة لغيرها، يلاحظ فيها استعمال لفظ اللوطي، ولا بد من حمله على ما ذكرنا.

(١) المصطفوي؛ حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم ١٠ / ٢٥٨.





ولذلك نعتقد أن ما يقوله بعضهم من تحطئة تسمية هذا الفعل باللواط ليس بصحيح. فقد ورد كما قلنا في كلمات المعصومين<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى أنه يتوافق مع الأصل اللغوي للكلمة.

نعم وصف فاعل هذه الفاحشة بأنه لوطي ليس صحيحا إذا كانت النسبة مقصودا منها النبي لوط، فإذا كان لهذه الكلمة من معنى فينبغي أن يؤدي إلى معنى مقاوم الفاحشة المذكورة، والمحارب لها ذلك أن النبي لوط كان قد تصدى لمواجهتها بنفس المقدار الذي تصدى لتبليغ الإيمان بالله سبحانه.

لقد تحدث القرآن الكريم بإكبار عن نبي الله لوط ﷺ، ودوره في تبليغ رسالة الله بقوله تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ \* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ \* وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ \* قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ \* وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ \* إِنَّا

(١) الكليني؛ الكافي - ط الإسلامية ٥ / ٥٤٤: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: اللواط ما دون الدبر والدبر هو الكفر.. وقد تقدم الكلام في الملاحظة السنية على مثلها.

وفي جامع أحاديث الشيعة ٢٥ / ٤٣٥ - عن جعفر بن محمد ﷺ أنه قال في اللواط هو ذنب لم يعص الله به إلا أمة من الأمم فصنع الله بها ما ذكر في كتابه من رجمهم بالحجارة فارجحهم كما فعل الله تعالى بهم.

مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١﴾.

### ١٠. النبي إسحاق: أبنائه وأحفاده الأنبياء ﷺ

ابن النبي إبراهيم ﷺ الآخر الذي بشره الله به من بعد النبي إسماعيل ﷺ بمعجزة ربانية وهبة إلهية، تحدث عنها النبي إبراهيم بقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٢).

فإنه بعدما وهب الله نبيه إبراهيم ابنه إسماعيل ﷺ وعمره حوالي ٨٦ سنة، ولد له بعدها بأربعة عشر عامًا إسحاق ﷺ.

وفيما كان في نسل إسماعيل سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد ﷺ، ومن بعده المعصومون الثلاثة عشر، وجدُّ هؤلاء جميعاً إسماعيل ﷺ لكن كان من نسل إسحاق العدد الأكبر من الأنبياء والأوصياء كالنبي يعقوب (٣) ويوسف وغيرهما.

### ١١. النبي يوسف ﷺ هل كان من أحفاده أنبياء؟

فمن نسل النبي يعقوب ﷺ كان النبي يوسف ﷺ وقد تحدث عنه القرآن في سورة

(١) العنكبوت ٢٨-٣٤.

(٢) إبراهيم: ٣٩.

(٣) الغريب هو ما جاء في التوراة المحرفة مما ظاهره يشير إلى (خديجة وتآمر) يعقوب على أبيه اسحاق، وغشه إياه لكي يكون نبياً ويمنحه البركة كما زعموا! وكان النبوة والرسالة تأتي بهذه الطرق الملتوية، فقد زعموا بأنه بعدما تقدم اسحاق بالسن، وبلغ ١٣٧ سنة، ضعف بصره، فدعا ابنه الأكبر عيسو، وأمره أن يجهز له طعاماً، لكن بينما كان عيسو يصطاد، تسلل يعقوب ليأخذ البركة من أبيه أولاً، وغير هيئته حتى جعل على نفسه شعراً كثيفاً، لأن عيسو كان مشعراً، فانطلت هذه الحيلة على اسحاق ضعيف البصر ومنحه البركة وعينه للنبوة!! وهذه تذكر بالأعيب السياسيين أكثر مما تذكر بسيرة المرسلين الصالحين!.



كاملة، وقد جاء من عقبه أوصياء<sup>(١)</sup> منهم يوشع بن نون وصي موسى ﷺ، ومن أبناء يعقوب كان لاوي. وسيكون من نسله عمران والد النبي موسى وهارون ﷺ. ومن أبناء يعقوب يهوذا الذي سيكون من أحفاده النبي داود وسليمان ﷺ. ولا تتوقف هذه السلسلة الطيبة حيث سيكون من نسل هارون أربعة وعشرون وصيا وإماما<sup>(٢)</sup>.

## ١٢. نبي الله شعيب ﷺ

ينسب نبي الله شعيب إلى نبي الله إبراهيم من ابنه مدين كما قيل، ومحيط دعوته كان في أرض مدين وتقع في الأردن في المنطقة الجنوبية بين الكرك ومعان وإلى الآن تحمل اسم مدين. ووقت نبوته كان في نفس الفترة التي كان فيها نبي الله موسى في أوان شبابه وكان شعيب النبي في كهولة السن ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

وكانت دعوته بالإضافة إلى تقوى الله سبحانه أن يتركوا الفساد الاقتصادي بأنواعه المختلفة من الغش والتطفيف ويرى بعض الباحثين أن سكان تلك المنطقة لما كانوا على مفترق الطرق التجارية فقد كانوا يمارسون التجارة مع المارة والمسافرين وغيرهم

(١) من الأمور المشهورة بين الخطباء والكتاب أن نبي الله يوسف ﷺ، لم تكن النبوة في صلبه لأنه (لم يترجل لاحترام والده النبي يعقوب، فعوقب على أثر ذلك بحرمان نسله من أن يكونوا أنبياء! وللمناقشة في هذا مجال ولو لإثارة بعض الأسئلة فما هو مصدر هذه الفكرة؟ سيتبين من خلال المناقشة أن الروايات التي تم الاعتماد عليها في نسبة هذه الفكرة ليست تامة سنداً، وفيها مناقشات دلالية، بالإضافة إلى أن هناك مانعا من الأخذ بها وهو أن من أحفاد يوسف ﷺ كان هناك أنبياء كيوشع بن نون الذي كان وصيا ونبيا أيضا، وكذلك اليسع الذي يشار إلى أنه من أحفاد يوشع بن نون كما يرى مؤرخون. للتفصيل في المناقشة والروايات يمكن مراجعة الملحق الثاني الموجود في آخر الكتاب هذا.

(٢) البدري؛ السيد سامي: لوحة ميثاق النبیین - اصدار مؤسسة مركز النجف الحضاري والديني.

وكان بعضهم يرى المشاطرة والخداع في السوق بطولة، وتفوقاً! فلم يكن هناك قانون أخلاقي أو ديني يردعهم عن تلك الأفعال، فجاء النبي شعيب صلوات الله عليه ونهاهم عن ذلك الفعل، فتعجبوا منه بأنه ما ربط الصلاة بالموضوع الاقتصادي؟ ﴿وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ \* وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ \* بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ \* قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (١).

وقد ذكر القرآن الكريم قصة النبي موسى معه عندما جاءه هارباً من بطش فرعون وقومه، حتى وصل إلى مدين ووجد ابنتي نبي الله شعيب تحاولان سقي دوابهما فلم تستطيعا وقام بمعونتهما ثم تولى إلى الظل داعياً ربه، وجاءه الفرج بمجيء احدهما على استحياء، لكي تطلب منه مرافقتها إلى بيت والدها الشيخ الكبير، ثم تزوج ابنته وظل يرعى أغنام والد زوجته، وبعدما أتم معه عشر سنين، انصرف بها تكون له من ثروة من الأغنام خلال هذه المدة، لكي يحصل على ما هو الأعظم في الطريق وهو النبوة عندما كلمه الله سبحانه وتعالى وأمره بالذهاب إلى فرعون لدعوته فكان نداء الله له ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ \* اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ \* وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا



يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* قَالَ سَشِدْ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلْ لَكُمَا سُلْطَانًا  
فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتَمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا  
بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ \* (١)

ولم يلبث شعيب بُعِيدَهَا بِمُدَّةِ الْإِلَهِ وَقَدْ انْتَقَلَ إِلَى رَحَابِ رَبِّهِ. وَلَهُ قَبْرٌ يَنْسَبُ إِلَيْهِ فِي  
مَنْطِقَةِ وادي شعيب، غرب مدينة السلط في الأردن.

### ١٣. موسى وهارون ﷺ

من يعقوب النبي ﷺ كان لاوي الذي أنجب قهات (قاهت) وهذا أنجب عمران  
والدهارون وموسى ﷺ، وحيث أننا سنتناول جوانب من شخصية النبي موسى عند  
الحديث عن اليهودية فلا نتعرض إلى حياته هنا، ونرجئ الحديث عنه لذلك الموضع.

وأما هارون النبي ﷺ، فقد وصفته الروايات بأنه أكبر سنًا من أخيه موسى،  
ووصفه القرآن الكريم على لسان موسى بأنه ﴿أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾، وهذا يشير لنا إلى  
قضية أن المقاييس التي نتعامل بها نحن البشر ليست بالضرورة هي التي يجري عليها  
الله سننه وأحكامه وإنما قد تكون وقد لا تكون، فلو كانت المقاييس البشرية لكان  
الأكبر سنًا والأفصح لسانًا هو المقدم ولكن ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ  
لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ (٢).

فكان معين أخيه ورداء له يصدقه ووزيرًا يشدد أزره ويشاركه أمره، يقصها القرآن  
في قوله تعالى ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي  
أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي \*

(١) القصص: ٣٠-٣٦.

(٢) القصص: ٦٩.

هَارُونَ أَخِي \* أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي \* وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ  
كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا \* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿١﴾

حتى أتيا فرعون زمانها وكلمها بلسان لين وبرهان حسن لكنه أبى واستكبر وكان من العالين، وأعلن عليها الحرب، وكانت الدبرة عليه والانتصار لله ولرسله وأوليائه، وكان له موقف مهم مع بني اسرائيل في مقاومة الانحراف السامري، مما قصه القرآن في أكثر من موضع. فمنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونَ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي \* قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى \* قَالَ يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا \* أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي \* قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٢).

وفي حياة موسى كان هارون نبياً معه، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (٣)، ومع أن موسى أعظم شأنًا ومنزلة من أخيه إلا أن سلسلة الأوصياء قد امتدت في نسل هارون دون موسى، فقد ولد له عدة أولاد كان من أهمهم (أيلعازر). ومن نسله كان الأوصياء الأربعة والعشرون بشكل متسلسل.

وهذا يؤكد ما سبق منا الإشارة إليه أن هذه المقاييس الموجودة بين البشر ليست بالضرورة هي التي تجري عليها أحكام الله ﷻ. وإنما هو الله الذي يخلق ما يشاء ويختار وليس لأحد سواه أن يختار بمقاييسه.

#### ١٤. هل كان يوشع بن نون نبياً؟

(١) طه: ٢٤-٣٦.

(٢) طه: ٩٠-٩٤.

(٣) مريم: ٣٥.



من هو يوشع؟ هو من أحفاد نبي الله يوسف بن يعقوب، ويذكر نسبه هكذا يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف ﷺ، وهو وصي موسى والنبي بعده الذي استطاع أن يخرج بني اسرائيل من التيه في أرض سيناء وأن يدخل أرض فلسطين مقاومًا الجبارين، كما ذكر القرآن الكريم، وهو صاحب قضية رد الشمس وتوقفها عن الغروب كما نقل حيث كان عصر الجمعة وكانوا على أبواب النصر وإذا حل السبت فلن يستطيعوا القتال ويضيع عليهم النصر، فدعا ربه فردت له الشمس حتى أنجز مهمته.

وكونه وصيا لموسى في أيامه، لا ينافي كونه نبيا بعده، فإن غيره حصل ذلك كما يذكر في شيث هبة الله فقد كان وصي أبيه آدم، ونبيا بعده أيضا ويذكر في هارون حيث كان وصي موسى وكان نبيا في زمانه! وربما لهذه الجهة -لكي لا يشبه الأمر على المسلمين- قال النبي في حق أمير المؤمنين ﷺ إلا أنه لا نبي بعدي.. وإلا لا معنى لمثل هذا التذكير!

وقد أشار إلى نبوته من الامامية الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه في كتابه كمال الدين، فقال وهو يتحدث عن بعثة الله الأنبياء للناس: «ثم أن الله تبارك وتعالى أرسل يوشع بن نون إلى بني إسرائيل من بعد موسى فنبوته بدوها في البرية التي تاه فيها بنو إسرائيل».

وكذلك الشريف المرتضى حيث يظهر منه دعوى الاجماع بين المسلمين على نبوته فقد قال يوشع بن نون لا خلاف بين المسلمين في أنه كان نبيا بعد موسى ﷺ.

وأما ابن كثير من أتباع مدرسة الخلفاء فقد قال في تشخيص أنه هو صاحب موسى وفتاه قال -مدعيا اتفاق أهل الكتاب على نبوته- «وَقَدَّمْنَا مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي ابْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَنَّهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ» وقد عنون الفصل الذي اورد فيه ذكره بعنوان

(ذِكْرُ نُبُوَّةِ يُوْشَعَ وَقِيَامِهِ بِأَعْبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ ﷺ).

ومثله فعل ابن الأثير الجزري في الكامل؛ فقال: لَمَّا تُوفِّي بَعَثَ اللهُ يُوْشَعَ بْنَ نُونِ بْنِ إِفْرَائِيمَ بْنَ يُوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﷺ نَبِيًّا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَى أَرِيحَا مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ.

ومن ذكره بالنبوة السيد الميلاني في كتابه نفحات الأزهار فقد قال (..فإن يوشع كان خليفة لموسى من بعده، مع أنه كان حينذاك نبياً من الأنبياء... فكما أمكن اجتماع الخلافة والنبوة في يوشع، ولم تمنع نبوته من خلافته لموسى، فكذلك هارون لو قدر بقاؤه حياً..) ولا أعلم إن كان ينقل هذا عن صاحب العبقات ملخصاً كلامه أو هو من كلمات المؤلف نفسه.

وفي رواية نقلها الشيخ الصدوق أيضاً في الخصال، سئل أمير المؤمنين ﷺ عن ستة من الأنبياء وسيأتي فيها أنه من الأنبياء وأن له اسمين.

نعم رأى العلامة المجلسي في مرآة العقول أن الصحيح أنه و(آصف) لم تثبت نبوتها بالرغم من أن المشهور كون الأوصياء السابقين أنبياء.. لأجل ورود الأخبار الكثيرة في عدد الأنبياء والأوصياء والظاهر المقابلة بينهما والمغايرة، وقد علم كونه وصياً فمقتضى المغايرة أن لا يكون نبياً!

وبما قدمناه من أنه لا منافاة بين كونه وصياً في حياة النبي ونبياً بعده، كما أشرنا إلى شيث وهارون قبل قليل يندفع استدلال العلامة المجلسي، نعم الغالب أن الأوصياء ليسوا كذلك لا أنه ما دام وصياً فلا يكون نبياً.

كما أنه قال: وروي في البصائر بسند صحيح عن بريد عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ: «كصاحب موسى وذو القرنين، كانا عاملين ولم يكونا نبين» وقد أوردتها





أيضا في مرآة العقول لكن هذه الرواية ليست صريحة في نفي النبوة عن يوشع بن نون فإن صاحب موسى من الممكن أن يكون الخضر ويمكن أن يكون يوشع ومع هذا الاحتمال لا مجال للاستدلال به في النفي.

وتورد الروايات ذكره مقرونا بالتعظيم والتبجيل، في ذكر الأوصياء والأنبياء، فهي تتحدث تارة عنه باعتبار أنه أعلم بني اسرائيل وخيرهم بعد موسى ﷺ كما أن علياً ﷺ هو خير هذه الأمة وأعلمها بعد النبي محمد ﷺ، وباعتباره فتى موسى كما أن عليا ﷺ فتى محمد (ولا فتى إلا علي) وأنه من الأنبياء، وفي بعضها الانبياء الذين لهم اسمان، وأنه ردت له الشمس.

### خير بني اسرائيل وأعلمهم:

عن أبي سعيد الخدري قال: قال سلمان: يا نبي الله إن لكل نبي وصيا فمن وصيك فسكت عني فلما كان بعد رأني من بعيد قال: يا سلمان! قلت: لبيك وأسرت إليه، قال: تعلم من كان وصي موسى؟ قلت: يوشع بن نون، قال: ذلك لأنه كان يومئذ خيرهم وأعلمهم، وإني أشهد اليوم أن علياً خيرهم وأفضلهم وهو وليي ووارثي ووصيي.

### هل هو ذو الكفل؟

سئل أمير المؤمنين ﷺ عن ستة من الأنبياء لهم اسمان؟ فقال: يوشع بن نون وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو إسرائيل، والخضر وهو حلقياء ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمد وهو أحمد صلوات الله عليهم أجمعين.

### فتى موسى ووصيه والسابق إليه

■ عن أبي حمزة، عن أبي جعفر ﷺ قال: كان وصي موسى بن عمران ﷺ يوشع





بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَتَهُ كَثِيرَةً  
بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ \* وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا  
صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ \* فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ  
جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ  
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

وكان داود صانع النصر على الأعداء، وباعث الدولة والمجتمع من جديد، حتى  
إذا جاء ابنه سليمان اتسع الأمر بحجم طموح وقدرات هذا النبي العظيم ﴿قَالَ رَبِّ  
اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ \* فَسَخَّرْنَا لَهُ  
الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ \* وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ \* وَأَخْرَيْنَا  
مُتَّقَرِّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ \* هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا  
لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَآبٍ ﴿٢﴾

والفرق كبير بين ما تؤدي له هذه الآيات ونظيراتها مثل قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ  
سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٣)</sup> من تعظيم مكانة النبي سليمان، وبين ما يوجد في  
النسخ الحالية<sup>(٤)</sup> للتوراة اليهودية التي تنسب لسليمان صفات تسقطه عن مقام الإيمان

(١) البقرة: ٢٤٦-٢٥١.

(٢) ص: ٣٥-٣٩.

(٣) ص: ٣٠.

(٤) جاء في سفر الملوك الاول ١: ١١-١٤ في العهد القديم (...وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة  
مع بنت فرعون؛ موابات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات. من الأمم الذين قال عنهم  
الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم.  
فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري!  
فأملت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء الهة اخرى ولم يكن قلبه  
كاملا مع الرب الهه كقلب داود ابيه. فذهب سليمان وراء عشورث إلهة الصيدونيين وملكوم رجس

وتجعله شخصا مائلا عن الإيمان بالله سبحانه إلى الشرك والاعتقاد بالأصنام، وأنه لهذا كان محلا لغضب الله!! والعياذ بالله.

### ١٦. النبي زكريا وابنه يحيى ﷺ

ينتمي النبي زكريا إلى سليمان بن داود ﷺ، كما يرى بعض الباحثين وينسبه آخرون إلى يعقوب النبي، وبالطبع فلا تعارض بين هاتين النسبتين نظرا لأن سليمان وداوود ينتميان ليعقوب من خلال ابنه يهوذا كما سبق وأن ذكرنا.

وقد تعاصر النبي زكريا مع المسيح عيسى بن مريم، كما تشارك ابنه يحيى مع عيسى ﷺ جميعا، وحيث اننا سنتناول حياة النبي الشهيد يحيى في الفصل الخاص بالصابئة فستعرض إلى شيء من حياة أبيه زكريا أيضًا هناك فلنرجى باقي التفاصيل إلى ذلك الموضع.

### ١٧. المسيح عيسى بن مريم ﷺ

سيأتي الحديث التفصيلي عن حياته وأمه في الفصل الخاص بالمسيحية، فانظر.

---

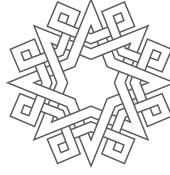
العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب (!) ولم يتبع الرب تمامًا كداود ابيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابيين على الجبل الذي تجاه اورشليم. ولمولك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نساته الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لالهتهن. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين. واوصاه في هذا الأمر ان لا يتبع الهة اخرى. فلم يحفظ ما اوصى به الرب. فقال الرب لسليمان من اجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي اوصيتك بها فاني أمزق المملكة عنك تمزيقا واعطيها لعبدك. إلا أنني لا افعل ذلك في ايامك من اجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها. على أنني لا امزق منك المملكة كلها بل أعطي سبطا واحدا لابنك لأجل داود عبدي ولأجل اورشليم التي اخترتها.



## ١٨. سيد الرسل محمد المصطفى

أيضاً سنتناول جوانب من حياته ورسالته وميزات هذه الرسالة في فصل خاص  
إن شاء الله تعالى.





## النبي آدم وقصة الخليفة

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

عند الحديث عن بداية الخليفة، ومنشأ البشر بالنظرة الدينية فمن الطبيعي أن يكون البدء ببدء الأسرة الإنسانية الأولى التي ننتمي إليها، وطلعتها أبو البشر النبي آدم ﷺ. وسيلفت اهتمامنا ملاحظتان في هذه الآية المباركة من سورة البقرة:

الأولى: أننا نجد أن بداية الخليفة كانت النبوة الالهية، وأن بداية البشر كانت بعد نبي من الأنبياء.

إن ذلك يأتي منسجماً مع القواعد العقديّة المؤسّسة لدى الامامية الإثني عشرية من أن الأرض لا تخلو من حُجّة، من نبي أو إمام وأنه لا بُدَّ أن يكون لله حُجّة على البشّر في كل الأدوار، ولا يمكن أن تكون الأرض خالية من الحُجّة، إمّا رسولٌ برسالة مستأنفة أو وصيٌّ لذلك الرسول. ولو فرضنا أن الله بدأ بخلق البشر ثم بعث إليهم النبي فإنَّ

هذه القاعدة تَنْخَرِمُ، ولو لبعض الوقت.

لذلك نعتقد أن الله ﷻ خلق آدم النبيَّ الرَّسولَ أولاً ثمَّ تناسلت منه ذرِّيته حتى يكون أبناؤه البشر عليهم حُجَّةٌ من قبل الله ﷻ. وهو ما يعبر عنه بعضهم بأن الخليفة قبل الخليفة!

تشير الآية الكريمة لهذا المعنى بوضوح، حيث أن الله أخبر الملائكة أنه سيجعل في هذه الأرض خليفة، وكان ذلك سبباً للتساؤل لما ظنه الملائكة من أن ذلك الخلق سيقتضي وجوده أن يحصل الفساد في الأرض ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾.

الثانية: أن القرآن الكريم يجعل الأنبياء محورَ التاريخ، ولذلك كانت قَصَصُ القرآن الكريم تدور حول الأنبياء وحركتهم ودعوتهم لله ﷻ، ومواقف مجتمعاتهم تجاههم. وما يتصل بهم من أمر يأتي به القرآن الكريم، وكأنَّ القرآن يريد أن يقول: خلاصة التاريخ المُفيد هو قَصَصُ الأنبياء وتجارهم وأحوالهم في أُممهم، وإلاَّ فإن ما مرَّ في تاريخ الإنسان من ملوك جبابرة، قادوا العساكر وخاضوا الحروب، وما تخلله من رجال المال وأرباب الثراء، وما حصل فيه من الأحداث العظيمة.. كثير جداً، ولكنَّ القرآن الكريم لا يتكلَّم عن ذلك، حتى بسطرٍ واحد.

نعم لو كان بعض أولئك أو تلك الأحداث ترتبط بالنبوءات بنحو من الأنحاء فإنه يسجلها ويذكرها من تلك الزاوية المرتبطة بالأنبياء؛ فالقرآن يتكلَّم عن فرعون ولكن من حيث علاقته بموسى، تكلم عن نمرود من حيث علاقته بإبراهيم، وإلاَّ فإن الطاغية المزامن للمسيح عيسى بن مريم (هيرودس) لا تسمع ذكراً له ولا ترى لتاريخه أثراً في القرآن الكريم.

وفيمَا يرتبط بالأنبياء والمرسلين تراه يتابع قضاياهم وفي بعض الأحيان -ولحكمة





معينة- منذ ما قبل الولادة إلى آخر ساعات حياتهم. فضلاً عن تفاصيل دعوتهم وكراماتهم على الله..

## تاريخ البشر بين رأي الديانات والعلم الحديث

الآية المباركة تتحدّث عن أنّ الله ﷻ قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وبُدئ التاريخ الإنسانيّ الذي ننتمي إليه بخلق آدم.

خلق آدم بحسب التاريخ اليهودي والنصراني وفي التراث الإسلامي لا يزيدُ بعُدُهُ عنّا عن عشرة آلاف سنة. هذه المدة من الزّمان تقريباً هي التي تفصل بيننا وبين أينا آدم ﷺ، هذا بحسب التوراة، وبحسب الإنجيل، وبحسب الموجود في تراث المسلمين<sup>(١)</sup>.

لم يتمّ الحديث عن هذا الموضوع قرآنيّاً، ولا فيما نعلم من السُّنّة الصّحيحة عن النبي ﷺ والمعصومين ﷺ فلا يظهر أنهم تعرّضوا بالصّلب لهذا الموضوع، ولكنّ الموجود كتاريخ للمسلمين عن تلك الفترة يتّفقون فيه مع العهد القديم التوراة والعهد الجديد الإنجيل، أقلُّ من ثمانية آلاف سنة هم يقولون أنّ خلق آدم كان حواليّ ٥٩٠٠ سنة قبل ميلاد المسيح، وبيننا وبين ميلاد السيّد المسيح ٢٠٠٠ سنة وشيء، فالمجموع يكون ٧٩٠٠ شيئاً.

(١) في لوحة أشرف على إعدادها المحقق السيد سامي البدري -معاصر- بعنوان نقل فيها عن سفر اخنوخ (النبي ادريس سابع الأنبياء بدءاً من آدم) نبوءته لتاريخ البشر، وفيها يستفاد أن هناك عشرة أسابيع للعالم والإنسان، كان الأسبوع الأول منها ما بدء بخلق آدم وفيه تم تأريخ ذلك بأنه ١٠٠٠٠ (عشرة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح) وبناء عليه يكون تاريخ وجود آدم أبي البشر قبل اثني عشر (١٢٠٠٠) ألف سنة. ولم يتضح لي هل أن السيد البدري قد أخذ ذلك الرقم من سفر اخنوخ أو من استنتاج آخر.

وسواء كان الرقم عشرة أو ثمانية آلاف سنة أو حواليتها، مما يُذكر عند المتدينين في الديانات الثلاث فإنه يتعارض مع ما تقدمه الدراسات الغربية العلمية، التي تعتمد على نتائج البحوث على الحفريات، والمتحجرات فإنهم بواسطة ذلك يوصلون وجود الإنسان على الأرض إلى عشرات الآلاف من السنين.

وهذا التعارض أحد الوجوه التي من خلالها - وأمثالها - تم إزاحة كتب العهدين (القديم والجديد) لصالح العلم في الحياة الغربية. باعتبار أن العلم لا بد أن يكون دقيقاً وإذا كان هناك خطأ فهو في هذين الكتابين!

وبطبيعة الحال فإن نفس السؤال يتوجه إلى المسلمين فيما يرتبط بالقرآن. وهو ما يركز عليه بعض المدرسين الغربيين لطلابنا المبتعثين، في تحطيم التزامهم الديني واعتقادهم بالإسلام باعتبار تخالفه مع نتائج العلم والدراسات الحديثة! هذا بالرغم من أنه لم يتم تحديد وقت معين (كعدد سنين) في بدء الحياة البشرية كما قلنا في القرآن الكريم.

### في الإجابة على هذا السؤال هناك طريقتان:

الطريق الأول: وهو الطريق التقليدي وحاصله: أن ما هو موجود الآن من النظريات العلمية، ليس الحقيقة النهائية؛ وإنما هي الجواب - لحد الآن - ومعنى ذلك أن النظريات العلمية لما كانت متغيرة، فإنها تجيب على أسئلة في كل مرحلة زمنية، تعتبر هي الأجوبة الأفضل والأسلم لحد ذلك الزمان! وقد تنسخ ما قبلها من الأجوبة ولكن قد تُنسخ هي لصالح أجوبة تأتي في العصور اللاحقة.

ويقدم أصحاب هذا الجواب أمثلة كثيرة على تلك الفكرة في كثير من مجالات العلم (الفلك، والطب، والجغرافيا، والنبات.. وغيرها)؛ فإنه في علم الفلك كان العلماء في



وقت من الأوقات يؤمنون بما يسمى (بالهيئة البطليموسية)، وكانت تقول إن الأرض هي محور الكون، والكواكب الأخرى تدور حولها؛ كما أن السماوات هي مثل طبقات البصل قشرٌ فوق قشر، ولهذا لم يقبل بعضهم عقيدة المعراج لزعمهم بأنه يلزم منه ما دعوه: مشكلة الخرق والالتئام، عندما يخترق النبي في رحلة المعراج السماوات من سماء لأخرى!

واستمرت هذه النظرية حاكمة على الساحة العلمية مدة ثلاثة عشر قرناً أي من زمان بطليموس (ت ١٥٠م)<sup>(١)</sup> إلى زمان (كوبرنيكوس ت ١٥٤٣م) عندما جاء وقال بأن: أن الشمس هي مركز هذه المجموعة التي من بينها كوكب الأرض.<sup>(٢)</sup> وأن الأرض ليست إلا كوكبا من الكواكب الصَّغيرة التي تدور حول الشَّمس.

تغيَّرت النَّظَرِيَّة، وبني بناء جديد لعلم الفلك، على أساس هذه النظرية الجديدة.

أما ما يفترضه المتدين والمؤمن فإنه إن كانت المعلومة صادرة من الوحي فهي

(١) رياضي وعالم فلك وجغرافيّ ومنجم وشاعر من أهل القرن الثاني للميلاد. وُلِدَ نحو سنة ٨٧ م وتوفِّي قُرْبَ الإسكَنْدَرِيَّةِ نحو ١٥٠ م. وهو صاحب كتاب المَجَسْطِي. يقوم نظامه الفَلَكِيّ على أساس أنّ الأرض ثابتة، وأنّ الأفلاك تُدور حَوْلَهَا. كذلك فإنه رتب جداول يتم على أساسها التنبؤ بالظواهر الفلكية، بقيت هاته الجداول مستخدمة بشكل مباشر أو غير مباشر كمراجع لمدة تزيد عن عشر قرون إلى أن تقدمت أدوات المراقبة وبزغت النظريات الجديدة التي وضعها نيكولاس كوبرنيكوس ويوهانس كيبلر. عن موسوعة ويكيبيديا.

(٢) عالم رياضي وفلكي هولندي كان أحد أعظم علماء عصره. توفي ١٥٤٣ م يعتبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرماً يدور في فلكها في كتابه «حول دوران الأجرام السماوية». وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث.

وعندما أكمل كتابه عن دورة الأجرام السماوية، لم ينشره خوفاً من الكنيسة أيضاً ولم ير هذا الكتاب النور إلا يوم وفاة نيكولاس. في هذا الكتاب أثبت: أن الأرض تدور حول نفسها. وأن القمر يدور حول الأرض. وأن الأرض والكواكب الأخرى كلها تدور حول الشمس. عن موسوعة ويكيبيديا.

حقيقة نهائية. لأنها والحال هذه صادرة من خالق الكون كما يعتقد المؤمنون! وبالطبع فإن هذه الإجابة لا تقنع غير المتدينين.

الطريق الآخر: وهو ما يستفاد من عدد من الآيات القرآنية وروايات المعصومين عليهم السلام وينتهي إلى أن الثابت هو أن آدم النبي هو أول السلسلة البشرية التي نحن فيها، وهو الذي يقدر وجوده بما قبل ثمانين إلى مائة قرن -على الاختلاف في التقدير- وهذا لا ينفي أن يكون هناك خلق آخر في الكون قد خلقه الله سبحانه ربما يسبقه بعشرات أو مئات الألوف من السنين.. وهذه النتيجة يتم التوصل إليها من خلال:

الاستفادة -أولاً- من الآيات القرآنية كآية المتقدمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾.. فمن الذي أعلم الملائكة بأن هذا الخليفة أيضاً سيفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ لا بد أن يكونوا رأوا أمامهم نموذجاً، وإلا كان من الافتراء والتقوّل بغير علم، إن تساءلهم ذلك يُفيد بأن الملائكة كانوا قد رأوا خلقاً آخر، يحمل تلك الصفات السلبية فلما أخبرهم الله بأنه سيخلقُ خلفاءَ لأولئك الأولين، تصوّروا أنّ الخليفة هو مثل السابقين، فحق تساؤلهم عن الغاية من ذلك مع أن الخلق الجديد المستخلف سيفسد فيها ويسفك الدماء!.. فقال لهم: أنا أعلم ما لا تعلمون.

ويشير إلى هذا المعنى ما ورد في تفسير العياشي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، يقول في الرواية: «ما علم الملائكة بقولهم: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، لولا أنّهم رأوا من يفسد ويسفك الدماء» لو لم يروا أحداً قبل هذا الخلق، قبل آدم يفعل هذا لم يقولوا ذلك، وهنا يُعلّق السيّد الطباطبائي رحمته الله بقوله: «يمكن أن يشير



بها إلى دورة في الأرض سابقة على دورة بني آدم هذه كما وردت فيه الأخبار<sup>(١)</sup> هذا في تفسير الآية المباركة. وهذه الرواية تعتبر أحد الوجوه التي التزم بها بعض المفسرين للآية المباركة.

وهناك روايات تفصيلية تخوض في شخصية هذه المخلوقات السابقة على الإنسان، وما حصل لها مع الملائكة، وهي تفسر وجه كونها تفسد في الأرض وتسفك الدماء.. وعلى أي حال ففيها نحو تأييد لأصل الفكرة.

من الآيات التي يمكن الاستشهاد بها لهذه الفكرة، وهي أن آدم هو أب وبداية السلسلة البشرية التي نحن فيها، وهذا لا ينفي وجود مخلوقات قبله، قول الله ﷻ: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد ورد في تفسير الإمام محمد الباقر ﷺ لها كما نقل عنه جابر بن يزيد الجعفي<sup>(٣)</sup> في قوله ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ

(١) الطباطبائي؛ الميزان ١/ ١١٩.

(٢) ق: ١٥.

(٣) جابر بن يزيد الجعفي من اصحاب الامام الباقر وابنه الصادق ﷺ وقد توفي سنة ١٢٨ هـ، وبالرغم من اختلاف الروايات وأقوال الرجالين في توضيح شخصيته إلا أن الصحيح هو ما ذكره المرحوم السيد الخوئي في المعجم ٤/ ٣٤٤ بعد رد الروايات الذامة، «الذي ينبغي أن يقال: إن الرجل لا بد من عده من الثقات الأجلاء لشهادة علي بن إبراهيم، والشيخ المفيد في رسالته العددية، وشهادة ابن الغضائري، على ما حكاه العلامة، ولقول الصادق ﷺ في صحيحة زياد إنه كان يصدق علينا، ولا يعارض ذلك، قول النجاشي إنه كان مختلطا، وإن الشيخ المفيد كان ينشد أشعارا تدل على الاختلاط، فإن فساد العقل - لو سلم ذلك في جابر، ولم يكن تجننا كما صرح به فيما رواه الكليني في الكافي: الجزء ١، كتاب الحجّة ٤، باب أن الجن يأتون الأئمة، فيسألونهم عن معالم دينهم ٩٨، الحديث ٧- لا ينافي الوثاقفة، ولزوم الأخذ برواياته، حين اعتداله وسلامته.» انتهى.

أقول: يظهر أنه لاطلاع على معان تدق على فهم عامة الأصحاب كان يتعرض لمشاكل منهم..  
يراجع لتفصيل حياته كتابنا رجال حول أهل البيت ج ٢.

بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١﴾ يقول جابر: سألتُ الإمامَ ما معنى هذه الآية فقال الإمام: لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد؟ «تتصوّر أن الله فقط خلق هذا العالم الواحد الذي أنتم فيه؟ «وترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم.»<sup>(١)</sup>

وسواء كان التعبير بـ(ألف ألف عالم وألف ألف آدم) يراد منه ما يقابل المليون العددي أو ما يدل على الكثرة التي تخرج عن العد في ذهن السامع فإنه ينفع القائلين بهذه الفكرة التي نحن بصدددها.

إن هذا التفسير للآية يقول إنك في آخر تلك العوالم وأولئك الأوادم وأنه يوجد قبلك عوالم وأوادم (بما تشير كلمة آدم إلى رأس السلسلة البشرية) وكان هناك دورات خلق ومجتمعات فلا تتصوّر أن الله أكرمك وحدك بهذا الخلق! بل الله خلاقٌ فيّاض معطاء.

(١) والرّواية كما في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، بإسناده إلى عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» قال: يا جابر تأويل ذلك أن الله تعالى إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة والنار جدد الله عالماً غير هذا العالم وجدد خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم، وسماء غير هذه السماء تظلمهم. لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد، أو ترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الأدميين...

وسند الرواية ليس فيه من يناقش في أمره إلا عمرو بن شمر وقد اختلف فيه فيما ذهب المحدث الثوري في مستدرک الوسائل إلى «وثاقته معتمداً على رواية الأجلاء عنه وخمسة من أصحاب الاجماع، وعلى اعتماد الشيخ المفيد عليه» رأى السيد الخوئي في المعجم أن ذلك لا يدل على وثاقته، فلم تثبت وثاقته عنده، كما أن توثيق علي بن إبراهيم القمي له معارض بتضعيف النجاشي إياه».



هذا على صعيد الآيات والروايات؛ وأما على صعيد أقوال العلماء؛ فما يظهر من كلمات بعض علماء الطائفة هو أن قضية العوالم السابقة على السلسلة البشرية الحالية، وفكرة الأوادم الأولى كأنها من الحقائق المسلمة عندهم،<sup>(١)</sup> فقد ذكره الشيخ ميثم بن علي البحراني<sup>(٢)</sup> في شرحه للنهج العلوي عندما قال: واعلم أن جمهور المفسرين على أن الإنسان في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ هو أبونا آدم ﷺ ونقل عن محمد بن علي الباقر ﷺ أنه قال: قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم<sup>(٣)</sup> وكذلك الشيخ أحمد آل طوق القطيفي<sup>(٤)</sup> فقد كتب<sup>(٥)</sup> في شرح إحدى الروايات «المراد بآدم: هو أبو البشر، أو آدم الأول: الذي هو أب لألف ألف آدم: وما نسلوا. كلُّ منهما معنى مراد، وعلى كلِّ منهما فهذا التفصيل والمنَّ عامٌّ لجميع البشر»؛ وأما

(١) بل بلغ الأمر من الاشتهار حدا جعل الفخر الرازي ينقله عن (كتب الشيعة) فقد نقل في تفسيره ١٧٩/١٩ ما يأتي في الفقرة التي سنقلها عن الشيخ ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة بالنص ناسبا إياه لكتب الشيعة كما أسلفنا.

(٢) ميثم بن علي بن ميثم البحراني توفي بعد ٦٨١ هـ، عالم بالأدب والكلام، من فقهاء الامامية. من أهل البحرين، زار العراق، وتوفي في بلده. له تصانيف، منها شرح نهج البلاغة - ط مختصر، وشرح المئة كلمة والقواعد - خ في علم الكلام، واستقصاء النظر في إمامة الأئمة الإثني عشر) ورسالة في آداب البحث وتجريد البلاغة - خ في المعاني والبيان، ويسمى أيضًا أصول البلاغة. عن الأعلام / للزركلي، أقول قبره في البحرين يُزار له ثلاثة شروح على نهج البلاغة كبير ومتوسط وصغير. لمراجعة تفاصيل حياته راجع كتابنا أعلام الإمامية.

(٣) البحراني؛ الشيخ ميثم: شرح نهج البلاغة ١/١٨٩

(٤) الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح بن سالم آل طوق القطيفي كان حيا ١٢٤٥ هـ. من تلامذة الشيخ حسين ال عصفور البحراني، والشيخ أحمد زين الدين الأحسائي، له ما يقارب الأربعين مصنفا، منها (نعمة المنان في إثبات وجود صاحب الزمان)، (جامعة الشتات في أحكام المواريث والأموات)، (نزهة الأجاب)، (شرح الحديث الشريف من عرف نفسه فقد عرف ربه)، مناسك الحج. راجع ترجمته في مقدمة رسائل آل طوق القطيفي.

(٥) القطيفي، الشيخ أحمد آل طوق: رسائل آل طوق القطيفي ١/ ١٧٧

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء<sup>(١)</sup> فإنه ذكر في كتاب (الفردوس الأعلى) بعدما أشار إلى آية ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٢)</sup> وبعض روايات المعصومين التي مرت قال: «وصريح هذه الأخبار أن هناك ما لا يحصى من الآدميين والعوالم، وهو الموافق لعدم تناهي قدرته تعالى، وأن ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وأن فيضه ما زال ولا يزال ولا ينقطع في حال من الأحوال ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن المتأخرين قال الشيخ آصف محسني فإنه بعدما ذكر ما رواه «الثمالي عن السجاد ؑ أتظن ان الله لم يخلق خلقاً سواكم؟ بلى والله خلق الله ألف ألف آدم وألف ألف عالم، وانت والله في آخر تلك العوالم.. قال: وتدلل عليه رواية جابر أيضاً وهذه الروايات ربما تصلح شاهداً مقبولاً بين ما يقول (به) بعض العلوم الحديثة - علم طبقات الارض - من عمر الإنسان على الكرة الارضية الى ملايين السنين وما يظن من خلق آدم ؑ قبل (عدة) آلاف سنة تقريباً.»<sup>(٤)</sup>

وهناك رواية ينقلها الشيخ الصدوق في الخصال<sup>(٥)</sup>: عن محمد بن مسلم قال:

(١) الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، فقيه متقدم، وفيلسوف معروف، وزعيم إسلامي توفي سنة ١٣٧٣هـ له ما يقرب من ثمانين مؤلفاً في مسائل مختلفة؛ خاصة في ما يتعلق بالتعريف بمذهب الشيعة، وقد ترجم كتابه المعروف أصل الشيعة وأصولها، من تلامذة صاحب العروة السيد البيهقي، وقد رجع بعض المؤمنين في المرجعية له بعد السيد البيهقي. كان له نشاط مهم في قضايا الإصلاح الاجتماعي والإسلامي.

(٢) ق: ١٥.

(٣) كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين: الفردوس الأعلى ١ / ١١٢.

(٤) محسني، محمد آصف: مشرعة بحار الأنوار ١ / ٤٤١.

(٥) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال ١ / ٣٥٩ حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن





سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله ﷻ في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم، خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثم خلق الله ﷻ آدم أبا هذا البشر وخلق ذريته منه... إلى آخر الرواية.

وتؤكد هذه الرواية وجود عوالم ليسوا من ولد آدم (أبينا النبي) وأنهم سكنوا في الأرض عالماً بعد عالم، ثم خلق آدم.. بالطبع هذه ستتعارض بظاهرها مع ما سبق من أن الله خلق ألف ألف عالم بينما تثبت هذه عدد سبعة! وللتوفيق بينها يمكن أن يقال؛ بالعوالم الأفقية (نظرية الأكوان المتعددة) والعمودية.. أو أن العدد للتكثير، في ألف ألف، بينما هو للتقريب في سبعة عوالم. أو التفريق في معنى عالم وعالمين، فإذا كان هناك ألف عالم فهنا سبعة عالمين، وهذا المعنى متعارف فتحن مثلاً في عالم البشر، لكن إذا أردنا أن نقول رب العالمين فهو يشمل سائر العوالم من حولنا (كالجن والملائكة والحيوان والطير.. الخ). ولتفصيل الحديث مكان آخر.

وقريب مما ذكر في روايات أهل البيت وتفسيرهم للروايات، وأقوال العلماء فقد كتب أحد الباحثين المصريين كتاباً أسماه (أبي آدم)<sup>(١)</sup>. وانتهى فيه إلى نتيجة أن (آدم) أبا

محمد بن عبد الله بن هلال بن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم .

(١) لخصت بعض المواقع الالكترونية فكرة كتاب الدكتور عبد الصبور شاهين (أبي آدم) بما يلي: أن آدم هو أبو الإنسان وليس أبا البشر الذين هم خلق حيواني كانوا قبل الإنسان، فاصطفى الله منهم آدم ليكون أبا الإنسان، وهو ما أشار إليه الله في القرآن ب-أن (نفخ الله فيه من روحه)، وأباد الله الجنس البشري فلم يبق منهم إلا آدم، فعده الله وسواه كما ينص القرآن (الذي خلقك فسواك فعدلك). ويستدل الشيخ عبد الصبور بأيات كثيرة على وجود البشر قبل الإنسان، ولكنهم كانوا خلقاً غير معدلين بروح الله، وهو ما دعا الملائكة عندما أخبرهم الله أنه سيخلق آدم لأن يقولوا: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)، يرى شاهين أن هذا كان قبل أن يصطفى الله آدم ويعده ويسويه بأن ينفخ فيه من روحه فيصبح عاقلاً ومتحضرأً، ومستعداً لحمل الأمانة واستيفاء التكليف، قال الله تعالى: (فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين). وخلاصة الأمر أن آدم ولد من أب وأم بشريين تطور هو من بعدهما =

البشر هو رأس السلسلة الإنسانية المعاصرة، لكنه لم يكن اول الخلق بنحو مطلق وإنما كان قبله موجودات غير كاملة.

ولا أعلم إن كان الكاتب قد اطلع على روايات مدرسة أهل البيت عليهم السلام أو لا؟ فإن أصل الفكرة كما مر موجودة في رواياتهم، بل إن بعض تلك الروايات تعرضت إلى ذكر مواصفات تلك المخلوقات، وبعض صفاتها الواردة في الروايات تلك يتفق معها ما جاء في الكتاب المذكور.

### النتيجة

إن مجموع ما تقدم يمكن أن يقدم جواباً على السؤال المذكور في كيفية حل التعارض بين ما تؤدي إليه البحوث العلمية الحديثة وبين ما هو موجود في تراث المسلمين، وأنه لو فرضنا صحة النتائج التي توصلت إليها البحوث العلمية ودقتها؛ فإن ذلك لا يعارض ما هو موجود في روايات المعصومين.

---

=ليصبح أبا الإنسان المميز بالعقل المقيد بالشرائع.. عن موقع ويكيديا.

إذا كان ما تم إيرادها أنفاً صحيحاً فإن التفريق بين البشر واعتبار أن البشر كانوا خلفاً سابقاً على الإنسان، يعترضه استعمال القرآن الكريم اللفظين بمعنى واحد، فقد ورد على لسان الأنبياء (إنما أنا بشر مثلكم..). وأنهم يندرون البشر (نذيراً للبشر).. وأمثال ذلك.

نعم يمكن قبول كلامه في أن قبل آدمنا كان هناك خلق (في رأيه غير متطور) وأنه لم يكن مكلفاً حتى خلق الله البشر ونفخ فيه من روحه وبعث له الأنبياء.. فإن ذلك يحتاج إلى إثبات. لكن أصل الفكرة في وجود خلق آخر، وعوالم سابقة.. هذه الفكرة تتوافق مع ما ورد عن أهل البيت وأشرنا إليه في المتن.



## آدم النبي رأس الخير والبركة

إن الآية المباركة التي يصف بها ربنا سبحانه نبيه آدم بأنه الخليفة، ينبغي أن تنبها إلى بركات آدم على البشر والحياة، فإنه مما يؤسف له أن النبي آدم مغموط الحق مع أن هذه الحضارة الموجودة لدى البشر هي فرع عن وجود البشر أنفسهم، إن النظر إلى المنجزات الأخلاقية والعلمية والخيرات والبركات التي نراها في عالم الإنسان هي عائدة له ﷺ بنحو من الأنحاء، فلولاه لما كان شيء إذ لا وجود لأحد!

ربما يكون لهذا السبب أن عددًا غير قليل من الزيارات<sup>(١)</sup> التي يزار بها المعصومون تبدأ بذكر السلام على آدم (صفوة الله).

## هل هناك ١٢٤ ألف نبي ورسول؟

ثم إنه كان آدم بداية سلسلة الأنبياء والمرسلين، فمنه انتسل ما يصل إلى مائة وأربع وعشرين ألف نبي، كما هو المعروف بين المسلمين في المدرستين - الشيعية والسنية -.

إن هذا العدد هو المشهور في اعتقادات المسلمين، ويظهر أن من مستنداته رواية في مصادر مدرسة الخلفاء<sup>(٢)</sup> عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ وفيها أن عدد الأنبياء

(١) وفي زيارة الناحية المقدسة للإمام الحسين ﷺ أول ما يبدأ الزائر بتدعى بالتسليم على الأنبياء، حوالي ٢٥ أو أكثر في تلك الزيارة يُسلم عليهم الإنسان المؤمن كموقف طبيعي للإنسان المؤمن تجاه هذه القامات الإلهية وحجج الله على البشر، فهم قد هدوه إلى صراطٍ مستقيم، وأقاموا الأخلاق والدين، وفي طليعة أولئك نبينا آدم ﷺ.

(٢) عن أبي ذر قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في المسجد فاغتمت خلوته فقال لي يا أبا ذر إن للمسجد تحية ركعتان فركعتهما ثم قلت يا رسول الله إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر ثم ذكر الحديث إلى أن قال قلت كم النبيون قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي قلت كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وذكر باقي =

مائة وأربع وعشرون ألف نبي منهم ثلاثمائة رسول، والأكثر من رجالي ومحدثي مدرسة الخلفاء على تضعيف هذه الرواية.. وإن كان بعضهم الأقل قد صححها لغيرها.

وأما في مدرسة أهل البيت فقد أورد الشيخ الصدوق رواية مفصلة<sup>(١)</sup> تتشابه مع ما هو موجود مختصراً في مصادر مدرسة الخلفاء كذلك توجد رواية أخرى تروى عن زين العابدين تشير بطريق غير مباشر إلى عدد الأنبياء (من أحب أن يصفحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم)،<sup>(٢)</sup> وفي الثالثة يرويها السيد عبد العظيم الحسيني عن الإمام الجواد عليه السلام أن عدد الأنبياء مئة وأربع وعشرون ألف نبي.

وعلى أي حال فإن هذا العدد متسالم عليه عند الإمامية لكنه عند توجه المحدثين

---

= الحديث وتعقبه الذهبي في تلخيص المستدرک فقال: قلت السعدي ليس بثقة.. ويكاد الأكثر أن يتفقوا على ضعف سنده بطرقه المختلفة.

(١) الصدوق؛ محمد بن علي بن بابويه: الخصال ١/ ٥٢٥ جاء فيها: قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا قلت: من كان أول الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياء مرسلًا، قال: نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه. ثم قال عليه السلام: يا أبا ذر أربعة من الأنبياء سريانين: آدم وشيث وأخنوخ، وهو إدريس عليه السلام - وهو أول من خط بالقلم - ونوح عليه السلام. وأربعة من الأنبياء من العرب: هود وصالح وشعيب ونيك محمد. وأول نبي من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وستمائة نبي، قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.. ولا يظهر أن سندها تام.

(٢) المجلسي، العلامة محمد باقر: بحار الأنوار ١١ / ٣٣ ناقلا عن كامل الزيارات.



والسلفين في مدرسة الخلفاء غير ثابت. ويشير إلى هذا التسالم ما ذكره الشيخ الصدوق: اعتقادنا أن الأنبياء مئة وأربع وعشرون ألف نبي، وأن الأوصياء مئة وأربع وعشرون ألف وصي، وعندما نقله الشيخ المفيد لم يخالفه.<sup>(١)</sup>

هذا كله مع أن هناك مجالاً للبحث والسؤال حول الأمور التالية:

١. كثرة العدد قياساً إلى المدة الزمانية التي يفترض أنهم بعثوا فيها والتي تقدر بحوالي ثمانية آلاف سنة إلى زمان رسول الله ﷺ. لا سيما مع إضافة العدد الذي ذكره الشيخ الصدوق من الأوصياء وهو أيضاً مائة وأربعة وعشرون ألف وصي.

إن هذا يعني أن يكون هناك خمسة عشر نبياً ومثلهم من الأوصياء في كل سنة! ويشدّد السؤال الحاحاً إذا ما علمنا أن بعض الأنبياء كانت فترات عمرهم طويلة جداً كآدم ﷺ حيث قيل إنه عمّر حوالي ألف سنة ونوح وهو كذلك ممن عمر وهكذا!

٢. إننا لو أخذنا الفترة التي تشرف فيها البشر بمحمد رسول الله وأهل بيته الأوصياء مثلاً سنجد أن هذه الدورة قد استمرت أكثر من ربع قرن من الزمان واحتضنت خير الرسل محمداً واثني عشر من أوصيائه البررة. فلو جعلناها مقياساً لكان توزيع العدد المذكور من المائة وأربعة وعشرين ألف نبي ومثلهم من الأوصياء يعود أشد إشكالاً.

إلا أن يقال إن العدد ناظر إلى دورتنا البشرية وغيرها، والأرض التي نعيش فيها وغيرها.

٣. إنه يظهر أن الأصل الأول للعدد في الدائرة الإمامية هو رواية الصدوق عن أبي ذر في كتابي معاني الأخبار والخصال.. وهي لا تتم سنداً في كلا الكتابين وفي طريقها

(١) المفيد؛ الشيخ محمد بن النعمان: الاعتقادات ١/ ٩٤.

عدد من الرواية غير الاماميين ولم يوثقوا، ولعل من هؤلاء حيث لم يكونوا اماميين انتقلت الرواية الموجودة في مصادر مدرسة الخلفاء إلى مصادر الإمامية وقد عرفت أن محدثي تلك المدرسة قد ضعفوها بحسب مبانيهم.

وأما ما في مصادر الإمامية فمنها: ما جاء في كامل الزيارات عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام، بسند معتبر:

«من أحب أن يضافحه مئة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أولو العزم من الرسل» فإن هذه الرواية وإن كانت في صدد الحديث عن ثواب زيارة الامام الحسين عليه السلام إلا أنها أخذت عدد الأنبياء المذكور مفروغا عنه.

وقد ذكر الصدوق في الخصال ثلاث روايات<sup>(١)</sup> بعبارة واحدة وأسانيد مختلفة لكنها غير تامة.

كما أن محمد بن الحسن الصفار نقل في بصائر الدرجات روايتين<sup>(٢)</sup> لا بأس بسنديهما

(١) الخصال ١/ ٦٤٠ منها عن النبي: خلق الله ﷻ مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله ﷻ مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي، فعلي أكرمهم على الله وأفضلهم.

(٢) الصفار القمي، محمد بن الحسن: بصائر الدرجات ١/ ١٢١: ١/ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بُكَيْرِ الْهَجْرِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ أَوَّلَ وَصِيِّي كَانَ عَلِيٌّ وَجِهَ الْأَرْضِ هَبَّةُ اللَّهِ بِنُ أَدَمَ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ مَضَى إِلَّا وَلَهُ وَصِيٌّ كَانَ عَدَدُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ مِائَةَ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ خَمْسَةٌ مِنْهُمْ أَوْلُو الْعِزْمِ نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ ﷺ وَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام هَبَّةُ اللَّهِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ وَرِثَ عِلْمَ الْأَوْصِيَاءِ وَعِلْمَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ أَمَا إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَرِثَ عِلْمَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَعَلَى قَائِمَةِ الْعَرْشِ مَكْتُوبٌ حَمْرَةٌ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِ اللَّهِ



تنصان على هذا العدد.

وقد يعارضهما ما نقل في كتاب الاختصاص<sup>(١)</sup> للشيخ المفيد رحمه الله؛ ففي رواية (سندها معتبر!) ذكر فيها أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وأربعون ألفاً، وفي أخرى (غير

وسيد الشهداء وفي زوايا العرش مكتوب عن يمين ربها وكلمنا يديه يمين علي أمير المؤمنين ﷺ فهذه حجتنا على من أنكرك حقاً وجددنا ميراثنا وما منعنا من كلام وأماننا اليقين فأي حجة تكون أبلغ من هذا.

٢/ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَبَلَةَ عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ عَنْ أَبِي حَمَزَةَ الشُّمَالِيِّ عَنْ أَبِي الْحِجَازِ قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَتَمَ مِائَةَ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفِ نَبِيٍّ وَخَتَمْتُ أَنَا مِائَةَ أَلْفِ وَصِيٍّ وَأَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفِ وَصِيٍّ وَكُلُّتُ وَمَا تَكَلَّفَ الْأَوْصِيَاءُ قَبْلِي وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ لَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَصِلَ بَعْدَ الْهُدَى وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكَ فُسْطَاقَ فُرَيْشٍ وَعَادِيَتَهُمْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَيَّ أَنْ تُلْثِي الْقُرْآنَ فِينَا وَفِي شِيعَتِنَا فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ فَلَنَا وَلِشِيعَتِنَا وَتِلْكَ الْبَاقِي أَشْرَكْنَا فِيهِ النَّاسَ فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ شَرٍّ فَلِعَدُونِنَا ثُمَّ قَالَ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِلَى آخِرِ آيَةِ فَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَشِيعَتُنَا أَوْلُو الْأَلْبَابِ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ عَدُونُنَا وَشِيعَتُنَا هُمُ الْمُهْتَدُونَ.

(١) عن الاختصاص ٢٦٤: قال: وحدثنا أحمد بن محمد بن يحيى، عن أبيه، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، عن علي بن مظهر، عن الحسن [بن] الميثمي، عن رجل عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أبو ذر: يا رسول الله كم بعث الله من نبي؟ فقال: ثلاث مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي، وفي نفس الصفحة والكتاب قال ما يلي:

الاختصاص ٢٦٤ روي عن ابن عباس أنه قال: أول المرسلين آدم ﷺ وآخرهم محمد صلى الله عليه وعليهم وكانت الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي، الرسل منهم ثلاث مائة وخمسة وأعجب منه في صفحة سابقة ٢٦٣ قال: جماعة من أصحابنا، عن محمد بن جعفر المؤدب قال: حدثنا عدة من أصحابنا، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن علي بن أسباط، عن الحسن بن زياد، عن صفوان بن مهران الجمال، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال لي يا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبي؟ قال: قلت: ما أدري قال: بعث الله مائة ألف نبي وأربعة وأربعين ألف نبي ومثلهم أوصياء.

تامة السند) ارتفع العدد إلى ثلاثمائة وعشرين ألف نبي وفي نفس الصفحة نقل بعنوان روي عن ابن عباس أنهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي.

وبالرغم من أن الشيخ ناصر مكارم الشيرازي؛ تبعاً للعلامة المجلسي قد حاول رفع التناقض بين ما هو معروف من أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً وبين ما جاء في رواية عن أنس بن مالك عن النبي أنه قال: «بعثت على أثر ثمانية آلاف نبيٍّ، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل» بالقول: هذان الحديثان لا يتناقضان فيما بينهما، إذ يمكن أن يكون الحديث الثاني قد أشار إلى الأنبياء العظام، كما يذكر ذلك العلامة المجلسي في توضيح هذا الكلام<sup>(١)</sup>.

لكنه لم يسع لحل الاختلاف الموجود كما ذكرناه أعلاه! ولا أعلم هل التفت إليه وترك البحث فيه أو لا؟

هذا بالإضافة إلى أنه يمكن القول في نفس المورد هل أن الأنبياء العظام ثمانية آلاف؟ خصوصاً وأن هناك رواية أخرى عن أنس بن مالك أن عدة الأنبياء ثمانية آلاف!

ولم يتعرض القرآن الكريم لذكر عدد الأنبياء والرسل وإنما أخبر أنه قد ذكر قصص بعض الأنبياء وترك البعض الآخر.

والمذكور في القرآن من المرسلين خمسة وعشرون ذكر منهم في سورة الأنعام في ثلاث آيات ثمانية عشر نبياً ورسولاً، يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيَّ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى





وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ \* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾  
توزع ذكر هؤلاء وآخرين على كثير من السور القرآنية الأخرى.

## هل هناك أنبياء خارج الشرق الأوسط؟

يثار سؤال حاصله: أننا نلاحظ أنّ جغرافية حركة الأنبياء والرسول هي الشرق الأوسط تقريباً، الجزيرة العربية، مكة، المدينة، والعراق جنوبه وشماله، وبعض أطراف تركيا الجنوبية أنطاكيا ومصر، وبلاد الشام، فلسطين، وسوريا، وربما بعض أطراف لبنان، أمّا باقي الأماكن فلا نجد ذكراً لأنبياء عندهم كالصّين - مثلاً - فهل هناك نبيّ صينيّ؟ أو اليابان؟ أو أمريكا؟ أو أنّه لا يوجد أنبياء هناك؟

وللإجابة على هذا السؤال نذكر عدّة مقدمات:

أولاً: أنّ التّوزيع السُّكّاني للبشر في جغرافيا العالم لم يكن دائماً وبالضرورة هو ما نراه اليوم، يعني اليوم الصين مليار ويزيدون، ولكن هل كان هذا العدد موجوداً قبل عشرة آلاف سنة في نفس المنطقة؟ أو أنه أساساً هل كانت مستوطنة وفيها بشر؟ وهكذا الحال بالنسبة إلى باقي المناطق.

إن من الشواهد على هذه الفكرة مكة المكرمة، فمكة التي هي الآن قبلة المسلمين مزدحمة على مدار السنة، وكانت محل هجرة الناس وتوجههم منذ نشأ فيها نبيّ الله إسماعيل (عليه السلام)، لم تكن كذلك قبل مجيء نبيّ الله إبراهيم وإسماعيل إليها، بل كانت أرض مكة قاحلة مهجورة مدة طويلة من الزمان.

بينما اليوم تجد عكس ذلك، فليس التوزيع الجغرافي للعالم في كل الفترات التاريخية كان بنفس ما نراه الآن، هذا أولاً.

ثانياً: إننا نعتقد أنه إذا وُجد بشر في تلك المناطق، وفي أيّ مرحلة تاريخية من المراحل، فإن القاعدة تقتضي أن يبعث الله رسولاً على تلك المناطق، أو من يبعثه الرسول، وهذا راجع إلى ما تقرر في علم الكلام من أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق البشر عبثاً ولا تركهم سدى وإنما خلقهم لعبادته، ولذا لا بد أن يقيم عليهم الحجة بالإضافة إلى دلالة العقل ببعث الرسل أو أوصيائهم، وإلا كان خلقهم عبثاً وبلا هدف، وهو أمر يتعالى عنه الخالق الحكيم ويتقدس.

إن ما يقرره القرآن الكريم أنه ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وأنه ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وتقرير أنه لا توجد أمة من الأمم إلا ولها رسول يبشر وينذر ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾. وبالطبع لو لم يبعث الله الرسل أو أوصيائهم لانخرمت قاعدة: ﴿لَيْتَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ والحال أنه تعالى هو صاحب الحجة ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ هذا كله يقتضي أنه ما دام يوجد بشر قابل للتكليف، فلا بد أن يكون قد أرسل إليهم رسله، نعم، نحن لا نعلم عن ذلك! وهل هذا هو الشيء الوحيد الذي لا نعلمه؟ إن ما نجهله هو أضعاف ما نعلمه بآلاف المرات! إننا لا نعلم من الرسل سواء كانوا مائة وأربعة وعشرين ألفاً أو عشر هذا العدد، إلا من قصهم القرآن أو الكتب السماوية الأخرى علينا أو جاءت بأخبارهم السنة عن المعصومين، وإلا لولا هذا وذاك لكنا نجهل حتى هذا المقدار البسيط من أسمائهم وحياتهم وشرائعهم!

وبالإضافة إلى القاعدة الدينية المؤسسة في علم الكلام قد تشير إليه أيضاً التجربة التاريخية، فإن المسيح عيسى بن مريم كان في فلسطين، ولكن مع ذلك بعث إلى أنطاكية مبعوثين من قبله، مع بعد المسافة والفاصلة بين فلسطين وتركيا مع ذلك ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.



وفي حياة سيد الرسل المصطفى محمد ﷺ ما يشير إلى ذلك حيث بعث برسائله ودعوته إلى من كان موجودا في زمانه من الأمم والشعوب، فبعث رسله ورسائله إلى كسرى فارس وإلى قيصر الروم وإلى مقوقس الاسكندرية في مصر وإلى نجاشي الحبشة قبلهم بواسطة ابن عمه جعفر بن أبي طالب. وهذه هي المجتمعات الكبرى التي كانت سائدة في ذلك الزمان.

## هل كان أرسطو نبيا؟

يعتقد بعض فلاسفة العصر بأن الفلاسفة المعروفين في تاريخ البشر أمثال أرسطو<sup>(١)</sup> وأفلاطون كانوا موحدين، بل يرون أن الحكمة والفلسفة التي كانت لديهم، تتصل بمنابع التوحيد من خلال أنبياء أو أوصياء عاصروهم في زمانهم أو استفادوا منهم قبله! فإن الملا صدرا<sup>(٢)</sup> يعتبره من ضمن الخمسة اليونانيين الأكابر، ويذكر هذا

(١) أرسطوطاليس (توفي ٣٢٢ ق.م) فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون وأستاذ الاسكندر المقدوني، تغطي كتاباته مجالات عدة، منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان. وهو واحد من أهم مؤسسي الفلسفة الغربية.

وأفلاطون (توفي ٣٤٧ ق.م) فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضياتي، تلميذ سقراط ومعلم أرسطو، كاتب لعدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم الغربي. وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم، كان تلميذاً لسقراط، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدامه الظالم.

(٢) الملا صدرا: محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي توفي سنة ١٠٥٩ هـ فيلسوف إمامي، ودرس في اصفهان على يد: الشيخ البهائي، والميرداماد، له حوالي ٤٠ كتابا منها وأهمها «الاسفار الأربعة في الحكمة المتعالية» و«تفسير سورة الواقعة» و«الشواهد الربوبية» وغيرها، اشتهر بنظريته التي حاول فيها الجمع بين البرهان والقرآن والعرفان، وسماها بالحكمة المتعالية. بل وواجه معارضة واسعة من الفقهاء اضطر على أثرها أن يعتزل خارج قم في منطقة ويتفرغ للكتابة والتأليف. والعلماء =

الأمر بهذا الشكل: «أرسطاطاليس قدس الله نفسه، وأشركنا الله في صالح دعائه وبركته، ولقد أشرقت أنوار الحكمة في العالم بسببه، وانتشرت العلوم في القلوب لسعيه وكأنه مقتبس نور الحكمة من مشكاة النبوة».

ويعرفه الميرزا مهدي الآشتياني<sup>(١)</sup> بهذه الألقاب: «إمام الحكماء المتألهين، معلم الفلاسفة المشائين، أرسطاطاليس، حكيم أفاض الله تعالى عليه من شآبيب فيوضات عالم القدس والملكوت، وحضرة الرحمة والرهبوت».

ويعتبره بعض المعاصرين (ويشير الكاتب إلى الشيخ عبد الله جوادي الأملي)<sup>(٢)</sup> مع سقراط تلميذ حضرة نبي الله إبراهيم<sup>(٣)</sup>. بل ربما يستفاد من كلمات الشيخ حسن زاده الأملي أنه يوافق على القول بأن أرسطو كان نبياً، بل عدد من الفلاسفة الذين خفي على الناس حالهم ولم يعرفوا نبوتهم!<sup>(٤)</sup>

= بالنسبة له بين مبالغ في المدح ومبالغ في الذم..

(١) الميرزا مهدي الآشتياني (توفي ١٣٧٢ هـ) فيلسوف إمامي، و«عالم فقيه من أئمة الاجتهاد والتقليد والبيان والخطابة والكلام»

من أهم أساتذته السيّد محمّد كاظم اليزدي، الشيخ فضل الله النوري.. ومن أهم تلامذته الشيخ مرتضى المطهّري، الشيخ محمّد تقي الجعفري، السيّد علي السيستاني.. وغيرهم.

(٢) ألقى آية الله الشيخ جوادي أملي محاضرة في مؤتمر الدين والفلسفة - كما جاء في مجلة نصوص معاصرة - ذكر فيها «إن تاريخ الشرق الأوسط الحديث يثبت أن أرسطو وسقراط (وغيرهما من الفلاسفة) كانوا بأجمعهم من تلاميذ النبي إبراهيم...» لقد عمّ فكر النبي إبراهيم ربوع الشرق الأوسط، وعليه تربّى إفلاطون وأرسطو». وقد عارضه في هذه الفكرة أكثر من باحث وتجد تفاصيل ذلك في مجلة نصوص معاصرة، وأرخت بعض تلك المقالات ٣/٣/٢٠١٨.

(٣) منطق توحيد أم منطق شرك؟ مقالة الأستاذ ياسر فلاحي في مجلة نصوص معاصرة، ترجمة: الشيخ كاظم خلف العزاوي مؤرخة ٢٠١٧/١٠/٠٣ الكترونية قرئت بتاريخ ١٢/١٠/١٤٤١

<https://nosos.net/category>

(٤) فإنه في حاشيته على كشف المراد في تجريد الاعتقاد / ٢٠٥ ط جماعة المدرسين بقم، قال: قال



وقد رد الكاتب للمقالة الرأي المذكور بقوة - والكاتب هو من أنصار المدرسة التفكيكية<sup>(١)</sup> المخالفة للتوجه الفلسفي - واستشهد بأقوال تنسب إلى أرسطو تشير إلى اختلاف واسع بين نظرتيه لإله الكون وبين النظرة الدينية السماوية. فليراجع في موضعه من المقال.

إلا أنه لا يخفى أن هناك رأياً لا يقف عند الفلاسفة فقط وإنما إلى غيرهم من الحكماء وأهل الخير ممن كانوا في التاريخ يحاول نسبة النبوة أو الوصاية أو الحجية الإلهية لهم بنحو من الأنحاء، فهناك من يحتمل بالإضافة إلى أرسطو وقد سبق ذكره أن يكون ذو القرنين، كذلك وهكذا لقمان الحكيم! وقد ورد ذكرهما وقصتهما في القرآن الكريم من دون إشارة واضحة إلى موضوع النبوة. بل احتمال بعضهم في بوذا وكونفوشيوس كذلك.. وسيأتي الحديث حول بوذا بالخصوص وما قاله بعضهم من شواهد اعتبرها

---

العالم الأوحدي محمد الديلمي في محبوب القلوب (ص ١٤ ط ١): يروي أن عمرو بن العاص قدم من الإسكندرية على سيدنا رسول الله ﷺ وسلم فسأله عما رأى؟ فقال: رأيت قوما يتطلسون ويجمعون حلقا ويذكرون رجلا يقال له أرسطو طاليس لعنه الله. فقال صلوات الله وتسليماته عليه وآله: مه يا عمرو! إن أرسطو طاليس كان نبيا فجعله قومه. قال الديلمي: قال الفاضل الشهرزوري في تأريخ الحكماء: هكذا سمعناه. ثم قال الديلمي: أقول ويؤيد هذه الرواية ما نقل السيد الطاهر ذو المناقب والمفاخر رضي الدين علي بن طاووس قدس الله روحه في كتابه فرج المهموم في معرفة الحلال والحرام من علم النجوم قولاً بأن ابرخس وبطليموس كانا من الأنبياء، وأن أكثر الحكماء كانوا كذلك وإنما التبس على الناس أمرهم لأجل أسمائهم اليونانية، أي لما كانت أسماؤهم موافقة لأسماء بعض حكماء يونان الذين ينسب إليهم فساد الاعتقاد اشتبه على الناس حالهم وظنوا أن أصحاب تلك الأسماء بجمعهم على نهج واحد من الاعتقاد.. انتهى كلامه.

أقول: الحديث المنقول عن رسول الله عند الطائفتين غير ثابت بل ذكر بأنه موضوع.

(١) لمعرفة معالم هذه المدرسة الفكرية ورجالها ورأيها في الفلسفة يراجع كتابنا: من أعلام الإمامية.. عند

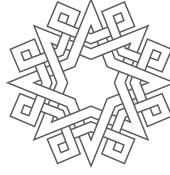
الحديث عن ميرزا مهدي الاصفهاني

تدل على نبوته.<sup>(١)</sup>

والصحيح هو أنه لا يثبت كون شخص نبياً أو وصياً ما لم يأت إخبار من الوحي سواءً كان نص الكتاب السماوي أو كلام المعصوم من نبي أو وصي، وإلا فإن مجرد كونه عبداً صالحاً أو ممن آتاه الله الحكمة أو مصلحاً اجتماعياً أو غير ذلك لا يكفي في الحكم عليه بالنبوة.

نعم لا مانع من الثناء على من أثنى عليه من جهة كتاب الله أو من المرسلين أو الأوصياء، ولكن نسبة النبوة إليه أو الوصاية تحتاج إلى دليل واضح وقوي.

(١) راجع فصل: بوذا هل هو نبي؟



## الحاجة إلى الدين في عصر العلم<sup>(١)</sup>

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ترتبط قصة الأنبياء وبعثتهم إلى البشر بموضوع الحاجة البشرية إلى الدين، تتطلب هذه الحاجة الأكدية في نفس الإنسان أن تُلبى من خلال مبعوثين عن الله ﷻ يكونون الواسطة بين الخلق وبين ربهم. ولذلك يشار إلى أن خلق الرسول والخليفة في بداية هذه الدورة البشرية سابق على خلق البشر والخليقة ومتقدم عليهم.

(١) مع قيامي بإعادة صياغة هذه الصفحات، استذكرت العلامة المحقق المرحوم السيد عبد الستار الحسيني رضوان الله عليه، وقد توفي قبل عدة أشهر، وكان قد تفضل عليّ بكلمات التشجيع بمناسبة مشاهدته لهذه المحاضرة على التلفزيون، فأحببت بإيرادها أن يذكر بالرحمة وأوصي من يقرأ هذه الصفحات بقراءة الفاتحة لروحه الطيبة، فإنه وجه رسالة صوتية تجدها على قناتنا على اليوتيوب، وتجد نصها كتابيا في آخر هذا الكتاب مع الملحقات - مع أنني أرى أن المرحوم قد بالغ في الشناء منطلقاً من طيب نفسه ونفسه ولعله لأجل تشجيع أمثالي فجزاه الله أحسن الجزاء.

ويعتبر موضوع الحاجة إلى الدين من المواضيع المهمة والمتجددة كل العصور، وبالذات في عصر العلم الذي نعيشه، فإنه يتجدد مع كل تأثير غربي وافد، ويواجه مبتعثينا وطلابنا وجيلات المسلمة في تلك البلاد، بل ويفد إلينا أيضًا ضمن ما يفد من الثقافة والتأثير الغربي. يجادل المخالفون؛ بأنه لا يحتاج الإنسان إلى الدين في هذا الزمان، ولا داعي للإيمان؛ لأنَّ عصر الدين قد انتهى، ونحن نعيش الآن في عصر العلم.

يقولون: بأن تفسير الدين للأشياء، وكشفه عن الحقائق، كان مقبولاً في فترة زمنية ماضية، حيث يحتاج الإنسان إلى إجابة على أسئلته، عن قضايا الكون وما يجري فيه، أما الآن فحيث تولى العلم هذا الدور وبنى أجوبته على أساس دقيق فلا حاجة لسؤال الدين ولا لإجاباته! وهذا الكلام لا يرتبط بالمسلمين فقط وإنما يواجه عموم المؤمنين بالأديان، سواء كانوا من اليهود أو المسيحيين أو من المسلمين.

إنهم يقسمون الزمان الذي مر ويمر على الإنسان إلى ثلاثة عصور:

العصر الأول: عصر الخرافة.

العصر الثاني: عصر الدين.

العصر الثالث: عصر العلم التجريبي.

## العصر الأول: عصر الخرافة

يقول الزاعمون عدم الحاجة إلى الإيمان: كان الإنسان في الأزمنة السَّحيقة يرى الأحداث حوله ولا يملك لها تفسيرًا، يرى البراكين والزلازل والعواصف والأمواج والخسوف والكسوف والظواهر الطبيعية، ويرى الحيوانات المفترسة والقوية فلا يملك





تفسيرًا لهذه القوى التي تدمّر ما أمامها، لا يدري لماذا تحدث الزلازل والفيضانات؟ ولماذا تثور البراكين؟ ولماذا تُكسّف الشمس؟ ولماذا يأتي الليل؟

وحيث أنه لا يعلم أسبابها وعواملها فإنه يتصوّر - هكذا يقولون - أن هناك أسرارًا غيبية في داخل هذه المخلوقات، وقوى روحية مجهولة ضخمة في داخل البركان، وأرواحًا هائلة قوية في داخل الزلازل، وأسرار غير معروفة تغيب الشمس أو تأتي بالليل، ولأنّها أقوى منه وأكبر خضع لها وخاف منها وتوسّل إليها وعبد بعضها، وقرب القرابين لأجلها، كل هذا من أجل أن يرد سطوة هذه الأشياء الخارقة الأقوى منه. إنه لكي يتقي شرها عبدها واحترمها وقرب إليها القرابين. هذه المرحلة الأولى، ويطلقون عليها أسماء مختلفة منها: المرحلة الطوطمية، وهذه كانت أسس عبادة الإنسان القديم.

## العصر الثاني: عصر الدين

يقول هؤلاء: بعد ذلك بدأ عصر الدين حيث تطوّر الإنسان في مداركه العقلية وجرب الأشياء وتركزت ملاحظاته، فبدل أن يقول كل شيء فيه روح مخيفة وقادرة؛ جمعها كلها فافترض وجود قوة خارقة سمّاها مثلاً (الله)، سمّاها (المعبود)، وافترض أنه موجود في مكان عالٍ في السماء، فهو المسيطر على كل الأشياء، وهو المسير لكل هذه الأشياء، ومن هنا يقول هؤلاء نشأت فكرة الإيمان بالقوّة القادرة الواحدة، بدل أن كانوا يقدرّون روح البركان والثعبان والفيضانات والزلازل، حدث أن جمعوها كلّها في قوة قادرة واحدة والتي اعتبروها هي المتفرّدة بإدارة هذا الكون.

يضيف هؤلاء أنّه في هذه الفترة أيضًا جاء جماعة (من يسميهم المؤمنون الرسل)، هؤلاء كانوا من الأذكياء الفاهمين، وأقنعوا (!) الناس بأنّ بينهم وبين تلك القوة

ارتباطاً خاصاً، وساقوا الناس في اتجاه الإيمان بتلك القوة المفترضة، فنشأ عصر الدين.

## العصر الثالث: عصر العلم

إلا أنه -يقول أصحاب هذه الفكرة- على أثر تقدّم الإنسان في عقله وعلمه ترك الخرافات التي تعود للعصر الأول عصر الخرافة بل ما كان يعتقد في عصر الدين، وأصبح يجد أجوبته الحقيقية في العلم من خلال استخدامه للمناهج العلمية كالتجريبي وأمثاله.

إن الطلاق الذي حصل في الغرب بين الكنيسة الأوربية بل والحالة الدينية عموماً وبين العلماء الطبيعيين، الذين أصبحوا أكثر قدرة على تفسير الظواهر الكونية والكشف عن أسرارها أشعر الإنسان أنه لا يحتاج إلى الدين في حياته حاجة أساسية! ولا ينتظر منه تفسيراً لما في الطبيعة! واكتشف أن ما كان يؤمن به أسلافه لا يخرج عن كونه خرافات ليس لها أصل معتمد. فالخسوف والكسوف لا يخضع للأرواح ولا القوى الخفية ولا أحد يقضم الشمس ولا يأكل من القمر وإنما هي معادلة فلكية يمكن حسابها والتنبؤ بحدوثها قبل عشرات السنين من حصولها! وأن الزلازل ليست بسبب غضب الرب على العباد وإنما هي بسبب معروف يحدده علماء الجيولوجيا وطبقات الأرض بتحرّك الصفائح الأرضية ضمن نظام معيّن.

فما دام يعرف أسباب هذه الظواهر ووقت حدوثها فلا معنى لأن يصلي صلاة الآيات لأجل هذه الحوادث كما يفعل المسلمون؟ لذلك استغنى الإنسان -كما يقول هؤلاء- عن الحاجة إلى الدين في تفسير مظاهر الطبيعة، وما يترتب على ذلك الجهل من الحاجة إلى الغيب والعبادة للمجهول. ويقولون إنه كلما زادت معرفة الإنسان بعالم الطبيعة والأسباب والعلل المتحكمة فيه، اتّجه باتجاه العلم وترك الدين. فهو إذا كان



يعرف خمسين بالمائة من الأسباب ويجهل خمسين بالمائة يكون متدينًا بهذا المقدار، وأما لو عرف أكثر الأسباب فإنه يترك الدين!

### جواب المؤمنين حول ضرورة الإيمان

للمتدينين المؤمنين: وهم كما ذكرنا أعم من خصوص المسلمين، فيشمل الحديث عنهم عموم من يتدين بدينٍ إلهي، مسيحيين كانوا أو يهودًا أو مسلمين.. جوابان:

الأول: ما يعبر عنه بالجواب النقضي. والجواب النقضي يراد منه تحريب ونقض كلام الطَّرَف الثاني فحسب.. بشكل من أشكال التخريب. مثلما لو قال أحدهم: أهل هذه البلدة مؤمنون، فلا تحتاج لكي تثبت خطأ كلامه سوى أن تريه شخصًا واحدًا غير مؤمن منها، وبهذا تنهي نظريته.

ضمن هذا الجواب النقضي يردّ المؤمنون وأتباع الديانات على هذه النظرية بالقول؛ إن مقتضى كلامكم: بأنه كلما تقدّم الإنسان في العلم ترك الإيمان والدين، أن يكون عدد المتدينين والمؤمنين يتناقص ويقل عما كان عليه في الأزمنة الماضية! والحال أن هذا مخالف للوجدان والواقع!

إنكم تقولون إنه مع ظهور الثورة العلمية مع بدايات سنة ١٦٠٠م فصاعدًا، والتوجه نحو العلم قفز المجتمع البشري قفزات هائلة في معرفة الطبيعة وأسرارها، والحوادث الكونية وعواملها ولا يزال يتطور في هذا الاتجاه.. وهذا يقتضي بحسب كلامكم أن يكون هناك تراجع في عدد المؤمنين والمتدينين في العالم، ونموّ في اتجاه المنكرين للإيمان والمستغنين عن الدين.

بينما تقول الإحصائيات إنّ العالم اليوم الذي يقترب من ٨ مليارات نسمة، لا

يوجد بينهم سوى ١٦٪ منهم غير متدينين، بين (ملحد)<sup>(١)</sup> و(لا أدري)، ويعني ذلك أن ٨٤٪ من البشر يستشعرون الحاجة إلى الدين ويصنفون على توجه الإيمان (بغض النظر عن التزامهم الديني الفعلي الصارم). هذا بالرغم من العوامل الكثيرة التي تدعو للتخلي عن الدين، من غلبة الشهوات النفسية، ومن الأحزاب الالحادية، والاتجاهات العبثية، والضغط السياسية وغيرها!

إن مثل هذه الاحصائيات سواء كانت دقيقة جدًا أو كانت تقريبية تنقض ما سبق للقائلين بعدم الحاجة للدين نظريتهم.. فإنه على حسب نظريتهم مادام الناس قد خرجوا من عصر الدين إلى عصر العلم فلم يبق إلا نسب بسيطة من المتدينين مع كل هذا التقدم العلمي الحاصل، خصوصًا وقد مر على دخول البشر عصر العلم حوالي أربعة قرون من الزمان.

هذا الجهة الاحصائية تنقض نظريتهم بالكامل. هذا من الناحية الكمية. وكذلك يُنقض كلامهم ونظريتهم من الناحية الكيفية: إذ من المفروض بناء على كلماتهم أنه كلما زاد الإنسان علمًا ازداد إحدًا وبعدها عن الدين، لكننا نجد عكس ذلك تمامًا، وهذا ملحوظ في الأمم المختلفة، فإننا نرى في المسيحيين مئات الألوف من العلماء وأصحاب الكفاءات وهم يعتقدون بالدين ويستشعرون الحاجة للإيمان. والأمر كذلك -بل أوضح- في الأمة الإسلامية وسر ذلك هو ما قاله صاحب كتاب (العلم

(١) يفرقون بين الاصطلاحين، بأن الالحاد هو الكفر بالإله والاعتقاد بعدم وجوده فالملحد ينفي وجود الله، بينما اللادرية كما يتبين من نفس اللفظ هو عدم الكفر وعدم الإيمان بالله، وعدم اختيار قرار مع أو ضد وجود الله. فهو لا يدري هل هناك إله أو لا يوجد ويرى أن الأمر لا سبيل إلى معرفته، فهو لا مؤمن بالله ولا كافر به!

واللاأدرية هو عدم اختيار قرار مع أو ضد وجود الله.



يدعو إلى الإيمان<sup>(١)</sup> والذي يبين فيه هذه الحقيقة؛ وهي أنّ هذا الكون قائم على نظام دقيق جداً، بحيث من يتعمق فيه لا يملك إلا أن يعترف بالله ﷻ، وأن يسلم له ويؤمن به.. هذا مثال من السابق.

وأما الآن فما يذكر عن فرنسيس كولينز (ولد ١٤ ابريل ١٩٥٠) وهو عالم جينات، عرف عنه اهتمامه بأبحاث جينات الأمراض وعلم الوراثة عموماً وعرف بريادته لمشروع الجينوم البشري. وهو صاحب كتاب «لغة الله: العلم يقدم دليل الإيمان». وكان قد نشأ في أسرة لا تهتم بالدين وانتهى في شبابه إلى الالحاد،<sup>(٢)</sup> إلا أنه وقف منبهراً أمام عظمة الله سبحانه في الخلق ويقول ما ترجمته «بصفتي مدير مشروع الجينوم البشري، قُدتُ مجموعة من العلماء لقراءة ١, ٣ مليار حرف في الجينوم البشري؛ كتاب التعليمات الجيني الخاص بنا! كمؤمن؛ أرى الحمض النووي، الجزيئة المعلوماتية لكل الكائنات الحية، أراه كلغة الإله التميز والتعقيد في أجسامنا وفي الطبيعة انعكاس لخطة الإله!».

بل إن رائد المنهج التجريبي فرنسيس بيكون المتوفى سنة ١٦٢٦ ميلادية تنقل عنه هذه الكلمة: «إذا أمعن العقل النظر وشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها فإنه لا يجد بداً إلا التسليم بالله تعالى». إذن لماذا نجد بعض المتعلمين يصبحون ملحدين؟! يقول في عبارة أخرى تنقل عنه: «إنّ القليل من الفلسفة والعلم يميل بعقل الإنسان

(١) كريسي موريسون كان رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك وكتب كتابه في الرد على جوليان هكسلي الذي ألف كتاباً بعنوان (الإنسان يقوم وحده) فكتب موريسون كتابه بعنوان (الإنسان لا يقوم وحده) وترجم للعربية بعنوان (العلم يدعو للإيمان) أورد فيه من أسرار الخليفة ما لا يمكن فهمه إلا بأنه من لدن حكيم خبير.

(٢) جريدة الرياض السعودية الأربعاء ١٢ المحرم ١٤٢٨ هـ - ٣١ يناير ٢٠٠٧ م - العدد ١٤١٠٠ / الكترونية قرئت بتاريخ ١٣ / ١٠ / ١٤٤١.

إلى الاحداد، لكنَّ التعمُّقَ في العلم ينتهي بالعقول إلى الإيمان<sup>(١)</sup>!.

إن القرآن الكريم يكشف هذه الحقيقة قبل عشرات القرون ليقرر أن أولي الألباب والعقول الكبيرة عندما يتأملون في خلق السماوات والأرض وما فيها يرون آيات صنع الله وقدرته فيها ويؤمنون به: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ليس الأمر عبثًا ولا باطلاً من غير نظام وإنما ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

نكمل النقض بنقض آخر وهو أنه لو كان الدين يتعاكس مع العلم، وكان الإنسان كلما ازداد علمًا ابتعد عن الدين أكثر وهجر الإيمان كما يقول أصحاب النظرية المذكورة، لكان من مصلحة الدين أن يبقى الناس في الجهل، لأن العلم ينتهي بهم إلى ترك الدين! وكان من الضرر على أرباب الديانات أن يدفعوا الناس إلى التعلم والتعمق في العلم. فإن في العلم فناء الدين كما يزعم هؤلاء، فالمفروض إذن أن يبقى أرباب الدين الناس في دائرة الجهل ويبعدوا العلم من الساحة قدر الإمكان.

وهذا مخالف للوجدان فإننا نجد في الدين الإسلامي خصوصًا أنه رفع منزلة العلماء، وجعل العلم في درجة لا تساويها درجة أخرى حيث ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ودعا أتباعه إلى التعلم والتفكير والسير في عالم الطبيعة واكتشاف أسرارها، وتبين قوانينه.. ونادى مرارا في بني البشر ﴿قُلْ سِيرُوا

(١) الشارح؛ د. مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند افلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية / ٣٣٤.

وقد أورد الكاتب عددا غير قليل من كلمات الفلاسفة والعلماء الطبيعيين التي تنتهي إلى الإيمان بالله.

(٢) الرعد: ٨.

(٣) المجادلة: ١١.



فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ... ﴿١﴾ وكشف عن بعض القوانين والمسائل العلمية في القرآن. (٢)

وما حصل في الحالة المسيحية من المناقضة بين العلم والإيمان، إنما كان بسبب تسلط الفئة الدينية في تلك العصور واحتكار المعرفة لنفسها وتجهيلها الناس، وهذا ما أدى إلى الثورة على أولئك الكهنة والأحبار، وإلا فحتى الديانة المسيحية كاليهودية في أصول توجيهاتها تدعو إلى العلم والمعرفة، لأن هذا من الخطوط المشتركة بين الديانات الإلهية.

### الحاجة للدين: الجواب الحلي:

هذا كله في النقص، وقد تبين أنه ينقسم إلى قسمين.

وأما الجواب الحلي، وما نعتقد من حاجة البشر إلى الدين، فإن الحاجة إلى الدين تتقوم بالأمر التالية:

### الحاجة الأولى: الحاجة المعرفية:

يولد الإنسان صغيراً ويكبر بالتدريج ومعه تكبر الأسئلة، ويحاول بعقله الإجابة عنها وإسكات السؤال الناهض. فأنت تجد ابنك الصغير يسأل ما هذا؟ وما ذاك؟ وإلى آخر العمر فإن أسئلة الإنسان لا تنتهي، ولكنها تتغير، فبينما تكون في البداية للتعرف

(١) العنكبوت: ٢٠.

(٢) لقد تفرغ كثير من الأطباء وعلماء الطبيعة والفلك وطبقات الأرض لبيان ما جاء في القرآن الكريم من إشارات إلى حقائق علمية لم يكشفها الإنسان إلا في وقت متأخر جداً، وهذا مما يدل على وحيانية القرآن، حيث أنه لا سبيل لاكتشاف هذه الأمور في زمان نزول القرآن الكريم.. وهناك مؤسسات أنشئت لهذا الغرض، وقد أطلق على هذا الاتجاه الاعجاز العلمي في القرآن.

الظاهري على الأشياء، تتطور لمحاولة التعرف على حقائقها وكذلك على أسبابها والارتباط القائم بين الأشياء والظواهر في الكون.

يبقى السؤال ملازمًا للإنسان الطبيعي إلى آخر حياته سواء حصل على أحد يسأله أو لم يحصل، وسواء وجد جوابًا صحيحًا أو لم يجد.

وينتقل سؤاله من الأشياء والقضايا الصغيرة (خارج ذاته) إلى أسئلة (مرتبطة بالذات) وهي (الأسئلة الكبرى) كأسئلة الوجود والمبدأ والمصير والنهايات، لماذا جاء هذا الإنسان؟ لماذا أتيت؟ من أين أتيت؟ إلى أين أنا سائر؟ ما هو المراد مني؟ هذه الأسئلة تبقى مع الإنسان مهما كان في كل أيام حياته. عبّر عنها شاعر لبنان المعروف إيليا أبو ماضي في شعره الطلاسم<sup>(١)</sup>: جئت لا أعلم من أين ولكنني أتيت ولقد أبصرت قُدّامي طريقاً فمشيتُ وسأبقي سائراً إن شئت هذا أم أبيت كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري! ولا توجد جهة تستطيع أن تجيب بوضوح على

(١) قصيدة الطلاسم: للشاعر اللبناني المسيحي إيليا أبي ماضي (توفي ١٩٥٧م) تقع في أحد وسبعين مقطعاً كتبت القصيدة بشكل عمودي تتناول كما رأت الكاتبة جنى باشراحيل «شؤون الكون وخالفه، والإنسان ومصيره.. الحياة كيف بدأت وإلى أين تسير وماذا ستكون النهاية ومن أين جاء البشر. وكان في كل بيت يفرغ عن حيرته وعجزه عن فهم سر الوجود».. وقد استتبع تلك التساؤلات والشكوك العديد من القصائد المعارضة لها كان من أبرزها قصيدة الشيخ عبد الحميد السماوي (ت ١٣٨٤هـ) من علماء الحوزة في النجف (أنا أدري) وعندما وصلت للشاعر إيليا أبي ماضي «أعجب بها أيما إعجاب واستغرب من سعة خيال الشيخ السماوي وخصوبة شعره ومفرداته وبراعته في الرد بالعقل والمنطق والكلمة المعبرة، ومن شدة إعجاب الشاعر أبو ماضي أرسل من نيويورك رسالة إلى الشيخ عبد الحميد السماوي يثني عليه ويسجل احترامه وتقديره لشاعرية السماوي وقوة حجته» كما ذكر الكاتب علي عيسى الوباري في مقال نشره في صحيفة جبهة الالكترونية. كما رد عليه في قصيدة فلسفية على نفس الطريقة الشيخ محمد جواد الجزائري وهو من علماء الحوزة في النجف أيضاً (ت ١٣٧٨هـ) بعنوان حل الطلاسم.





هذه الأسئلة من البداية إلى النهاية غير الدين! الدين هو الجهة الوحيدة التي تعرّف الإنسان من أين جاء، لماذا جاء، كيف جاء؟ إلى أين يمضي؟ ماذا سيحصل له فيما بعد؟ وكل جهة أو نظرية غير الدين تتعثّر في الإجابة على كل الأسئلة أو على معظمها؟ ولا تملك جواباً تقدمه للإنسان.

والمشكلة أن هذه الأسئلة أساسية، تلاحق الإنسان في كل مرحلة حياتية وتقف له على كل منعطف، وإجابتها هي التي ترسم له برنامج حياته فليست أمراً ترفيهاً أو عبثياً! وتلك الإجابة هي ما يبلغه المرسلون عن ربهم الحكيم، وقد لخصها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فيما نسب إليه من قوله «رحم الله امرءاً عرف من أين وفي أين وإلى أين».<sup>(١)</sup>

## الحاجة الثانية: الحاجة التشريعية والقانونية

الإنسان كائن اجتماعي يستطيع العيش مع غيره بل لا يستطيع العيش المريح بغير ذلك، ولما كان كذلك فإن من الطبيعي أن يحصل تنافس على المنافع بين هؤلاء البشر، فكما تريد هذه الأرض الخصبة أريدها أنا، وكما تحب امتلاك الماء الوفير أريد أنا النصيب الأكبر منه، وكما تطلب هذه المرأة الجميلة يطلبها غيرك.. فما هو الناظم الذي ينظم العلاقة بيننا ويشرّع القوانين التي تجعل هذا الإنسان يعيش حياته الاجتماعية مع غيره بسلام؟ المخالفون للحاجة إلى الدين يقدمون جواباً، والمؤمنون يقدمون آخر.

## أما جواب المخالفين للحاجة للدين فإنهم يقولون:

(١) أرسل هذا القول الكثير من المؤلفين والكتاب ارسال المسلمات في نسبته إلى الامام علي (عليه السلام)، ولم نجده بشكل صريح في أحد المصادر الحديثية الأساسية، نعم نقله الفيض الكاشاني في الوافي ١١٦/١ في شرح حديث عن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) فقال: «على طبق ما روي عن أمير المؤمنين ع حيث قال رحم الله امرءاً أعد لنفسه واستعد لمرسه وعلم من أين وفي أين وإلى أين» وكذلك استاذة الملا صدرا الشيرازي في الأسفار.

إن العقلاء في المجتمع ومن خلال التجارب ودراستها بشكل علمي، قد توصلوا إلى دساتير وقوانين مناسبة لمجتمعاتهم، فوضعوا هذه الدساتير والقوانين ونظموا بها حياتهم في مختلف المجالات. فلا حاجة إذن لتدخل الدين في هذه الجوانب! ونحن نجد أن حياة الغرب القانونية وما يترتب عليها من نظام يتيح وصول الإنسان لحقه، ما لا يبقى حاجة للدين ليقنن وينظم.

بينما يجيب المؤمنون على السؤال السابق عن ناظم الحياة الاجتماعية ومن يفك النزاعات بين الناس بالأمور التالية:

١. إن آخر ما وصل إليه الإنسان في الغرب والشرق من نتاج قانوني، إنما كان بعد ما جرّب الإنسان مشواراً طويلاً من التجارب كلفت البشرية الكثير من الجهود والدماء والأموال، فعندما جربوا الفوضى خلال فترات زمنية مختلفة، انتهى العقلاء في هذا المجتمع البشري إلى أنّ النظام هو الذي يصون المصالح فتركوا الفوضى لصالح النظام. جربوا التظالم فيما بينهم والاستئثار فأروا أنّ ثمنه باهظاً فانتهوا إلى أن العدالة هي التي تصون الحقوق فقرّروا العدالة كقانون.. وهكذا. حسناً، هذا الذي انتهى إليه المجتمع البشري بعد تجارب وبعد محاولات وبعد توضّحات وبعد مرور السنوات الطويلة قالته الأديان السماوية من اليوم الأول ومن دون ضحايا وأزمات، قالت: «الله الله في نظم أمركم»، وقالت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، إن آخر ما وصل إليه عقلاء البشر هو أول ما جاء به الأنبياء والأديان.

بل إن ما وصلوا إليه من القوانين السليمة، أصولها موجودة في الديانات ولم يكن الإنسان بحاجة لدفع تلك الأثمان الغالية لكي يجرب الأنظمة السياسية المختلفة بمشاكلها، والأنظمة المالية والتجارية بخسائرها، والأنظمة الاجتماعية المختلفة



بمشاكلها حتى يصل في النتيجة وبعد إعطاء كل تلك الخسائر.

٢. إننا نعتقد أن هناك فرقا كبيرا بين النظام القانوني الوضعي، الذي يقرره البشر على المجتمع في كماله واستيعابه، فإن البشر مهما أوتي لا يستطيع أن يحيط علما بكل المؤثرات التي تؤثر في نفس الإنسان ولا سيما منها الداخلية التي لا يمكن -أو يتعسر- ملاحظتها، ومع إغفال هذه العناصر المؤثرة لا يمكن وضع الأنظمة المتكاملة.

بل أكثر من ذلك ما يرتبط بالتزام البشر بهذه القوانين، فإن القوانين المذكورة لما كانت تخاطب النظام العام، وخارج الإنسان، فإنها لا تستطيع أن تنظر إلى غير الظواهر، وحسب تعبير بعضهم (اسرق ولكن لا تترك خلفك أثرا أو دليلا يدل عليك) وهنا لا يستطيع القانون أن يصنع لك شيئا! ولعل ما تتحدث عنه الصحف والوسائل الاعلامية في كل فترة من استفادة بعض العاملين من القوانين السائدة في إخفاء جرائمهم والتستر عليه (بالمواد القانونية نفسها!) يشير إلى هذا المعنى!

الدين يقدم بالإضافة إلى ذلك الضابط الداخلي فضلا عن ضابط الشرطة وحمي القانون! وفي نفس الوقت الذي يقرر العقوبات باختلاف أنواعها، يبقى الإنسان في دائرة أنك ولو أتلفت المستندات إلا أن هناك شهودا عليك ويوماً آخر للحساب يختلف في معادلاته عن المحاكم الدنيوية فيه: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>(١)</sup> وليس كتابا واحداً وإنما شهود متعددون؛ منهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* وَقَالُوا لِيَجْلُو ذَهَبُ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ

شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ بل يذهب إلى داخل قلب الإنسان ليكشفه ويقول: «وَنَعْلَمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ». إن هذا النظام القانوني ليس مستقلاً بل هو متصل بسائر الأنظمة، فهو متصل بالنظام العقائدي الذي يعني أن الإنسان المؤمن يعتقد بـ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (٢) ويتصل بالنظام العبادي الذي يجعله يصوم شهر رمضان، ممتنعاً عن الطعام والشراب والملاذات سبع عشر ساعة أحياناً ولا أحد يراه بحسب الظاهر، ومع شدة الجوع وحرارة العطش يظل صامداً صابراً منتظراً أن يحين وقت الافطار مع أنه لو أكل أو شرب لما بصر به أحد من الناس! ويمتنع عن اللذة والشهوة وقد حصلت بين يديه لأنه يتمثل موقف نبي من أنبياء الله وهو يوسف الصديق ﷺ مع أنه قد ﴿رَأَوْدَتُهُ لَتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ لكنه وقد استحضر رقابة خالقه ونعمته عليه وإحسانه إليه ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

إن الدين يسعى لصيانة القانون بكل هذه الجهات؛ في أصل تقنين القانون يكون القانون محيطاً بكل ما هو مؤثر في المشكلة والحل لأنه من وضع الخالق للإنسان وهو يعلم ﴿مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٤) وإلى كون هذا القانون قد جاء به الانبياء والمرسلون من دون حاجة لأن تتعذب البشرية في التجربة وتكرارها وتقديم التضحيات للوصول إلى النتائج السليمة، وإلى اعطاء ضمانات قدر الإمكان لتطبيق القانون ما لا تملك القوانين البشرية سوى بعضه.

(١) فصلت: ٢٠-٢١.

(٢) العلق: ١٤.

(٣) يوسف: ٢٣.

(٤) ق: ١٦.



## الحاجة الثالث: الحاجة النفسية والروحية

ليس الإنسان حاسوباً، ولا صخرة. هو كائن ذو مشاعر وعواطف وقلب ووجدان، تعرض عليه الأزمات، ويرى نفسه قريباً من الهلاك حيث تنقطع به السبل ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وتضيق به الدنيا بما رحبت، إذا تتبعه ظالم فيحتاج إلى ركن وثيق.

ويتأثر لخال من يهيمه أمره من والد حنون أو أم رؤوم قد انقطع عنه أو عنها الأمل فيرفع عينه الدامعة إلى ربه طالبا منه المدد والعون حيث يئس من غيره. وتصيبه الأمراض لا سيما المستعصي منها، فيجد نفسه صغيراً ضئيلاً لا يستطيع لنفسه شيئاً أمام فيروس لا يرى ما لم يلجأ إلى قوة الله العظيمة..

إن ظمأ الروح لدى الإنسان لا يرويه غير الإيمان بربه<sup>(٢)</sup>، وإن ضعفه في مواجهة الكثير من مشاكل الحياة لا يقويه إلا قدرة الله سبحانه. وقد يكابر هذا العبد لبعض

(١) يونس: ٢٢.

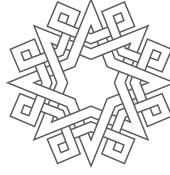
(٢) وما أجمل تعبير الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مناجاة المفتقرين عن هذه الحقيقة عندما يقول: «إلهي كَسْرِي لَا يَجْبُرُهُ إِلَّا لَطْفُكَ وَحَنَانُكَ، وَفَقْرِي لَا يُغْنِيهِ إِلَّا عَطْفُكَ وَإِحْسَانُكَ، وَرَوْعِي لَا يُسَكِّنُهَا إِلَّا أَمَانُكَ، وَذَلَّتِي لَا يُعْرِضُهَا إِلَّا سُلْطَانُكَ، وَأُمْنِيَّتِي لَا يُبَلِّغُنِيهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَحَلَّتِي لَا يَسُدُّهَا إِلَّا طَوْلُكَ، وَحَاجَّتِي لَا يُفْضِيهَا غَيْرُكَ، وَكَرْبِي لَا يُفَرِّجُهُ سِوَى رَحْمَتِكَ، وَضُرِّي لَا يَكْشِفُهُ غَيْرَ رَأْفَتِكَ، وَعَلَّتِي لَا يُبْرِدُهَا إِلَّا وَضْلُكَ، وَلَوْعَتِي لَا يُطْفِئُهَا إِلَّا لِقَاؤُكَ، وَسَوْفِي إِلَيْكَ لَا يَبْلُغُنِي إِلَّا النَّظَرُ إِلَى وَجْهِكَ، وَقَرَارِي لَا يَقِرُّ دُونَ دُنُوِّي مِنْكَ، وَلَهْفَتِي لَا يَبْرِدُهَا إِلَّا رَوْحُكَ، وَسَقَمِي لَا يَشْفِيهِ إِلَّا طِبُّكَ، وَعَمِّي لَا يُزِيلُهُ إِلَّا قُرْبُكَ، وَجُرْحِي لَا يُبْرِئُهُ إِلَّا صَفْحُكَ، وَرَيْنُ قَلْبِي لَا يَجْلُوهُ إِلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْوَاسُ صَدْرِي لَا يُزِيلُهُ إِلَّا أَمْرُكَ».

الوقت لكنه لا يستطيع ذلك في كل الوقت! في ضعفه يتطلع إلى قوة الله وقدرته وعونه! وفي فقره يرجو مدد الله وعطاءه.. وفي مرضه حين يهزمه أضال مخلوقات الله يتوجه إلى تلك القوة العظيمة الرحيمة.

لو لم يكابر هذا الخلق الضعيف لضرع إلى الله قائلاً «أَنْتَ كَهْفِي حِينَ تُعِينِي الْمَذَاهِبُ فِي سَعَتِهَا، وَتَضِيقُ بِي الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا، وَلَوْلَا رَحْمَتُكَ لَكُنْتُ مِنَ الْهَالِكِينَ. وَأَنْتَ مَقِيلُ عَثْرَتِي، وَلَوْلَا سَتْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ، وَأَنْتَ مُؤَيِّدِي بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِي، وَلَوْلَا نَصْرُكَ إِيَّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَغْلُوبِينَ».<sup>(١)</sup> لو عرف نفسه ومقداره، وعرف ربه وعظمته لقال: «يَا مَنْ تُحَلُّ بِهِ عُقْدُ الْمَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْتَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ، وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ الْمَخْرَجُ إِلَى رَوْحِ الْفَرَجِ؛ ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابُ؛ وَتَسَبَّبَتْ بِلُطْفِكَ الْأَسْبَابُ؛ وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءُ وَمَضَتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الْأَشْيَاءُ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ، وَبِإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ، أَنْتَ الْمَدْعُوُّ لِلْمُهَيَّمَاتِ».<sup>(٢)</sup>

(١) القمي، الشيخ عباس: مفاتيح الجنان ١ / ٣٤٩ دعاء الامام الحسين عليه السلام في عرفة.

(٢) المصدر السابق ١٧٤.



## عناصر مشتركة أو تعددية دينية؟

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

لتحديد دائرة البحث؛ سنميز في هذا الموضوع وفيما يأتي من المواضيع بين ثلاثة أقسام من الديانات:<sup>(٢)</sup>

(١) المائة: ٤٧.

(٢) يصر بعض الدعاة على أنه لا يصح أن نقول (ديانات أو أديان)، وإنما هو دين واحد وأما ما لدى اليهود والنصارى فهو شريعة لقول الله تعالى من جهة (إن الدين عند الله الإسلام) ومن جهة أخرى يقول (لكل منكم جعلنا شريعة ومنهاجا)! كما يصرون على أنه لا يصح أن نطلق عليها أنها سماوية لأنها محرفة وغير حقيقية! وكلا الفكرتين لا تصح، وذلك أن معنى الدين الذي استعمل في النصوص الإسلامية ومنها القرآن هو المعنى اللغوي، وهو عبارة « الطَّاعَةَ، يُقَالُ ذَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَأَتَقَادَ وَطَاعَ » كما ذكره ابن فارس في مقاييس اللغة، أي الطريقة التي يسير عليها شخص منقادا ومطيعا وبهذا المعنى لا مشكلة في القول دين اليهود ودين النصارى ودين المجوس، وقد جاء في القرآن ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ في سورة يوسف: ٧٦. وأما وصفها بأنها سماوية فهو بالنظر إلى منشئها وأصلها لا محذور فيه، ولهذا خاطب الله سبحانه اليهود والنصارى زمان النبي ﷺ بـ (يا أهل الكتاب) مع أن كتابهم في ذلك الوقت كان محرفا! ولذا أيضًا رتب العلماء الآثار الفقهية على هؤلاء إلى إيماننا هذه مع كون الكتاب محرفا! .

١. الديانات السماوية التي ثبت بالجزم واليقين كونها كذلك، وعرف لها كتاب ونبي بالضرورة - بغض النظر عن كون هذا الكتاب تامّ الصحة أو محرّفًا - وهي بحسب الترتيب الزمني اليهودية والمسيحية والإسلام. وعندما نتحدث عن العناصر المشتركة بين الديانات السماوية فإننا نقصد هذا القسم أوّلاً وبالذات ثم غيرها إن تم البناء على كونها سماوية.

٢. الديانات التي هي محل نقاش ونظر في أنها سماوية أو لا؟ وهي وإن كانت في التعامل العملي والحكم الشرعي في دائرة أهل الكتاب (من حيث الطهارة والتزواج معهم.. وسائر الأحكام) إلا أنها تبقى في دائرة النقاش والنظر، كالصابئة والمجوس (الزرادشتيين) وسيتم التعرض لهذه الديانات فيما يأتي.

٣. الاتجاهات الدينية التي لا يعلم بوجود مصدر سماوي لها من كتاب أو رسول، إن لم يعلم بعدمه، ويترتب على ذلك أحكام في التعامل الشرعي مع أتباعها مثل الهندوسية والبوذية والطاوية والكونفوشية وغيرها من النحل التي لها أتباع في العالم.

والبحث في العناصر المشتركة يتم في القسم الأول كما مر، فإن الباحثين في الأديان يلاحظون أنّ هناك عناصر مشتركة بين هذه الديانات على مستوى العقائد الأساسية كالإيمان بالله والأنبياء واليوم الآخر، أو على مستوى العبادات كالصلاة والصيام والجهاد وإلى حدّ ما الحج والزكاة<sup>(١)</sup>، وهكذا بالنسبة إلى التشريعات الاجتماعية والأخلاق.

(١) للتفصيل يراجع سلسلة تشريع العبادات للمؤلف.





## الفرق بين العناصر المشتركة وبين التعددية الدينية:

إن من المهم جدا أن نفرق بين ما نبحث فيه من (وجود عناصر مشتركة بين الديانات) وبين المصطلح الشائع الآن في الساحة الثقافية العربية والإسلامية بعنوان (التعددية الدينية)، فإننا عندما نتحدث عن العناصر المشتركة بين الأديان لا نقصد ما يعنون بعنوان (التعددية الدينية)، ولكي يتبين الفرق سوف نشرح هذا المصطلح شرحاً بسيطاً وقريباً الى التناول والفهم، وبعيداً عن البحث التخصصي قدر الإمكان.

### ماذا تعني (التعددية الدينية)؟

هناك معنيان للتعددية الدينية:

الأول: التعددية الدينية؛ بمعنى التعايش بين أتباع الديانات في المجتمع الواحد، وهذا راجع إلى أن المجتمعات البشرية اليوم مجتمعات خليطة من حيث أتباع الديانات فيها، فقد تجد في المجتمع الواحد المسلم والمسيحي واليهودي والصابئي وغيرهم، وهذا ليس أمراً فرضياً وإنما هو واقعي، وأقرب مثال نجده هو المجتمع في العراق، فإنه يضم هذه الأصناف وغيرها.

هذه التعددية تقتضي التعايش بين أتباع الديانات في هذا المجتمع وأمثاله. ولا ينبغي التفكير في أنه من لم يتفق معنا بالكامل فلا نتعامل معه أو نتعايش!

وربما يمكن القول بأنه لا يوجد مجتمع بشري في هذه الأزمنة خالص الديانة بمعنى أن كل شعبه يدين بدين واحد ولا يخالطهم فيه أحد!

هذه الحقيقة تقتضي الاعتراف الاجتماعي بالتعددية الدينية بهذا المعنى وقبول الآخرين (وليس من الضروري أن يكون معترفا بصحة دينهم أو تأييدهم فيه!). ولعل

البعض يستفيد فكرة التعايش الاجتماعي مع أصحاب الديانات المختلفة المتواجدين في مجتمع واحد من قول الله تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى من التعددية مقبول بل هو ضرورة اجتماعية إذا كان البديل عنه هو التعادي والمواجهة بين أتباع الديانات والعداء بين أصحابها! كما أن هذا النوع من التعددية يمكن أن يشكل مصدر ثراء في المجتمعات.

وأما المعنى الثاني: للتعددية الدينية، التعددية في المنحى العقائدي ولعل هذا هو الذي يتم التركيز عليه، بمعنى أنّ كل دين من الأديان مؤدّد للحقيقة وهو أحد الطرق الموصلة الى الله عزّ وجل. وأنه لا يوجد دين -بما في ذلك الإسلام- يمتلك الحقيقة كاملة، وإنما الحقيقة مجزأة فلدى المسلم جزء منها، ولدى المسيحي جزء آخر، وعند اليهودي ثالث وهكذا!

وهذا المعنى من الناحية الدينية غير صحيح قطعاً.

ولكي تتضح أبعاد الفكرة والمصدر الذي تم استقاؤها منه نقول: أن فكرة التعددية الدينية الموجودة في الثقافة العربية والإسلامية اليوم، قدمت من الحالة الغربية وتعرف بـ (البلوراليسم) وقد قيل إنها فكرة نشأت على أثر الحروب المتتالية في أوروبا بين المسيحيين أنفسهم -كما سيأتي الحديث عن ذلك مستقبلاً- ومع تكثر الفرق المسيحية من كاثوليك وبروتستانت وأرثوذكس وغيرها، كان لا بد من إيجاد فكرة تمنع الاحتراب الديني والمذهبي، وكانت فكرة التعددية الدينية بمعنى أن كل فرقة في الحالة المسيحية. بل بينهم وبين الحالة اليهودية لها نصيب من الحقيقة ولهم العذر في أن يعبدوا الله بالنحو الذي يرونه. وتحولت من موضوع اجتماعي إلى موضوع عقدي.<sup>(٢)</sup>

(١) البقرة: ٨٣.

(٢) للإحاطة بأطراف التعريف وأبعاده ننقل ما جمعه د. محروس بسيوني في دراسته المنشورة في مجلة



إن أصل الفكرة كان لأجل حل مشكلة اجتماعية، وذلك أن الخلاف بين اتباع العهد القديم من اليهود وبين المسيحيين ليس قليلاً في مواضع متعددة، بل الخلاف بين الفرق المسيحية في تفسير العهدين، وقضية التثليث وموقع العذراء مريم وموضوع الخطيئة الأصلية، مما سيأتي الحديث فيه مستقبلاً كان واسعاً ومتعدد الجوانب. فكانت هذه الفكرة التي تعني إعطاء العذر لكل فريق من أجل الحفاظ على الانسجام الاجتماعي ومنع الاحتراب أشبه بصمام أمان عن الحروب والمواجهات العنيفة.

فكأن هذه الفكرة تقول لليهودي: أنت على حق، وتلتفت للمسيحي لتقول له: أنت أيضاً على حق وتأتي في داخل الديانة المسيحية لتقول للكاثوليكي: رأيك موصل لله ويرتبط بالحقيقة، وتقول للبروتستانت والذين يملك فكرة مخالفة لسابقه لتقول له: وأنت أيضاً تمتلك جزءاً من الحقيقة يوصلك لله. وتلتفت للأرثوذكسي المسيحي الذي يخالف سابقه في طريقته لتقول له وأنت أيضاً!

ولكنها بالتدرج انتقلت من المجتمع إلى العقيدة، لتقول إن الحقيقة لا يملكها شخصٌ واحد وإنما هي موزعة، وذات أبعاد فهذا يتصل ببعدها وذاك ببعدها الآخر، وهذا يملك جزءاً وذاك آخر وهكذا. وبالتالي لا معنى لأن يخطئ شخص شخصاً آخر

---

جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية في عددها ١٢ سنة ١٤٣٨هـ بعنوان: التعددية الدينية؛ رؤية نقدية نسخة إلكترونية في موقع [www.taibahu.edu.sa](http://www.taibahu.edu.sa)

فقد قال ناقلاً عن الشيخ حيدر حب الله: إنها: ضرورة الاعتراف المعرفي وليس الاجتماعي والاخلاقي فقط بكافة الأديان والمذاهب واعطاء المعذورية للمؤمنين بها وبالتالي عدلت من مفهوم النجاة الذي كان يعني في الماضي حصر الخلاص في طائفة دينية واحدة بحيث صار أكثر اتساعاً وشمولاً ليشمل أكثرية أبناء المذاهب والديانات» وفي موضع آخر نقل بعداً آخر من أبعاد التعددية قائلاً: «إن الأحكام والتعليمات في هذه الأديان لا تعبر عن كل الحقيقة وإنما لكل دين جزء من الحقيقة وفي كل دين من الأديان الإلهية وفي كل مذهب من مذاهب الأديان يجد الإنسان طريقاً إلى الله قد تختلف عن الطريق الآخر ولكنها تلتقي جميعاً في النهاية عند الله»..

أو ينفي دين دينا آخر أو يبطل مذهب مذهباً.

ربما يستشهد أصحاب هذه الفكرة ببعض الآيات القرآنية في تأييد ما يذهبون إليه، مثل قوله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾<sup>(١)</sup> ويفهمون منها -بشكل خاطئ- أن لكل شخص الحرية في أن يتخذ الدين الذي يراه مناسباً وطريقاً إلى ربه!

وهكذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> ويفهمون منها أن المسيحيين يستطيعون أن يتعبدوا بما جاء في الإنجيل وأن ينظموا عباداتهم ومعاملاتهم على الأسس الموجودة فيه. فلا ملزم لهم لكي يؤمنوا بالقرآن مثلاً أو النظام الإسلامي، وأن هذا يعني أنه كما أن للمسلمين الحق في التعبد بكتابهم فكذلك الحال هو بالنسبة للمسيحيين مع الإنجيل.

وربما استشهد بعضهم بما اشتهر على الألسنة من أن (الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق) ولا ينحصر الأمر في طريق واحد! أو دين واحد أو مذهب واحد!

### خطأ فكرة التعددية بالمعنى الثاني:

إننا نعتقد أن التعددية بالمعنى الثاني خاطئة ولا يمكن قبولها لأسباب متعددة:

أولاً: لأنها تنتهي إلى عبثية بعث الرسل، وإنزال الكتب المتأخرة عن الديانة الأولى والرسول السابق. فمن الواضح أن الرسائل جاءت متتابعة، فكانت اليهودية ثم المسيحية وأخيراً الإسلام وباعتبار كون هذه الرسائل شاملة لكل البشر فإنهم مخاطبون بالإيمان بها.. كل في مرحلته الزمنية، وبالذات بالنسبة للإسلام فقد نسخ ما قبله من الديانات، وأوجب الله على البشر الإيمان به، والاعتقاد برسوله، ولم يقبل

(١) الكافرون: ٦.

(٢) المائدة: ٤٧.



البقاء على تلك الديانات بعد مجيء الإسلام، وهذا هو أحد معاني خاتمية النبي للرسول، وخاتمية الإسلام للرسالات.

إن قبول فكرة التعددية الدينية بمعناها الثاني، ينافي الاعتقاد بخاتمية الرسل وخاتمية الرسالات بالنبي والإسلام. بل يلغي غرض وهدف هذه البعثة، فإذا كان بإمكان الناس أن يتعبدوا بالطريقة التي يرونها موصلة إلى ربهم فما معنى أن يخاطبهم النبي: أسلمت تسلم؟ بإمكان كل شخص أن يقول إنني سالم فلا أحتاج إلى الإسلام!

لا معنى لأن يقول: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا! فإن بإمكان المسيحي القائل بالتثليث أن يقول: أنا من المفلحين ولا أحتاج إلى عقيدة التوحيد! بإمكان اليهودي أن يقول: إن آية ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> لا ترتبط بي، فإن ديني اليهودي مقبول، وأنا في الآخرة من المفلحين.. وهكذا.

إن هذا ينتهي إلى (تضليل) عمل النبي ﷺ والعياذ بالله في دعوته اليهود والنصارى بل المجوس، والصابئة، (وتخبطة) القرآن وعمل النبي في انتقاد الأخبار والرهبان وعلماء الديانات الأخرى حيث لم يؤمنوا بالقرآن ولم يصدقوا النبي! فإنه ما دام بالإمكان أن يعمل هؤلاء بحسب ديانتهم، ويمارسون شعائرهم وهم في ذلك معذورون غير محاسبين من قبل الله سبحانه فما الداعي لإلزامهم بطريقة الإسلام ليس إلا؟

إن هذا الانتقاد من القرآن الكريم - وهو كثير<sup>(٢)</sup> - لليهود والنصارى في متابعتهم

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) التوبة: ٧٠-٧١ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ \* وَحَسَبُوا أَنَّ كُونَ فَتَنَةَ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

علماءهم والعتاب من النبي للرهبان والاحبار ليس في محله ولا ينبغي أن يكون بناء على هذه النظرية! فلماذا يحجر القرآن واسعا ولماذا يلزم النبي الآخرين بما لا إلزام فيه؟ إن الإيمان بالتعددية الدينية بالمعنى الثاني ينتهي إلى لغوية بعث الأنبياء والرسالات المتأخرة وينتهي إلى لغوية عتاب وتخطئة القرآن ونبي الإسلام لأصحاب الديانات الأخرى الذين لم يتبعوا رسالته ولم يؤمنوا بدينه!

ثانياً: أداء هذه الفكرة إلى الإيمان بالتضاد أو التناقض، وذلك أن كل ديانة ترى الحق في اعتقادها - بغض النظر عن تخطئتها لغيرها أو لا - فالمسيحية المعاصرة تعتقد أن النجاة في التثليث: الأب والابن وروح القدس، وأن حقيقة العبادة لا تتم إلا بالإيمان بهذا الثالوث، بينما دين الإسلام يقول إن العبادة لا تتم إلا بالتوحيد، و﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾، إن الاعتقاد بكون التوحيد والتثليث هما العبادة! يعني الإيمان بالتضاد وأن من الممكن أن يطلب الله من الناس الشيء وضده! والأمر وما يخالفه!

وهكذا أن يطلب من عباده أن يعتقدوا أن الله ولدًا ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ وفي نفس الوقت يطلب منهم باستمرار أن يكرروا في صلواتهم ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.. فإن هذا أمر غير معقول.

إن ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾<sup>(١)</sup> لا يمكن أن يساوي ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾. كذلك فإن ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ لا يمكن أن يلتقي مع (باسم الأب والابن وروح القدس)!



## هل الطريق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق؟

إن مما يصب في فكرة التعددية الدينية، ويتردد على ألسنة الداعين إليها هو القول المشهور (الطريق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق)، لدفع القول بانحصار الحق والحقيقة في فريق واحد وأن لكل فريق وجماعة نصيباً من الحق والحقيقة! وكل الطرق توصل إلى الله!

ولأن هذا القول من الشهرة بمكان، فمن المناسب أن نقف عنده وقفة تأمل وبحث!

في البداية لا بد من الإشارة إلى أنه ليس آية! وهذا واضح ولا هو رواية عن معصوم!<sup>(١)</sup>

ليس حديثاً أصلاً، فضلاً عن أن يكون معتبراً! وإنما تناقله العلماء كقول من دون نسبة، فمن ذلك ما جاء في رسائل الشهيد الثاني في سياق الحديث عن معرفة الله سبحانه والاهتداء إليه وأنه هو الخالق: «الحاصل أنّ المعتبر في الإيذان الشرعي هو الجزم والإذعان، وله أسباب مختلفة من الإلهام والكشف والتعلم والاستدلال. والضابط هو حصول الجزم بأيّ طريق اتفق، والطرق إلى الله الخالق بعدد أنفاس الخلائق». <sup>(٢)</sup>

ومثله فعل الفيض الكاشاني فإنه أيضاً أورده في سياق الحديث عن المعرفة الفطرية

(١) ولم ينسب صراحة لكونه حديثاً إلا من الملا النراقي كما أشار لذلك الري شهري؛ «هذا الكلام لم يرد في أيّ مصدر من المصادر الحديثية المعتمدة، وقد تفرّد المرحوم الملا أحمد النراقي -رضوان الله تعالى عليه- بذكره في كتاب «مثنوي طاقديس» كحديث من الأحاديث. أقول: ما ذكره الري شهري هو الصحيح حيث لم تصح نسبته لأيّ معصوم.

(٢) العاملي؛ زين الدين بن علي (الشهيد الثاني): رسائل الشهيد الثاني ٧٥٧ / ٢

بالله سبحانه فقال: «وإن كان أصل المعرفة فطرياً إما ضرورياً أو يهتدي إليه بأدنى تنبيه لكل طريقة هداه الله ﷻ إليها إن كان من أهل الهداية والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق وهم درجات عند الله»<sup>(١)</sup>.

وأما الشيخ أحمد آل طوق القطيفي فقد استشهد به عند حديثه عن أن العامل بمرضاة الله يمكن أن يسر بذلك ويمكن أن يعلن، ولكل منها فائدته، قال: «والطرق إلى مرضاة الله وما يقرب منه بعدد أنفاس الخلائق، وهي سمحة سهلة لكل سالك بحسب وسعه، والله رؤوف رحيم»<sup>(٢)</sup>. فهو إذن يتحدث في إطار أنه لا تنحصر طرق الاطاعة لله من الأعمال الصالحة بشيء واحد فقد تكون مالية وقد تكون بدنية! قد تكون ذكراً وقد تكون صلاة وقد تكون صوماً وقد تكون تعليماً.. وهكذا! وهذا لا يرتبط بما نحن فيه من التعددية الدينية.

وفي تقارير المرحوم السيد الخوئي في سياق الحديث عن رواية مفادها أنه لو لم يصب مستحقاً لعدة سنوات فإنه يصر المال صرراً ويطحرها في البحر قال: «ولكن لا يمكن العمل بها جزماً، لعدم الصغرى لها أولاً إذ كيف يتفق فقد المستحق لمدة أربع سنوات؟! ومع تسليم اتفاقه (وحصوله) فلتصرف في سائر الأصناف كالرقاب، ولا أقل من سهم سبيل الله، فإن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»<sup>(٣)</sup>، وهذا الكلام شبيه بسابقه من أن مجالات الصرف والانفاق في سبيل الله لا تنحصر في وجود الفقير المستحق وإنما هي متعددة وكثيرة وبعدد أنفاس الخلائق كما قيل.

وقد وجه الشيخ جعفر السبحاني القول المذكور بأن البراهين الموصلة لله هي بعدد

(١) الكاشاني؛ محسن الفيض: الوافي ٤ / ٥٩

(٢) آل طوق القطيفي، رسائل: مصدر سابق ٢ / ٤٥١

(٣) الإمام الخوئي؛ موسوعة: شرح العروة الوثقى - الزكاة - تقرير الشيخ محمد تقي البروجردي





أنفاس الخلائق: برهان النظم والحركة، ومحاسبة الاحتمالات، والصدّيقين والحدوث والفترة... واصفا إياه بأنه من الأقوال المشهورة لدى العلماء.

والذي نلاحظه على ما سبق الأمور التالية:

١. أن هذا القول ليس له مصدر وحياني، فلا هو آية قرآنية ولا حديث عن معصوم لا برواية معتبرة ولا ضعيفة، بل حتى على مستوى الإدعاء والنسبة، إلا ما ذكر من المولى النراقي في كتابه مثنوي طاقديس وهو كتاب موضوع على طريقة العرفاء أكثر مما هو ملتزم بطريقة المحدّثين والفقهاء.

وبالتالي فمن هذه الجهة لا قيمة له في إثبات مسألة فرعية فقهية فضلا عن أن يكون مستنداً في مسألة عقائدية من أهم المسائل!

٢. إننا نحتمل أن مصدره الأصلي هو الفرق الصوفية التي هي على منهج مدرسة الخلفاء وقد تكرر ذكره كثيراً في كتبهم كما يظهر ببعض التبّع، وهو منسجم مع توجهات هذه الطرق سواء على مستوى المذاهب أو في داخل الطرق نفسها وبرامجها وأورادها، وذلك لإيجاد نوع من المصالحة بين هذه الطرق وألا يخطئ بعضها بعضاً أو يسفه بعضها طرق بعض! ثم وجد طريقه إلى كلمات العلماء أو الفقهاء مع تغيير في المعنى المقصود.

٣. إن من استشهد به من علمائنا أخذوا منه أحد معنيين؛ وهما لا يرتبطان بموضوع التعددية الدينية؛ المعنى الأول؛ أن الآيات والعلامات الدالة على الله سبحانه وتعالى كثيرة والطرق إلى معرفة وجوده، وإثبات خالقيته كثيرة فهي بهذا المعنى بعدد أنفاس الخلائق، وهذا يشابه في المعنى القول: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد!

وهذا المعنى صحيح ولا غبار عليه ولا يرتبط بالتعددية الدينية!

والمعنى الآخر؛ هو في مفردات طاعة الله ومصاديقها بعدما ثبت الأصل، فإن عنوان الذكر لله مثلاً له أنحاء مختلفة ومتعددة، وعنوان الانفاق كذلك له مصاديق كثيرة؛ الانفاق من المال ومن الجاه والوقت ونصيحة اللسان و..و. وعنوان سبيل الله له كذلك كما مر في كلام المرحوم السيد الخوئي، وهكذا.

وخاتمة القول ننقل ما ذكره الري شهري في كتابه حيث قال: ثمة تساؤل جدير بالإثارة، وهو: إذا كانت «الطرق إلى الله عدد أنفاس الخلائق» الواردة في كلام عدد من المحدثين والحكماء كمبدأ ثابت، وتارةً تطرح كحديث نبويّ، فهل ينافي هذا الأمر وحدة الصراط الإلهيّ المستقيم؟ إنَّ الجواب هو أنّ هذا الكلام لم يرد في أيّ مصدر من المصادر الحديثية المعتمدة، وقد تفرّد المرحوم الملاّ أحمد النراقي -رضوان الله تعالى عليه- بذكره في كتاب «مثنوي طاقديس» كحديث من الأحاديث. سواءً أكان هذا الكلام حديثاً أم لم يكن، فإنّه لا يعني ما أُستند إليه بعض أدياء الثقافة في عصرنا من التعددية الدينية، بل يعني أنّ الطرق الفرعية المتصلة بالطريق الأصليّ للدين المسمّى الصراط المستقيم كثيرة، وكلّ شخص يستطيع أن يبلغه من الطريق الذي يناسب قابليّته واستعداده.<sup>(١)</sup>

### المشتركات بين الأديان السماوية لا تعني التعددية

تبين لنا فيما سبق أن التعددية الدينية بمعنى أن بإمكان الإنسان في هذا الزمان أن ينتخب له ديناً من الأديان أو مذهباً من المذاهب، ويكون معذوراً في ذلك بشكل حقيقي أمام ربه بمعنى أن هذا أيضاً طريق من الطرق الموصلة لله وجتته! وأنه لا مانع

(١) الري شهري، الشيخ محمد: موسوعة العقائد الإسلامية ٣/ ١١٠.



من ذلك من الناحية الدينية، فإن كل دين يمتلك جانباً من الحقيقة، وبالتالي يمكن التمسك بذلك الجانب في هذا الزمان! أو أن كل مذهب في الدين هو كذلك. هذه الفكرة تنتهي إلى عبثية بعث الأنبياء اللاحقين، وإلى ترفية إنزال الكتب التالية للكتب السابقة! وتنتهي إلى التعبد بالتضاد أو التناقض! وإلى تخطئة أسلوب القرآن في إدانة من لم يؤمن به وتضليل طريقة النبي في عتاب علماء الأديان الأخرى الذين تخلفوا عن الإيمان برسالته.. وهذا كما ترى -عزيزي القارئ- لا يمكن القبول به.

نعم يوجد بين الأديان السماوية مبادئ مشتركة، سواء على مستوى العقائد الأساسية أو البرامج التفصيلية -في الجملة- وهذا طبيعي جداً. نظراً لأن مبدأ هذه الأديان واحد وهو الله سبحانه وتعالى. ولأن استهداف هذه الديانات واحد، من تحقيق عبادة الله سبحانه، والتزام الإنسان ببرامج تحقق له الكمال الأخلاقي والحياتي، في الدنيا والآخر.

والفارق بينها أن بعض هذه الرسائل والنبوات كان محدودة بزمان معين ولها تاريخ صلاحية بحيث لا تعود مطلوبة بعد ذلك التاريخ، بينما بعضها الآخر مستمر ودائم.

إن هذه المبادئ لكونها من الله سبحانه فإن أتباعها مخاطبون بتحكيماها في حياتهم كما قال الله ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾<sup>(١)</sup> ويعاتب الله سبحانه أولئك في أنهم يأبون مبادئه ولا يعملون بأحكامه سواء تلك التي جاء بها موسى بن عمران في زمانه أو جاء بها خاتم النبيين في زمانه فيقول ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ والقول بكون هذه الكتب برنامجاً إلهياً لزمان محدد لا يسلبها قيمتها الأصلية وأنها في ذلك الزمان كانت

برنامجاً لازماً لاتباع، وفي الآيات المباركات يؤكد الله سبحانه على وحدة المصدر لهذه الكتب السماوية ووحدة العقائد والتشريعات الأساسية ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ \* إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكِمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ \* وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ \* وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

بالطبع هذا لا يعني أنها لم تتعرض للتحريف، وسيأتي ذكر أسباب ذلك ونتائجه. لكن حتى لو لم تتعرض للتحريف كان من غير الممكن بقاء المؤمنين بها على الالتزام بأحكامها. والمثال الذي قدمناه آنفاً من أن هذه تشبه الأدوية والعقاقير الطبية التي لها تاريخ انتهاء، فهي في ضمن تاريخ الصلاحية لازمة للصحة ولا بد من استعمالها ولكن بعد انتهاء تاريخها قد لا تؤثر نفس الأثر العلاجي بل ربما أصبحت بعد ذلك التاريخ مضرّة لمن يستعملها، وإلا فلا معنى لوجود تاريخ انتهاء للصلاحية.

كذلك هو الحال بالنسبة للرسالات والكتب السماوية فما وضع في أساسه على أنه لمدة معينة، وينتهي بمجيء النبي والرسالة اللاحقة، يعني أن دوره العلاجي



الذي كان منوطاً به سابقاً قد أصبح غير متيسر مع بعث النبي الجديد وإنزال الكتاب الجديد، وإلا لما كان من معنى لبعث رسول جديد وكتاب جديد.

## بعض المشتركات بين الأديان

من العناصر المشتركة في العقائد التي جاء بها الأنبياء والمرسلون جميعاً:

١. أنهم دعوا إلى مثلث الإيمان بالله ﷻ وحده لا شريك له والاعتقاد بنبوة النبي المرسل والإيمان باليوم الآخر والمعاد.

فعن نبي الله نوح يتحدث القرآن عن دعوته: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وأما عن دعوته إياهم لتصديقه باعتباره رسولا من الله لهم، فيقول: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ \* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ \* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾<sup>(٢)</sup> وقد تكررت هذه الكلمة والفكرة مع سائر الأنبياء واقرنت تقوى الله مع طاعة نبيه ورسوله ولا سيما في سورة الشعراء.

وكذلك هي دعوة هود النبي قومه؛ إلى التوحيد حيث لا إله غير الله سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وشعيب النبي يدعوهم إلى التوحيد حيث لا إله إلا الله، ويذكرهم بيوم المعاد وأهواله إن خالفوا تشريعات ربهم ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ

(١) الأعراف: ٥٩.

(٢) الشعراء: ١٠٦-١٠٨.

(٣) الأعراف: ٦٥.

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿١﴾.

ونجد تركيز دعوة المسيح عيسى بن مريم على اجتناب الشرك بنحوٍ يلحظ فيه أن المجتمع المسيحي سوف يتورط ولو في المستقبل بشكلٍ من أشكال الشرك بالله، فيخوفهم في ذلك بتحريم الجنة عليهم وبجزاء النار في يوم القيامة، وأن هذا الجزاء ليس فيه مجاملة ولا يعتبر الغلو في عيسى بن مريم حسنة من الحسنات!! ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾<sup>(٢)</sup> بل ينقل القرآن الكريم حوارًا بين الخالق العليم رب عيسى وبين المخلوق المرسل عيسى بن مريم ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>.

هذا في موضوع العقائد الأساس: توحيد الله ورفض الشرك وعبادة ما سواه، وتصديق أنبيائه في دعواتهم، وأخيرًا الإيمان بيوم القيامة وما فيه من الجزاء (عطاء وعقوبة؛ جنة ونارا).

وهذا المثلث وما يرتبط يعتبر العنصر الأساس المشترك بين الأنبياء والرسل جميعًا.

٢. المشترك في العبادات: نظرا لأن العبادات هي البرامج الدينية التي شرعها الله سبحانه للبشر للوصول إلى خالقهم من جهة، ولتكاملهم من جهة أخرى

(١) هود: ٨٤.

(٢) المائدة: ٧٢.

(٣) المائدة: ١١٦.



ولم يترك الأمر في العبادة<sup>(١)</sup> وكيفياتها لهم ولا تحت اختيارهم لذلك نعتقد أن هذه العبادات تشابهت وتشاكلت ولو في أطرها العامة.

فالصلاة مثلا عبادة موجودة مع كل الرسل وبالنسبة لجميع الرسالات. نظراً لأن طبيعة الصلاة أنها ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾، وهكذا الحال بالنسبة للصيام، والزكاة، والحج.. هذه العبادات لها آثار يفترض أنها تتحقق بممارسة العبادة تلك. ولهذا تم تشريعها في كل الديانات السماوية.

نعم هي تختلف في كيفياتها وإن كانت روحها واحدة، تماماً مثلما تختلف كيفية الصلاة في الدين الواحد، فلو أخذنا الصلاة في دين الإسلام مثلاً؛ لوجدنا مصاديق متعددة لها بدءاً من الصلاة على محمد وآل محمد كذكر، إلى الصلاة على الجنابة والميت كدعاء إلى الصلاة اليومية باختلاف ركعاتها من ثنائية وثلاثية ورباعية إلى صلاة الجمعة وخطبتيها بدل ركعتين إلى صلاة الآيات بركوعاتها المتعددة في الركعة الواحدة.. وهكذا. وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود ودور الصلاة في سائر الديانات ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبَدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأوضح منه ما صرح به نبي الله عيسى عليه السلام من قوله ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾<sup>(٣)</sup> وقبل الجميع نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث يقول ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾<sup>(٤)</sup> وهكذا تجد الحديث عن سائر الأنبياء عليهم السلام.

(١) لتفاصيل هذا الموضوع يراجع قصة تشريع العبادات للمؤلف.

(٢) هود: ٨٧.

(٣) مريم: ٣١.

(٤) إبراهيم: ٤٠.

٣. العنوان الثالث الذي نجده مشتركاً بين الرسل والديانات السماوية هو التشريعات؛ سواء منها ما يتعلق بالجزاءات والقضايا الجنائية، أو بالمواريث أو بالقوانين الأخلاقية أو غيرها مما يحتاج تتبعه بالكامل إلى تفصيل المقال، ولكننا نورد جوانب منا، ففي قوانين الجزاءات تحدث القرآن عن التوراة فقال (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ).<sup>(١)</sup>

ولدى اليهود ما يعرف بالوصايا الموسوية العشر، وهي تلك التي تركها نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وهي نفسها التي تلاها النبي محمد ﷺ على أسعد بن زرارة عندما جاء إلى مكة، فلنترك أسعد بن زرارة يتحدث عنها وعن تأثيرها فيه وأصحابه:

قدم أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد قيس مكة في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بقوا فيها دهرًا طويلاً، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعث، وكانت الغلبة فيها للأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة يسألون الحلف على الأوس وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه، وقص عليه ما جاء من أجله فقال عتبة بن ربيعة في جواب أسعد: بعُدت دارنا من داركم، ولنا شغلٌ لا نتفرغ لشيءٍ، قال أسعد: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟ قال عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سقّه أحلامنا، وسبّ أهلتنا، وأفسد شبابنا، وفرق جماعتنا..

فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً،





وأعظمتنا بيتاً.

فلما سمع أسعد وذكوان ذلك، أخذوا يفكران فيه، ووقع في قلبهما ما كانا يسمعانه من اليهود، أن هذا أو أن نبي يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة.

فقال أسعد: أين هو؟

قال عتبة: جالس في الحجر وأتهم لا يخرجون من شعبهم إلا في المواسم، فلا تسمع منه، ولا تكلمه، فإنه ساحر يسحرك بكلامه، وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب.

فقال أسعد لعتبة: فكيف أصنع، وأنا محرم للعمرة لا بد لي أن أطوف بالبيت؟

قال: ضع في أذنيك القطن.

فدخل أسعد المسجد، وقد حشا أذنيه بالقطن فطاف بالبيت ورسول الله جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازاه.

فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني. أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟ فأخذ القطن من أذنيه ورمى به، وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحاً.

فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه، وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة، السلام عليكم.

فقال له أسعد: إلى م تدعو يا محمد؟

قال النبي ﷺ: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله ﷺ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ

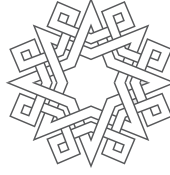
تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ\* وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا  
وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾.

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، يا رسول  
الله بأبي أنت وأمي أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال  
مقطوعة، فإن وصلها الله بك، ولا أجد أعز منك، ومعني رجل من قومي، فإن دخل  
في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك.

والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، ويبشروننا بمخرجك،  
ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك عندنا فقد أعلمنا اليهود ذلك،  
فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنتطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا  
الله بأفضل مما أتيت له. (٢).

(١) الأنعام: ١٥١-١٥٢.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ١٩/٨ عن تفسير القمي.



## أبو الأنبياء إبراهيم الخليل ﷺ

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ (١).

### منزلة النبي إبراهيم في الديانات

حظي نبي الله إبراهيم بين أتباع الديانات السماوية الثلاث بمنزلة لم يحظ بها أي نبي من الأنبياء بمن في ذلك سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) بالرغم من اعتقادنا بأفضلية النبي محمد ﷺ على إبراهيم ﷺ بل على كل الرسل والخلائق مجتمعين.

لكن موقع النبي إبراهيم لدى أتباع الديانات تلك وحضوره في ذاكرتها العقائدية

وتشريعاتها لا يماثله حضور نبيٍّ أبداً فهو عند اليهود يعتبر أبا الأمة اليهودية، يوقرونه غاية التوقير ويعتقدون أن الله بواسطته جعل عهداً عند اليهود اختصاصهم به ويعتبرونه من اليهود. والمسيحيون أيضاً يكرمون مقامه أيما تكريم تبعاً لأخذهم عقائدهم وقصصهم وتراثهم التاريخي من العهد القديم والتوراة وإجمالاً التراث اليهودي، وهو كما ذكرنا عندهم. والمسلمون أيضاً يفعلون ذلك. بل حتى الصابئة أيضاً تعظمه وتذكره في دعاء التعميد الصابئي<sup>(١)</sup> المهم عندهم!

بل ربما تنازع شخصيته وانتفاءه<sup>(٢)</sup> إليهم أصحاب الديانات؛ وحقاً لإبراهيم أن يكون له هذه المنزلة. فإن الآيات التي تناولت قصة إبراهيم في القرآن الكريم -بالإضافة إلى سورة خاصة باسمه الشريف- تصل إلى ١٧٩ آية تتحدث عن قصته وقضاياها، وهي تشكل نسبة غير قليلة من آيات القرآن بالقياس إلى ما جاء في حق سائر الأنبياء!

بالإضافة إلى ذلك فإنه يعتبر الأب الثاني للأنبياء بعد النبي نوح ﷺ؛ ولا ريب أن من يكون الأنبياء من ذريته لا بد أن يكون له جهة تفضيل مهمة جعلته يحظى بهذا الشرف والميزة دون غيره.<sup>(٣)</sup>

(١) م. محمد فهد حسين؛ النبي إبراهيم في العراق بين التوراة والقرآن: مقال في مجلة القادسية في الآداب

والعلوم التربوية عدد ٤٣ و٤٠٣ مجلد ٤ سنة ٢٠٠٥ / الكترونية قرئت بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٤٤١

(٢) آل عمران: ٦٥-٦٧ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ \* هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿

(٣) قد يستفاد ذلك مما ورد في شأن الإمام الحسين ﷺ من أن الله سبحانه عوض الحسين من قتله؛ بأن..

وجعل الأئمة من ذريته.. وسائل الشيعة ١٤ / ٤٢٣.



إن من يكون من ذريته النبي المصطفى سيد خلق الله تعالى يكفيه ذلك لأن يستطيل بهذا الشرف على الأعناق! كيف فإذا أضيف إليه سائر أنبياء بني إسرائيل من إسحاق ويعقوب ويوسف، ثم موسى وهارون، وداود وسليمان وسائر الأنبياء والأوصياء.. فالأمر يكون أعظم وأعظم.

لقد عبر القرآن الكريم عنه بأنه أمة ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup> ولا غرابة في ذلك فبعد أن حطم أصنام الوثنية في موقف خلدته القرآن، أقام بيده وابنه صرح التوحيد في هذه الأرض، وبنى الكعبة المشرفة من جديد بعدما كانت قد تهدمت فرفع قواعدها من جديد ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

ولذلك فنحن نتعجب جدا أنه مع هذه المنزلة العظيمة قد ورد في بعض صحاح المسلمين نسبة الكذب في ثلاثة أمور!<sup>(٢)</sup> ونحن نعتقد أن هذا من تسرب الاسرائيليات إلى كتب المسلمين عبر بعض علماء اليهود الذين أسلموا وتمكنوا من تبوء مواقع

(١) النحل: ١٢٠.

(٢) الحديث الذي رواه في صحيحيهما البخاري ١١٢/٤ ومسلم ٩٨/٧ عن أبي هريرة أن النبي قال (لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات؛ تُثبتن في ذات الله: قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعلة كبيرهم هذا)، وواحدة في شأن سارة لما قال للملك أنها أخته.. ورواه في مسند أحمد ٢٨١/١ في باب الشفاعة وساق الحديث شبيها بما سبق.

قال ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٧٨/٦ «وأما إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة؛ فلكونه قال قولاً يعتقده السامع كذبا، لكنه إذا حَقَّقَ لم يكن كذبا لأنه من باب المعارض المُحتملة للأمرين فليس بكذب محض» وهذا معناه أنه استشيع نسبة الكذب إليه، ﷺ وذهب إلى ما قرره محققون من أنه من باب التورية! والتورية خارجة موضوعا عن الكذب. وأن ما نسب من الكذب له في الرواية لا يمكن قبوله.

التوجيه الديني والحديث مع المسلمين باعتبارهم أهل العلم. سواء كان هذا التسرب بقصد منهم وبغير قصد.

## ولادة نبي الله إبراهيم

كانت ولادة نبي الله إبراهيم ﷺ في العراق في بلدة اسمها القديم أور الكلدان وقد يعبر عنها باسم كوثر وفي الجغرافية الحديثة تعادل أطراف بلدة الناصرية في جنوب العراق.

والد إبراهيم عندنا الإمامية هو تاريخ بحسب ما ورد في روايات أهل البيت ﷺ وهو الاسم الموجود في سفر التكوين في التوراة، وأما عند غير الامامية من المسلمين فوالده هو آزر وقد استندوا إلى ظاهر بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

واعتقادنا الامامية أن آباء الأنبياء لم يكونوا كافرين<sup>(٢)</sup> وهذا يقتضي انتخاب الله سبحانه وتعالى لأنبيائه بل وأوصيائه وأوليائه من الأصلاب الشاخحة والأرحام المطهرة

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) في خصوص والد النبي إبراهيم يقيم الامامية شواهد على لزوم أن يكون غير كافر ويلزم منه ألا يكون آزر: فمن ذلك أنه لو كان والده كافرا لكان أحد آباء رسول الله كافرا بينما الاجماع قائم على كون آباءه موحدين مع ملاحظة أن والد إبراهيم يكون أحد أجداد النبي. وذكروا أيضا أن كلمة الأب قد تطلق على العم في لغة العرب، مثلما ورد في القرآن ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة: ١٣٣ فإن اسماعيل ليس من آباء يعقوب وإنما هو عم له. وهذا بخلاف كلمة (والد) فإنها لا تستعمل على نحو الحقيقة إلا في الأب النسبي، ولذلك قال إبراهيم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ إبراهيم: ٤١ وكان هذا في أواخر حياته وبعد ما بنى الكعبة ورزق بابنيه اسماعيل وإسحاق.. وأدلة أخرى تطلب من مظانها.



والموحدين وذلك كي لا يتأثر هؤلاء بعوامل الوراثة السيئة.

وُلد النبي إبراهيم في زمان الملك الجبار النمروود وكانت الديانة الرسمية التي كانت في ذلك الوقت عبادة الكواكب والنجوم، ويشير بعض الباحثين إلى أن عبادة الكواكب والشمس والقمر والزهرة، كانت موجودة في معظم المناطق الزراعية والرعية، نظرا لارتباط رزقهم ومعيشتهم بالأمطار والشمس والأبراج وهذا يجعلهم يتعلمون منازل النجوم والأفلاك وبسبب جهلهم كانوا يعتقدون أن هذه النجوم لها أثرٌ في الأرض فإذا طلع النجم الفلاني كان له تأثير في الزرع وإذا طلع النجم الفلاني نزل المطر فيتصورون أن هذه النجوم والأفلاك والشمس هي المؤثر الحقيقي في هذه الأمور فكانوا يقدرّون الكواكب ويتقربون إليها ويرجون خيرها ويتقون شرها بالقرابين وما شابه ذلك ويجعلون لها تماثيل وأصنامًا مثل الإله بعل وهو في زعمهم إله الخصب والنماء ومنها تحولت إلى معبودات لهم.

و«عاش إبراهيم في عصر يؤله الملوك ويعبد فيه الناس الكواكب والشمس والقمر كما كان يعرف الالتقاء في النار كعقوبة على بعض الجرائم وكل هذا نجده في العراق القديم وخصوصًا في الجزء الجنوبي منه أي أرض سومر... وأغلب الظن أن إبراهيم عاش في فترة سلالة أور الثالثة ٢١١٢ ق.م إلى ٢٠٠٤ قبل الميلاد، في فترة حكم الملك الثاني شولكي لها ٢٠٩٤ ق.م إلى ٢٠٠٤ ق.م»<sup>(١)</sup>.

## بعثة النبي إبراهيم

هناك اختلاف في التواريخ التي تذكر في قضية النبي إبراهيم ﷺ، بل في غيرها، وأظن أن من الطبيعي أن يحصل ذلك فإن ما كتب حتى في المصادر القديمة كالتوراة لم

(١) م. محمد فهد حسين؛ النبي إبراهيم في العراق بين التوراة والقرآن / مصدر سابق.

تؤرخ الأحداث بحسب السنوات، بل ربما لم يعرف التاريخ قياساً إلى شيء ثابت عند الكثير إلا بعد ولادة المسيح عيسى بن مريم حيث بدأ يتم اعتماده كأساس للتاريخ. وما نحن فيه هو من هذا القبيل فبنظرة متأمله نجد عند المقارنة مثلاً بين ما أورده الباحث محمد فهد حسين، حول النبي إبراهيم وتحديد فترته الزمنية من حيث ولادته حيث قال إنها كانت بحوالي ٢٣٢٤ ق.م ووفاته، يختلف عما ذكره العلامة السيد البدرى في لوحته ميثاق النبيين بفاصلة زمنية تصل لحدود الخمسين سنة حيث قال إنها كانت بحوالي ٢٢٧٥ ق.م وكذلك يختلف كثيراً عما ذكره الباحث سجادي<sup>(١)</sup> من أنها كانت حوالي ١٩٩٦ ق.م.

سوف نعتمد ما قاله العلامة البدرى الذي ذكر أن ولادة النبي إبراهيم كانت في ٢٢٧٥ ق.م.

ولم يتبين بشكل واضح عمره الشريف حين بعثه وإن قال البعض أن عمره كان أربعين سنة بناءً على نظرية أن الله ما بعث الأنبياء إلا أبناء الأربعين<sup>(٢)</sup>، لكن هذه لم تثبت كليتها فإن عيسى بن مريم أخبر عن نفسه أنه جعله الله نبياً مع أنه كان في المهد حينها ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا \* وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾<sup>(٣)</sup> وبدأ بممارسة الدعوة قريب الثلاثين من العمر وعندما رفع إلى السماء - في اعتقادنا وصلب في اعتقاد اليهود - كان عمره ٣٤ سنة فلا يوجد دليل واضح على أن كل الأنبياء يجب أن يكونوا أبناء الأربعين.

(١) نقله موقع ويكي شيعه ar.wikishia.net عن كتابه: إبراهيم خليل (بالفارسية). مادة النبي إبراهيم / قرئت بتاريخ ٢٥/١٠/١٤٤١.

(٢) زعم بعضهم أن هذا السن لما كان سن اكتمال النضج العقلي والذهني ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فحينها يبعث الأنبياء وأن النبي محمداً قد بعث في الأربعين... وأنت ترى أن هذا لا كلية فيه.

(٣) مريم: ٣٠-٣١.





نعم يظهر من محاورته لعمه أزر، وقد كان يبيع الاصنام ويتاجر بها، أنه كان قد آتاه الله العلم والحكمة في وقت مبكر ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ \* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا \* يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (١).

هذا إذا قلنا إنَّ (إذ وما بعدها) شرح لقوله تعالى ﴿صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ فحينئذ يمكن أن يستفاد منها أنه كان في ذلك الوقت نبياً، وإذا علمنا أنه كان في وقت مبكر من شبابه، فيمكن استنتاج أن بعثته كانت في وقت مبكر من الشباب.

وكانت هذه المواجهة مع عمه هي البداية، حيث بدأ بمخاطبة مرتكزاته العقلية، كشخص أو كمجتمع؛ بأن الذي يُعبد لا بد أن يكون قادراً على التلقي بالاستماع والإبصار وأن يكون مستعداً للإجابة والإغناء بقضاء حاجات عباده! أما إذا لم يكن سامعاً للأصوات فلماذا يُنادى؟ وإذا لم يكن بصيراً بالحاجات فلماذا يُدعى؟ بل حتى لو كان سامعاً وبصيراً لكنه عاجز عن تلبية تلك الحاجات فلا يغني عنك شيئاً فما هي فائدة ندائه؟ وما فائدة سماعه؟

وبعداً انتقل من الدائرة الخاصة بعمه وأسرته إلى المجتمع، حيث كان المجتمع يعبد الشمس والقمر والكواكب، واتخذ طريقةً يمكن تسميتها بإسقاط الفروض الخاطئة والانتهاة إلى الفرض الصحيح، وهذا ما يمارسه دارسو الهندسة في حل المسائل الهندسية فيأتي بفرض معين ويسقطه ليثبت الفرض الآخر. وهذا ما عمله نبي الله إبراهيم مع قومه فقد كانوا يعبدون الزهرة وجاء وقال هذا ربي فلما أفل قال: لا

أحب الآفلين. فربي يرعاني ويحيط بي ويعتني بي فإذا غاب من يرعاني. فلما رأى القمر بازغاً بعده قال: هذا ربي. فلما أفل قال نفس الشيء.

فلما طلعت الشمس قال هذا هو الإله المطلوب فهو كبير وضخم وبالتالي فهذا أكثرهم قدرة. وبالتالي لما غاب عن الأنظار قال لهم هذا أيضاً ليس رباً لأن من شأن الرب أن يرعى مربوبيه وأن يعتني برعيته فلا يصح أن يغيب عنهم ويهملهم. وبالتالي وجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض وأخبرهم عن الله ﷻ.

ثم تقدم خطوة ثالثة وهي تعريف الناس بحجم وحقيقة هذه الأصنام وأنها لا تنفع نفسها فضلاً عن تضر غيرها، عندما جاء في أحد أعيادهم وقد خرجوا للاحتفال وحطم الأصنام المنصوبة وجعل الفأس في عنق الصنم الأكبر، فلما رجعوا ورأوا تلك المجزرة. قالوا: من فعل هذا بأهتنا؟ قالوا: لقد رأينا إبراهيم يستهزئ بأهتنا وينتقصها فأحضره وسأله أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم؟ ولم يقل: لم أفعل! وإلا لو قال ذلك لكانت كذبة واضحة، ولكنه أجاب بجواب فيه تورية واحتجاج، فقال: بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون.

وفي تفسير المعصومين ﷺ أنهم قالوا يوجد تقديم وتأخير فمعنى الآية هكذا: بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون. فإن كان يتأتى منهم فعل الكلام والحديث والتفاعل فقد فعلوا التكسير والتحطيم. كيف نعرف إن ينطقون أم لا؟

قال: سلوهم. فلا ينطقون وما داموا لا ينطقون فلا يمكن أن يفعلوا. هذا التقدير يقي نبي الله إبراهيم من القول الصريح بمخالفة الواقع وهذا ما يسمى بالتورية وهي تعليق الأمر على شرط. إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم لكن في الواقع هم لا ينطقون.

هذه الهزة والصدمة على مستوى التحطيم من جهة وعلى مستوى السؤال الحرج



لهؤلاء جعلهم يراجعوا أنفسهم ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> فما هذا المعبود الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا الكلام نأتي نحن ونتوسل به ونعبده؟

### احتجاج إبراهيم على النمرود

فاستدعى إبراهيم وكانت هذه أول مره يستدعيه إلى البلاط فحين سأله إلام تدعو قال: أنا أدعو إلى عبادة الله ﷻ. قال: من هو الله؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت. قال: أنا أحيي وأميت. فأمرهم أن يحضروا اثنين قد حُكِمَ عليهما بالقتل فقتل أحدهم، وقال: أمته، وقال للثاني اذهب، وهذا أحييته. وهنا يتبين ذكاء إبراهيم حيث ترك مناقشة جزئيات هذه الواقعة وأنه لا يصح أن يقال لهذا أحييته!

وتركه النقاش في تفاصيل الحادثة، هو إتقان لفن المناظرة!

ترك ذلك وقال له: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾<sup>(١)</sup> والنتيجة: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

### إبراهيم يلقي في النار

أصبح إبراهيم ودعوته وقصصه وحججه على كل لسان، وانشغل الناس بالتفكير فيما قاله ويقولوه، سواء مع عمه أو حين أفلت الكواكب أو بعد تحطيم الأصنام أو أمام الملك النمرود.. عندها قرر النمرود التخلص من نبي الله إبراهيم، فجمع الأخشاب ليلقي النبي إبراهيم في النار العظيمة وكان الإحراق بالنار كما ذكرنا سابقا إحدى العقوبات المشهورة، وهي طريقة الطغاة حين يعجزون عن مواجهة الحجة بالحجة

(١) الأنبياء: ٦٤.

والبرهان، فلا يبقى عندهم إلا القوة والسيف!

وحيث كانت النار عظيمة متأججة لكثرة ما جمعوا لها من الحطب، فلم يكن ممكناً أن يؤخذ إبراهيم إليها، وكان لا بد أن يوضع في المنجنيق ويلقى من بعيد إليها، تقول الروايات أنه بينما كان إبراهيم في الهواء لكي يهوي في النار سأله جبرئيل الأمين، فقال: يا إبراهيم هل لك حاجة؟

قال: أما إليك فلا..

قال: فله؟

قال: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي.

هذا التوكل على الله والتسليم لارادته كان لا بد أن ينتج ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ \* وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿١﴾.

وبينما كان الناس ينتظرون أن يشموا رائحة الشواء، أو يسمعوا صراخه وألمه فوجئوا بإبراهيم وكأنه في روضة غناء. قيل هنا أن أحد سدنة المعبد مع النمروذ أراد أن يستغل الفرصة قال: يا أيها الملك أنا أشفقت عليه وقلت للنار لا تحرقيه!. وإذا بعنق من النار من تلك النار يأتي ويحرق وجه هذا السادن الكاذب ولحيته.

## إبراهيم يغادر العراق

ولما رأى النمروذ أن تحدي إبراهيم غير ممكن، وأن بقاءه عليه يفسد عليه وضعه، أمره بالخروج والمغادرة من تلك البلاد! وإبراهيم كسائر الأنبياء مع صلابتهم في تبليغ رسالة ربهم إلا أنهم حكماء في الأساليب ولديهم مرونة في التكتيكات وما عرض عليهم أمر فيه

(١) الأنبياء: ٦٩ - ٧٠.



رفق إلا واختاروه، فاستجاب إبراهيم لذلك وخرج مع من آمن به، وكان منهم ابن أخيه لوط الذي سبيعه فيما بعد نبيا إلى مدينة سدوم وما حولها، وكان ممن خرج معه زوجته سارة المرأة العظيمة في عطائها المالي والتي تشبه في عطائها للرسالة الالهية خديجة بنت خويلد عليها السلام حيث قيل إنها كانت تمتلك الكثير من الأغنام والأبقار وأنها أعطتها كلها لزوجها إبراهيم ﷺ كما أنها كانت من أجمل النساء.

وقد اتجه النبي إبراهيم ﷺ أولا إلى جهة الشمال واستقر ومن معه في منطقة اسمها حاران وهي أطراف الحدود الجنوبية التركية حاليا ثم نزلوا باتجاه بلاد الشام وتحديدا فلسطين.

## استقرار لوط في سدوم

في الطريق إلى فلسطين أمر النبي إبراهيم ابن أخيه لوطاً بأن يتجه إلى جهة الأردن بلدة اسمها سدوم بالقرب من البحر الميت (حالياً) وتتبعها عدة بلدات وكانت أخلاق أهلها منحرفة حتى عبر القرآن عنها بأنها القرية التي كانت تعمل الخبائث، وهذا يشير إلى انتشار ذلك الانحراف الأخلاقي على صعيد واسع وإلا فإنه لا تخلو بلدة من أشخاص منحرفين، ولكن لا يقال له بلدة الانحراف، إلا إذا كان ذلك الفعل طاعياً وعماماً فيها!

وقد أشرنا فيما سبق عمّا يستفاد من وجود نبيين في زمان واحد وإن كانا في بلدين مختلفين! كما أشرنا إلى لزوم تلقي الروايات التاريخية من مصادر موثوقة وصادقة، فإننا هنا لو لم نتلق الرواية مثلاً من أهل البيت ﷺ، لكان علينا أن نلتزم بما ذكر في التوراة (المحرفة الموجودة) من أن نزاعاً بين النبي إبراهيم والنبي لوط قد حصل على المرعى وأن كلاً منهما كان يريد المرعى الأفضل لغنمه! فانفصل لوط عن إبراهيم وواصل

إبراهيم مشواره لفلسطين بينما بقي لوط هنا في سدوم!

وأنت ترى أن مثل هذا لو حصل بين شخصين عاديين مترافقين لبعض الوقت لكان قبيحًا منها فكيف يتمشى من نبيين كريمين أحدهما إبراهيم وهو من عرفنا شيئًا من خصاله في الصفحات الماضية! كيف يمكن تصديق أن انفصلهما عن بعضهما وترك أحدهما الآخر كان على أثر مغاضبة ومعرفة على بعض الحشائش ومأكلة الغنم! وقد سبق الحديث في موضوع النبي لوط وقومه وماذا حصل فليراجع.

### وصول إبراهيم إلى فلسطين

في فلسطين بقي نبي الله إبراهيم ينشر التوحيد ويحارب الشرك والخرافة، وامتد به العمر في ذلك وهو إلى الآن وقد تجاوز عمره الثمانين ولم يرزق بولد! في بيئة كان الولد بالنسبة إليهم ضرورة حياة وليست كما لا وزينة! وها هي زوجته قد تحطت السبعين من العمر وهو سن لا يرجى معه الإنجاب منها.

إننا لكي نتصور حجم المعاناة في حياتها ينبغي أن ننظر إلى عوائلنا وأسرننا وكم تتحمل من نظرات الاتهام والتحقير ومن همس الآخرين بل وكلامهم أنه من هو العاقر منها؟ ومن هو منها المريض الذي لا ينجب! ويتعصب للرجل فريق وللمرأة آخر.. ثم انظر إلى حالة إبراهيم النبي! وما يقع عليه من التعيير من خصومه في هذا الجانب وأنه كيف يكون نبيًا مقربًا من الله وهو لا يعطيه ما يعطي أي مخلوق عادي من البنين والبنات والذرية العريضة!!

وفي هذا درس لنا ولعوائلنا وأسرننا في صبر كل من الزوجين على الآخر ومع الآخر فإن نبي الله وسارة هنا صبرا وحافظا على حياتها الزوجية وانسجامها مدة تتجاوز خمسين سنة على الأقل!



نستفيد من ذلك درسًا ألا يقوم أحدنا (من الآباء أو الأمهات) إذا تأخر الإنجاب مدة ستة أشهر من تاريخ زواج ابنائنا بدنا في تحريض من يتصل بنا ولا سيما إذا علم أن السبب في عدم الانجاب من الزوج فتقوم (قيامه) أهل الزوجة في ذلك حتى يطالبوه بطلاق ابنتهم حتى ترى حياتها كما يقولون! وأسوأ من ذلك لو كان السبب من الزوجة فما أسرع ما يتم طلاقها من ابنهم!! قضية نبي الله إبراهيم تخبرنا بأن الصبر عاقبته حميدة وبأن الله هو الذي ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾. (١)

وبالعكس من ذلك فإن سارة عليها السلام، وعلى خلاف الطبيعة الأثوية للمرأة في أنها تحب أن يكون زوجها لها بالكامل وألا يشاركها في عواطفه أحد.. فإنها عرضت على النبي إبراهيم جاريتها هاجر لكي يدخل بها فلعل الله يرزقه منها مولودًا ما دام لم يرزق منها هي! لا سيما وأنها هي بحسب الظروف العادية لن تكون لها فرصة في الانجاب له، ومثله من يتوق للولد ليواصل مسيرته في هداية الناس لخالقهم!

انتج دخول إبراهيم بهاجر جارية سارة أن رزقه الله إسماعيل بعد هذه المدة الطويلة، وبمقدار ما كان مجيء إسماعيل إلى بيت إبراهيم باعثًا للسرور في نفس إبراهيم ﷺ، فقد كان مثيرًا للغيرة بين المرأتين كما قيل، حيث أنجبت هاجر ولم تنجب سارة مع طول المدة إلى الآن، فإن من الطبيعي أن يحظى المولود الجديد بمحبة خاصة في نفس أبيه، ولمزيد من الاهتمام لقدمه بعد هذا الانتظار الطويل، فكان لا بد من حلٍّ وهنا جاء أمر الله تعالى ولإكمال مراتب ودرجات النبي إبراهيم في مراحل متعددة من الامتحان، بأن يذهب بهاجر وطفلها إلى (واد غير ذي زرع) ويتركها هناك متوكلاً على الله تعالى لأمر هو بالغه!

كان الأمر يحتاج إلى توضيح كبيرة؛ من هاجر التي يتطلب منها الموافقة على ذلك

والتسليم لأمر الله والصبر على الغربة في تلك المنطقة النائية! ومن إبراهيم الذي يحتاج إلى أن يلتزم أمر الله سبحانه في أن يترك طفله الصغير الذي جاءه بعد عقود من زمان الانتظار، ومن الممكن أن يكون في تلك المنطقة الجديدة عرضة للخطر.

وعلى كل حال فقد خف إبراهيم ومعه هاجر وطفله الصغير إسماعيل في رحلة سيكون من نتيجتها بعد سنوات أن سيبنى بيت التوحيد، وستعمر المنطقة بالموحدين المؤمنين بالله.

تقول بعض الروايات أن هاجر بعدما علمت بنية زوجها أن يسكنها منطقة أخرى غير فلسطين التي كانوا فيها، كانت كلما مروا بمنطقة خصبة وفيرة المياه كثيرة الأشجار سألته هل سننزل هنا؟ ويحيبها بالنفي إلى أن وصلوا بعد فترة طويلة إلى مكة وهي التي وصفها بأنها واد غير ذي زرع، ولا أحد يسكن تلك المنطقة، طرح رحاله مأموراً من ربه أن يسكن أهله في هذه المنطقة. وحين أراد العودة إلى فلسطين، سألته زوجته باستغراب: إلى من تكلمنا في هذا المكان الموحش؟ قال: إلى الله أكلكم! قالت: ربك أمرك أن تفعل هذا؟ قال: نعم! فقالت: إذن لا يضيعنا!

وبعدما نفذ ما كان عندها من الماء والطعام صارت تصرخ: هل من أنيس؟ ألا أحد في الوادي؟ ولم تسمع سوى صدى صوتها فصعدت إلى الصفا تلتفت يمينا وشمالاً فلم تجد أحداً، وانحدرت إلى المروة حيث لم تجد شيئاً وهكذا ظلت ذاهبة وجائئة إلى المروة ومنها! وعندما أتمت شوطها السابع وقد بلغ التعب منها مبلغه؛ بعد أن قطعت أكثر من كيلومترين في تلك الأرض والتلال التفتت إلى حيث وضعت ابنها فإذا بالماء قد تفجر من تحت قدمي إسماعيل.

وعاد النبي إبراهيم مرة أخرى ليجد ابنه قد كبر واستوى وأن الناس الذي كانوا في الجوار قد اقتربوا من هاجر وابنها، حيث الماء وما يتبعه من انبعاث الحياة، وفي





هذه المرحلة أمر الله نبيه إبراهيم بأن يبني الكعبة المشرفة على قواعدها التي كان من السابق، فرفع إبراهيم القواعد من البيت بمساعدة ابنه إسماعيل وشفقته تلهجان بذكر الله والدعاء ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ \* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. (١) ليستجيب الله دعاءه فيعمر ذلك البيت بالطائفين والعاكفين والركع السجود، وليحقق الله لإبراهيم دعوته ف ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (٢)

في الطرف الآخر جزى الله سارة عن مواقفها في عطائها نبي الله إبراهيم أموالها وما كانت تملك، وأنها عرضت عليه أن يدخل بجاريتها لكي يحقق الله له رغبته في الولد، وكل ذلك إحسان و ﴿اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فكان جزاءها ما قاله الله تعالى ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحاقَ وَمِمَّنْ وَّرَاءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ \* قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ \* قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾. (٣)

إن العطاء الالهي لا يخضع للمقاييس المادية التي نعرفها، فهو يتجاوز القوانين الطبيعية ويستثير العجب في أنه كيف تنجب امرأة وقد تجاوزت السبعين من العمر؟ لكن هو (أمر الله)، بل لم يتوقف العطاء عند هذا الحد بل جاءت البشارة بالحفيد أيضًا وفي هذا معنى أن إسحاق سيأتي ويبقى سالمًا وسيتزوج وينجب الخلف له أيضًا وهو

(١) البقرة: ١٢٧-١٢٩.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) هود: ٧١-٧٣.

يعقوب! لقد كان أصل حملها وانجابها هو فوق التوقعات وأكثر مما كان يرجى! فإذا بالوعد الالهي يعطيها الأمل لأحفادها!

## من هو الولد الذي أمر الله إبراهيم بذبحه؟

الرأي الموجود لدى اليهود والمسيحيين أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام. لكن الرأي السائد عند الإمامية هو أن الذبيح إسماعيل عليه السلام. بينما انقسم الرأي في مدرسة الخلفاء فبينما ذهب الأكثر منهم أنه إسماعيل ذهب غيرهم إلى أن الذبيح هو إسحاق.

ومن الطبيعي أن يرى اليهود ومن بعدهم المسيحيون أن هذه المنزلة العليا من التسليم خاصة بإسحاق وهو أساس الأمة اليهودية فيما يرونه ووالد يعقوب (اسرائيل) والذي ينتسبون إليهم فهم (بنو اسرائيل) ومنه أخذوا وجودهم وكيانهم! فإذا دار الأمر بينه وبين غيره أن يكون في المنزلة العالية فمن الطبيعي أن تنسب إليه! يضاف إلى ذلك ما يقولونه بأن إبراهيم لم يذهب إلى أرض الحجاز فلا معنى لأن تجري أحداث القصة بالنحو الذي يرويها المسلمون مكاناً وشخصيات.

وبالذات بالنسبة لإسماعيل فإن الموجود في التراث اليهودي الفعلي<sup>(١)</sup> لا يحيطه

(١) أشار لذلك العلامة الطباطبائي في الميزان ٧/ ٢٢٥، حيث لاحظ: أن من جملة ما يلاحظ على التوراة الموجودة إهمالها ذكر بناء الكعبة المشرفة وجعله حرماً آمناً وتشريعه الحج، ولا يرتاب أي باحث ديني ولا ناقد اجتماعي أن هذا البيت العتيق الذي لا يزال قائماً على قواعده منذ أربعة آلاف سنة من أعظم الآيات الإلهية التي تذكر أهل الدنيا بالله سبحانه وآياته، وتستحفظ كلمة الحق دهرًا طويلاً، وهو أول بيت لله تعالى وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين.

وليس إهمال ذكره إلا لتزعة إسرائيلية من كتاب التوراة ومؤلفيها دعوتهم إلى الصفح عن ذكر الكعبة؟ وإحصاء ما بناه من المذابح ومذبح بناه بأرض شكيم، وآخر بشرقي بيت إيل، وآخر بجبل الرب.

ثم الذي وصفوا به النبي الكريم إسماعيل: أنه كان غلاماً وحشياً يضاد الناس ويضادونه، ولم يكن



بالاحترام اللازم له، وأنشد فليس من المتوقع أن ينسبوا مثل هذه المنقبة لإسماعيل. بل إن جزءاً من ذلك انسحب على حفيده النبي محمد ﷺ، وأمته حيث قالوا بأنه ﴿كَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾.

ومما يذكره الامامية وسائر المسلمين من الشواهد على أن الذبيح هو إسماعيل:

١. الشاهد القرآني الأول في سورة الصافات يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ \* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِن الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> وهكذا يستمر القرآن في ذكر هذه الحادثة بتفاصيلها وبعدها بست آيات يقول ربنا سبحانه ذاكرًا، البشارة الثانية لإبراهيم وهي البشارة بإسحاق، ولا معنى لتكرار البشارة إذا كان الشخص واحدًا، وإنما تصح عندما يكون شخصان وبشارتان، الأولى بإسماعيل الذي ذكرت قصته آنفًا، والبشارة الثانية بإسحاق الذي سيكون نبيًا من الصالحين ولا معنى لأن يبشره بأنه سيكون نبيًا ثم يقول له اذبحه!

٢. الشاهد القرآني الثاني: قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهَا بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ﴾<sup>(٢)</sup> فإن هذه البشارة كانت قبل ولادة إسحاق، وتمت البشارة لسارة بولد يولد لها، ثم يولد له ولد وهو يعقوب الذي سيكون حفيدها، ومع هذه

له من الكرامة إلا أنه كان مطرودًا من حضرة أبيه، نما رامي قوس! يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره.

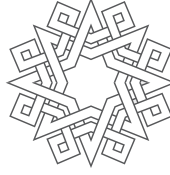
(١) الصافات: ١٠١-١٠٧.

(٢) هود: ٧١.

البشارة بالولد والحفيد لا معنى لأن يُفترض أن الله قد أمر بذبح إسحاق، وإلا لكان من المناسب أن يسأل إبراهيم النبي ربه؛ لو أمره بالذبح أن كيف تأمرني بذبحه وقد وعدتني أن يكون له ابنٌ ونبي؟ فيما أن يكون ذلك الوعد والبشارة غير صحيح أو أن هذا الأمر ليس صحيحًا وليس جدّيًا؟ أفهل ترى الله قد نسي ما وعده به قبل ولادته حتى إذا جاء ومرت عليه سنوات نسي الموضوع وأمر بذبحه؟ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾. (١)

٣. الشاهد الثالث: أنه لا خلاف بين اليهود والنصارى والمسلمين أن إسماعيل هو الابن البكر للنبي إبراهيم سواء كان أكبر من إسحاق بخمس أو بعشر سنوات والابتلاء الحقيقي الذي يتحدث عنه سبحانه وتعالى فيقول ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ يتناسب مع وجود ولد واحد لإبراهيم. وإلا لو كان لديه أكثر من ولد فلا يكون هذا امتحانًا صعبًا كما هو واضح. ويقتضي هذا أن يكون الامتحان قد حدث قبل مجيء إسحاق إلى الدنيا، وأنه لم يكن هناك من ولد لإبراهيم غير إسماعيل.

بعد مئة وخمس وسبعين سنة من الزمان، ونبين عظيمين ستمتد النبوة فيهما، أغلق النبي إبراهيم عينيه قريهما هانئا ليكون في رحاب الله وجنانه.



## صحف النبي إبراهيم وشريعته

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي  
الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ \* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾

في إطار تعظيم القرآن لصحف وملة إبراهيم ذكرت ملة إبراهيم بهذا اللفظ في القرآن الكريم ثماني مرات، بأنحاء متعددة يجمعها التكريم والدعوة إلى الاقتداء بها واقتفاء أثرها:

١. من تلك الآيات الآية السابقة الذكر، التي جعلت الانصراف عن ملة إبراهيم وطريقته مقارناً للسفه فاستعمل القرآن: يرغب عن.. حيث هي معاكسة في المعنى لـ (يرغب في) فكما تشير هذه إلى الاشتياق والانعطاف للمرغوب فيه، كان الفعل عندما يُتَّبَع بالحرف (عن) مفيداً للانصراف وعدم الاعتناء، وإنما كان ذلك من سفه النفس لأن هذه الملة تطابق الفطرة السليمة والعقول الحصيفة والقيم الأخلاقية فلا ينبغي أن يرغب عنها الإنسان. فإذا انصرف عنها وتركها شخص يتبين من ذلك أن فطرته منتكسة وأن نفسه سفيهة. إذ

العاقل لا ينصرف عن الحسن إلى القبيح!

٢. في آية أخرى جعلت الهداية في ملة إبراهيم، ولا يقبل ادعاء البعض بأنهم مهتدون لأنهم ينتمون لهذا الدين أو ذاك باسمهم! ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup> وترد هذه الآية على زعم كثير من أتباع هذه الديانات وأحبارها الذين كانوا يرون أن مجرد الانتماء العنواني لهذه الديانة أو تلك يجعل الشخص من الناجين ومن شعب الله المختار، فتخاطبهم الآية بأن الأمر ليس كذلك! إن حقيقة الديانات هي ما جاء به إبراهيم<sup>(٢)</sup> وهو الأصل في كل الديانات السماوية.

٣. وفي آية ثالثة يأمر الله النبي محمداً ﷺ مع أنه أفضل من إبراهيم، ومن خلال أمر النبي تؤمر أمته بأن يعلنوا بأنهم على الصراط المستقيم والدين القيم الذي هو ملة إبراهيم رافضاً للشرك والالحاد. ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤. وفي رابعة يقول: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وهكذا تتالى الآيات في الاشادة بملة إبراهيم والإشارة إليها وطلب الاقتداء بها..

(١) البقرة: ١٣٥.

(٢) مر الحديث عن العناصر المشتركة بين الديانات السماوية في العقائد والشرائع والاخلاق.

(٣) الأنعام: ١٦١.

(٤) آل عمران: ٩٥.

## فماهي ملة إبراهيم؟

ماهي هذه الملة؟ وهل كان لها صحف؟ وهل كان فيها تشريعات وسنن ونظام حياتي؟

أولاً: صحف إبراهيم قد ورد ذكرها في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾<sup>(١)</sup> وهكذا في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى \* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾<sup>(٢)</sup> كما ورد في الروايات أنها عشرون صحيفة،<sup>(٣)</sup> ونحن لا نعلم عن حجم هذه الصحف. ولكن الوارد أنه كما أن للقرآن الكريم ثلاثين جزءاً فإن صحف إبراهيم عشرون صحيفةً وكما أن القرآن الكريم نزل في شهر رمضان فإن صحف إبراهيم بل سائر الصحف والكتب السماوية نزلت في شهر رمضان. وهذه جاءت فيها روايات من الفريقين من مدرسة الخلفاء ومن مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

قد يقال: هل كان شهر رمضان موجوداً قبل عدة آلاف من السنين مما يوافق زمان إبراهيم مثلاً قبل حوالي ٤٢٠٠ سنة<sup>(٤)</sup>؟

والجواب: أنه ربما كان الاسم غير موجود لكن الفترة الزمنية موجودة. فالفترة الزمنية في علم الله ﷻ والتي ينطبق عليها عنوان شهر رمضان هذه السنة يعادل شهر يوليو مثلاً لكن بعد ثلاثين سنة قد يصادف سبتمبر أو ديسمبر، لكن شهر رمضان

(١) الأعلى: ١٨-١٩.

(٢) النجم: ٣٦-٣٧.

(٣) المجلسي، المولى محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ٣ / ٢٧٣ عن أمير المؤمنين

عليه السلام أن صحف إبراهيم كانت عشرين صحيفة وصحف إدريس ثلاثين، وصحف شيث خمسين.

(٤) باعتبار أن بعثته ربما كانت قبل ٢٢٠٠ سنة قبل ميلاد عيسى بن مريم.

كقطعة زمانية هو محفوظ، وثابت في علم الله ﷻ. والله سبحانه وتعالى يعلم أن هذه القطعة الزمانية ستسمى في أيام العرب والمسلمين برمضان وأنه انتخبها لهم للصيام. فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: قال النبي ﷺ: نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من شهر رمضان.<sup>(١)</sup>

## ما طبيعة صحف إبراهيم؟

نقل شيخ الطائفة، محمد بن الحسن الطوسي، في كتابه الأمامي<sup>(٢)</sup> رواية عن أبي ذر الغفاري فيها حواره مع رسول الله ﷺ، وهي رواية طويلة، جاء في جانب منها سؤال عن صحف إبراهيم؛ ومما جاء فيها:

قال أبو ذر: قلت يا رسول الله، فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام؟ قال: كانت أمثالا كلها وكان فيها:

١. أيها الملك المسلط المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم، فإني لا أردّها وإن كانت من كافرٍ أو فاجرٍ. فجوره على نفسه.

٢. وكان فيها أمثال: وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات. ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يتفكر في صنع الله تعالى، وساعة

(١) الكليني؛ الكافي - ط الإسلامية ٢ / ٦٢٩ وفي السند القاسم بن محمد (الاصفهاني) وهو مختلف فيه فبينما صحح العلامة الحلبي طريقا يقع فيه، رأى الخوئي في معجم رجال الحديث أنه لا توثيق له. ويوجد في مصادر مدرسة الخلفاء في السنن الكبرى للبيهقي ٩ / ١٨٨ والمعجم الأوسط للطبراني ٤ / ١١١.

(٢) ص ٥٤٠ كما وردت نفس الرواية بنفس النص تقريبا في مصادر كتب مدرسة الخلفاء.



يحاسب فيها نفسه فيما قدّم وأخر، ساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب.

٣. وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعادٍ، أو مرمة لمعاشٍ، أو لذة في غير محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، فإن من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

قلت: يا رسول الله، فهل في الدنيا شيءٌ مما كان في صحف إبراهيم وموسى ﷺ مما أنزل الله عليك؟ قال: اقرأ يا أبا ذر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾. (١)

وهذه الرواية تستحق وقفات كثيرة، لكننا نجملها في الآتي:

١. أن أبا ذر الغفاري وخلاًفاً للصورة التي يصورها عنه كتاب التاريخ الأموي والرسامي، في المسلمين من أنه كان شخصية فوضوية عنيفة، لكي يدافعوا بذلك عن معاوية بن أبي سفيان وربما عن مواقف الخليفة عثمان.. يظهر بصورة عالم دقيق النظر وساع وراء المعرفة من رسول الله ﷺ ذلك أن سؤال المرء هو ترجمان عقله، وأسئلة أبي ذر تلك تنبي عن عقله ومعرفته. (٢)

(١) الأعلى: ١٤-١٩.

(٢) بعض ما جاء في تلك الوصية ينيك عن هذا المعنى المتقدم.. ثم استوصاه واستزاده من الوصية فقال: أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله». قلت: يا رسول الله، زدني.

قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله ﷻ، فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء».

قلت: يا رسول الله، زدني.

قال: «إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه».

فقد سأل النبي فيما سأله عن: أي آيات الله التي أنزلها عليه أعظم؟ فأجابه بأنها آية الكرسي. ثم سأله عن صحف إبراهيم وصحف موسى. وأجابه عنهما.

٢. إننا نلاحظ أن النبي ﷺ استجلب أولاً ما يرتبط بنظام الحكم والقضاء في صحف إبراهيم، فهل لهذا ارتباط بما سيواجهه أبو ذر من الحكومات المستأثرة والمهتمة بجمع الدنيا والساعية في الظلم كالدولة الأموية؟ لا ريب أن صحف إبراهيم وهي عشرون صحيفة فيها الشيء الكثير من التوجيهات لكن انتخاب النبي التوجيه السياسي (إن صح التعبير) أولاً، هو مُلفت للنظر فقد أخبره أن صحف إبراهيم هي أمثال؛ نظير:

(أيها الملك المسلط المبتلى إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنني

قلت: يا رسول الله، زدني.

قال: «عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي».

قلت: يا رسول الله، زدني.

قال: «أحب المساكين وجالسهم».

قلت: يا رسول الله، زدني.

قال: «انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك؛ فإنه أجدر ألا تزدري نعمة الله عليك».

قلت: يا رسول الله، زدني.

قال: «قل الحق وإن كان مرأً»

قلت: يا رسول الله، زدني.

قال: «ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى بك عيباً أن تعرف

من الناس ما تجهله من نفسك، وتجد عليهم فيما تأتي».

ثم ضرب بيده على صدره فقال: يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن

الخلق».



بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها وإن كانت من كافر).

ففيها توجيه لقادة المجتمعات والسلاطين والرؤساء من الله سبحانه وتعالى الذي بيده أن يجعل الحكم والسلطان لهذا أو ذاك، أني ما جعلت الحكم لك أيها الحاكم لتجمع الأموال وتكدس الكنوز وتزيد أرصدتك، ليس هذا هو المطلوب منك. وإنما المطلوب هو أن تحجب عني دعوة المظلوم وذلك بأن توفيه حقه. فإن المظلوم لو وجد قضاءً عادلاً ورأى أنه إذا ذهب إلى المحكمة الرسمية حصل على حقه، لن يدعو الله في جوف الليل على ظالميه. وبعبارة أخرى فإن من مسؤوليتك أيها الحاكم أن تقيم نظاماً قضائياً عادلاً لا يلجئ المظلوم لأن يدعو على ظالميه ويرفع أمره لله تعالى.

هذا جزء من صحف إبراهيم وهو ما يرتبط بموضوع القضاء والحكومة والسياسة.

## ما يرتبط بالعقائد في صحف إبراهيم

ذكر النبي والإمام: يستفاد من روايات أخر تشير إلى محتويات صحف إبراهيم أن فيها ذكراً لرسول الله ﷺ وأن فيها ذكراً لضرورة الإمامة الالهية للخلق؛ فمن الأول ما جاء في رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «إن اسم النبي ﷺ في صحف إبراهيم (عليه السلام) الماحي»<sup>(١)</sup> وقد يكون هذا الاسم بمعنى أنه يمحو بمحبته سيئات الخلق، وبالصلاة عليه آثامهم كما ورد في روايات كثيرة. أو بمعنى أنه يمحو عبادة الأصنام ويزيل آثار الشرك وتقاليده ويمحو دول الشرك وقواها من وجه الأرض. كما أخبر الله عنه ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) العاملي، محمد بن الحسن الحر: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ١/ ١٩٤.

(٢) الصف: ٣٣.

وكما أن ذكر النبي ﷺ، والإيمان به قد ذكر في صحف إبراهيم بل في صحف سائر الانبياء تعريفاً به وتمجيذاً لدوره وتبشيراً به، فقد وردت الروايات أن ذكر إمامة أمير المؤمنين عليّ ﷺ أيضاً قد ورد في تلك الصحف. ففي رواية الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر ﷺ قال: ولاية علي مكتوبة في صحف إبراهيم وموسى ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوّة محمد ﷺ ووصية علي ﷺ. (١)

### الحاجة إلى الإمام

كذلك فقد احتوت صحف إبراهيم ﷺ إلى الحديث عن الحاجة إلى إمام إلهي للناس يسوسهم ويرشدهم ويهدي بأمر الله سبحانه. وليس وجود هذا المعنى غريباً في صحف إبراهيم فإن من العناصر المشتركة بين الديانات بعد الاقرار بتوحيد الله الإيمان بالنبي وطاعته، ومن امتداد النبي المعصوم في أمته الإمام المعصوم والوصي الذي يواصل دربه بعد نهاية حياة النبي.

وقد ذكر في إحدى الروايات أن هشاماً بن الحكم صاحب الإمام الصادق ﷺ قد ناظر عمرو بن عبيد، في لزوم الإمام من الله للخلق، فأفحمه ولما نقل هشام ذلك الحوار للإمام أخبره أن هذا النمط من الحوار المعتمد على البرهان العقلي موجود في صحف إبراهيم.

فقد روي في الكافي أنه كان عند أبي عبد الله ﷺ جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار، وهشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله ﷺ: يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد<sup>(٢)</sup> وكيف سألته؟

(١) العاملي، محمد بن الحسن الحر: إثبات الهداة ٣/ ١٤.

(٢) عمرو بن عبيد التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري ت ١٤٤هـ: شيخ المعتزلة في عصره، ومفتيها، كان جده من سبي فارس، وأبوه نسا جاثم شرطياً للحجاج في البصرة. وأخباره مع المنصور العباسي



فقال هشام: يا ابن رسول الله إني أُجلك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك علي فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بني أي شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت: هكذا مسألتي فقال: يا بني سل وان كانت مسألتك حمقاء! قلت: أجبني فيه قال لي: سل! قلت ألك عين؟ قال: نعم! قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم! قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟

قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني إن الجوارح إذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردت به إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بد

---

وغيره. له رسائل وخطب وكتب، منها «التفسير» و«الرد على القدرية». توفي بمران (بقرم مكة) ورثاه المنصور، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه، سواه. وفي العلماء من يراه مبتدعا، قال يحيى بن معين: كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع... مختصرا عن الاعلام للزركلي.

من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم! فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماما لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئاً.

ثم التفت إليّ فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟

قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذاً هو، ثم ضمني إليه، وأقعدي في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد الله ﷺ وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى. (١)

## قوانين الحياة في صحف إبراهيم

قوانين الحياة الدنيوية بل وقوانين الكسب والجزاء الأخروي موجودة في صحف إبراهيم وهي تتفق مع ما هو في القرآن الكريم إذ أن المصدر لهما واحد وهو الله سبحانه والغاية المطلوبة هي واحدة وهي تأديب عباد الله بقوانينه وتوجيهاته. لهذا كان من الطبيعي أن تتشابه بل أن تتطابق..

إن القرآن الكريم ليحدثنا عما هو موجود في صحف إبراهيم أولاً وهو نفسه الموجود في صحف موسى، وما يؤكد القرآن الكريم ويتلوه على أتباع النبي ليكون دستوراً لحياتهم: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ \* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ \* أَلَّا تَزُرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ \* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ \* ثُمَّ

(١) الكليني؛ الكافي - ط الإسلامية ١/ ١٧٠.



يُجْزَأُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى \* وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُتَّبَعِي ۖ ﴿١﴾

فإن في هذه الآيات الكريبات، ما هو موجود في صحف إبراهيم وموسى من مبادئ:

١. أن الإنسان هو الذي يتحمل بنفسه مسؤولية أعماله دنياً وأخرى وأن غيره لا يحمل وزره عنه، ففي الدنيا لا تصح عقوبة غير الجاني والمجرم. كما يفعل بعض الخاطئين من أنهم يأخذون ابنه رهينة أو زوجته سجيناً حتى يرجع! فإن هذا مخالف لقوانين كل الديانات، ولما جاء في صحفها وكتبها بدءاً من صحف إبراهيم وانتهاءً بالقرآن الكريم أنه لا يكون وزراً إلا على الذي جنى، ﴿وَالَّذِينَ تَزَرُّوا زُرَّةً أُخْرَىٰ﴾. (٢)

٢. أنه ليس للإنسان إلا ما سعى؛ سواء في الدنيا أو الآخرة وأن منزلته مرتبطة بعمله لا بتمنياته وإدعاءاته، ولا بالعناوين التي يصطنعها لنفسه، فإذا كان سعيه للآخرة وعمله لأجلها ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (٣) وأما من كان يعتمد على أنه مسلم أو موالي لأهل البيت بمجرد الإدعاء والعنوان من دون تصديق ذلك بالعمل والسعي فقد خاطب القرآن أمثالهم ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ

(١) النجم: ٣٦-٤٢.

(٢) الوزر يعني الذنب، ووازرة يعني النفس المرتكبة للذنب، أي كل نفس إنما تتحمل وزرها وذنبها ولا تتحمل ذنب غيرها. هذا بالطبع بالعنوان الأولي، لكن قد تحصل معادلة أخرى وبمعنواً آخر فيكون إنسان أو جماعة يحملون بالإضافة إلى أوزارهم وذنوبهم أوزاراً وذنوباً إضافية لإضلالهم غيرهم كما قال الله تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ النحل: ٢٥ وهذا لا يتنافى مع المعنى الأول.

(٣) الإسراء: ١٩.

مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١﴾، والغريب أن صيغة الآية في صورة النفي والسلب الكلي (ليس / إلا) وهذا القانون شامل للجميع فقد جاء في صحف إبراهيم أولاً ثم موسى وأخيراً في القرآن الكريم..

﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ من قبل نفسه ومن الناس ومن الملائكة وأهل الحساب، وسوف ينتج نتيجته إن كان خيراً فسيلقى ذلك الخير، وإن كان شراً فكذلك النتيجة! ولذلك ما يدور على السنة البعض من قولهم (تفعل خيراً تلقى شراً) هذا كلام باطل ولا حقيقة له، بل تؤكد التعاليم الدينية والتجربة الخارجية الواقعية أن من يعمل الخير يلق مثلته ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢) وأنه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٣).

وإذا كانت نتيجة الأعمال الخيرة هي الخير، لكنها في الدنيا بحجم مقدماتها، فإن من يزرع بذرة ينتج شجرة، هذه المقدمة تنتهي إلى هذه النتيجة، لكن الأمر في الآخرة مختلف فإنه هناك يجزى ولكن ليس أي جزاء، وليس الجزاء الوافي بل الأوفى! (ثمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى).

٣. إن مقياس النجاح والفلاح الحقيقي في الحياة هو العطاء الاجتماعي، وكون الإنسان في عبادة خالقه، على أثر تذكره الدائم ومعرفة حقيقته، غير أن قسما من الناس تغرهم الدنيا فيقدمونها على آخرتهم، ولو انتبهوا إلى أن الحياة الحقيقية دواماً وسروراً هي في الآخرة لغيروا اتجاههم، وهذا المعنى ليس

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) التوبة: ١٠٥.

(٣) الزلزلة: ٧-٨.





ابتكارا جديدا بل هو بصيرة ورؤية نافذة بلغها أنبياء الله وفي طليعتهم إبراهيم النبي في صحفه، وفي سائر الصحف الأخرى التي تلتها كصحف موسى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ \* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى \* بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى \* .

وقد أشار نبينا المصطفى ﷺ إلى أن هذه من صحف إبراهيم، والباقية في أيدي الناس وقد استفاد ابن عباس من ذلك أن هذه (بنصها) موجودة في صحف إبراهيم. حيث سأل أبو ذر النبي فهل في الدنيا شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى ﷺ مما أنزل الله عليك؟ قال: اقرأ يا أبا ذر.. وتلا عليه الآيات من آخر سورة الأعلى.

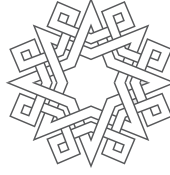
## المستحبات والسنن في صحف إبراهيم

كما يوجد في صحف إبراهيم وملته وتوجيهاته، أصول العقائد وبرامج الحياة العامة وقوانين الكسب والجزاء في الدنيا والآخرة، بل والأمور الأخلاقية، يوجد في هذه الصحف أيضًا أحكام وتشريعات منها ما هو واجبٌ ومنها ما هو مستحب، وهذا ما استفاد من رواية عن الإمام محمد الباقر ﷺ وقد نقلها العلامة المجلسي في البحار في ذيل الآية ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال: (... أنزل الله على إبراهيم الحنيفية وهي الطهارة وهي عشرة أشياء خمسة في الرأس وخمسة في البدن وأما التي في الرأس فأخذ الشارب، وإعفاء اللحي، وطم الشعر (يعني جزه)، والسواك والحلال، وأما التي في البدن فحلق الشعر من البدن، والختان، وقلم الاظفار والغسل من الجنابة، والظهور بالماء، فهذه خمسة في البدن وهي الحنيفية الطاهرة التي جاء بها إبراهيم فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة وهو قوله:

أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً).<sup>(١)</sup>

وبعض ما ذكر هو أمور مستحبة في البدن وهذا يشير إلى أن المنهج الإلهي كما يعنى بترتيب علاقة الإنسان مع الكون كله مع الطبيعة والأفلاك والأشجار والحيوانات... يرتب أيضاً علاقته مع بدنه، ما هو الأفضل لبدنك؟ ربما ترتب الأنظمة الوضعية القوانين الخارجية، وأمور المجتمع العامة أما بدنك فلا دخل لها فيه. أما الدين فهو يرتب كل ما يرتبط بك بدءاً من علاقتك بالكون إلى علاقتك بدائرة بدنك الخاصة.

(١) المجلسي، بحار الأنوار ط مؤسسة الوفاء ٧٦ / ٦٨.



## النبي موسى بن عمران عليه السلام حياته وعصره

تناول هذه الصفحات شخصية من أهم شخصيات التاريخ البشري، ونبياً من أولي العزم لا يزال العالم اليهودي والمسيحي بل والمسلم يتأثر بقصته وقضيته، وهو النبي موسى بن عمران. فمن هو؟ وكيف كانت بدايته ونبوته وحياته؟

النبي موسى بن عمران بن قاهت (قهاث) بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، يقدر باحثون<sup>(١)</sup> أن ولادته كان في سنة ١٥٢٧ قبل الميلاد، بينما كانت بعثته في سنة ١٤٨٧ ق.م، وله في العالم اليهودي المعاصر بل حتى المسيحي ما للنبي محمد عليه السلام لدى المسلمين من التأثير والاعتبار والحضور.

لنكن مع البدايات، لنذكر بأيام النبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، يعقوب الذي عرف بـ(إسرائيل) ونسب الشعب الذي سيسمى فيما بعد باليهود إليه، فقيل (بنو إسرائيل)<sup>(٢)</sup> ويعلم القارئ العزيز أن نبي الله يوسف عليه السلام عندما أصبح عزيز

(١) كما جاء في لوحة المهدي والمسيح عليه السلام في سلسلة الآباء ونهاية العالم: للسيد سامي البدري نشر مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني / ٢٠٢٠.

(٢) نقل في بعض المصادر عن سفر التكوين ما يلي «لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ». (التكوين ٣٢: ٢٨).

مصر وأنقذها من كارثة محدقة، استجلب والده واخوته وعشيرته من أرض كنعان أو فلسطين، حيث كانت أرض الكنعانيين وأرض فلسطين قد أصابتها المجاعة، بينما تجاوزت أرض مصر بتدبير النبي يوسف الاقتصادي تلك المشكلة كما قصه القرآن الكريم، وكان لوجود نهر النيل وعدم اعتماد مصر بشكل تام على الأمطار دور مهم في الخلاص من مشاكل الجفاف.

هذه الأسرة (الإسرائيلية) جلبت للمصريين التوحيد مع الاقتصاد، والإيمان بالله ومعه الخصب وهذه هي طبيعة الإيمان بالله أنه يصنع خير الدنيا والآخرة. ومع أنه لم يؤمن بعض الملوك الهكسوس لا سيما بعد مرحلة النبي يوسف إلا أنهم بشكل إجمالي كانوا يحسنون جوار ذريات بني إسرائيل حفظاً لمعروف آبائهم، وأدى ذلك لارتياح بني إسرائيل في إقامتهم في مصر فتكاثرت هذه الأسرة وتناسلت خلال قرن ونصف من الزمان أو أكثر فتحسنت أوضاعهم مع مرور الزمن.

### بداية عصر الفراعنة وانتهاء مرحلة الاستقرار

فيما بعد حصلت ثورة ضد الملوك الهكسوس لأنهم - كما قيل - ليسوا مصريين في الأصل فأسقط هذا الحكم، وجاء حكم الفراعنة، ويقول بعض الباحثين في التاريخ المصري أن القرآن الكريم يتحدث عن الحاكم المصري أيام نبي الله يوسف بعنوان الملك (قَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي) بينما يتحدث عنه في زمان النبي موسى بعنوان الفرعون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُؤْتِنِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) ويقول هؤلاء إن ذلك قد يكون إشارة إلى اختلاف النظامين السياسيين الحاكمين في الفترة الأولى عنه في الثانية.

وجاء الحكم الجديد على رأسه الفراعنة، وكان لدى بعضهم وهو كما قيل (رئيس) مشاعر العظمة، وطموحات عمرانية كبيرة كعمل الطرق والبنيات العظيمة وإنشاء التماثيل الهائلة والمعابد الضخمة. ولا ريب أن هذه المنشآت تحتاج إلى قوة عاملة كادحة



قليلة الأجر، أو حتى بلا أجر!

وكان الضحية لتلك الطموحات هو المجتمع الاسرائيلي، فمن جهة نُقم عليهم أنهم كانوا منسجمين مع الحكام السابقين الهكسوس، ومن جهة أخرى يعتبرون أجنب! وليسوا مصريين أصليين! كما أنهم ليسوا على دين الفراعنة!

ومن السهل في مثل هذه الحالات أن يقوم الحاكمون باتخاذ قرارات وتعبئة النفوس باتجاه (استعباد) هذه الفئة وتسخيرها للقيام بالأعمال الشاقة! وبإمكانهم أن يستميلوا سائر الفئات الاجتماعية للقبول بهذا وتنفيذه!

ويصف القرآن الكريم تلك الفترة بأوصاف كثيرة، الجامع بينها أنهم كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فكم من الأرواح قد أزهدت في تلك الفترة على أثر العمل الشاق في الشمس المحرقة، مع قلة الطعام والتسخير بالقوة!

إن الطواغيت هنا لا يعتبرون العاملين بشرًا أصحاب أرواح وعواطف وتطلعات وإنما يعتبرونهم أرقامًا، ومحسبون حسابهم بمقدار ما ينتجون ويؤدون لهم من عمل! ولا يهم بعد ذلك ما الذي حصل لأولئك المجهورين على العمل! حتى الحفاظ على حياتهم ليس لأن حياتهم قيمة ذاتية وإنما لأجل أن موتهم يعني خسارة مالٍ كان يفترض أن يجلبه هذا العامل أو العبد بجهد فـلا يتأسفون لأن روحًا إنسانية قد انتهت وإنما لأن ربحًا ماديًا قد انقطع عنهم!

كان من يستطيع منهم العمل لا بد أن يعمل لأوقات طويلة وبقوت بطنه! ومن لا يستطيع العمل فالنيل ينتظره ليغرق فيه! أو الذبح سبيل آخر.

(١) البقرة: ٤٩.

## النيل مركب نجاة لموسى ﷺ

في هذه البيئة ولد النبي موسى ﷺ بصورة سرية خفية، وحيث كان القانون العام أن الطفل المتمي لقبائل بني اسرائيل لا بد أن يقتل، فلكي لا يواجه موسى نفس هذا المصير، جعلته أمه في مهد ووضعته في النهر وسلمته إلى الله تعالى.

سبحان الله! أسباب الموت إذا أراد الله ﷻ هي نفسها تصبح وسائل الحياة وعوامل استمرارها ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الأمور كلها بيده وأن لا حول ولا قوة إلا به.. وضعت أم موسى طفلها في مهدٍ وسط النيل، وتقتضي هذه الصورة ضمن المقاييس الاعتيادية أن يغرق الطفل وسط الماء ويموت، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل هذا النهر له وسيلة نجاة، ووصل الطفل من بني اسرائيل إلى يدي فرعون وهو الذي كان يطارد الأطفال في بيوتهم ليقتلهم جلاوزته، وهذا الطفل وصل إلى يديه، وأراد الله سبحانه ولا راد لإرادته أن يبقى نبيه فإذا بالنيل يحتضن مهد موسى ﷺ كما تحضن الأم الرؤوم طفلها حفاظا عليه وحماية له! وإذا بقصر فرعون يصبح الملاذ الآمن لتربيته والحامي له عن بطش الجلاوزة! وما أجمل آيات القرآن وهي تنقل صور العذاب الفرعوني وصور النعمة الربانية ﴿تَلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ \* إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ \* وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ \* وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾.



وهكذا ألقى الله سبحانه وتعالى محبة موسى في قلب امرأة فرعون ليكون قرّة عين لها و(لفرعون!) فتربى داخل قصر فرعون، إلى أن نمت وكبر وصار شاباً يافعاً.

## موسى وأحوال الإسرائيليين زمان فرعون

لم يغب عن نظر موسى ﷺ حالة القبيلة الاسرائيلية (بل القبائل) وهي تعيش أسوأ دركات الاضطهاد والظلم، ومن الطبيعي أن يستثيره مشاهد السخرة والعمل المجهد تحت السياط وصور الظلم الصريح ولم يكن لهم ذنب إلا أنهم على منهاج آبائهم التوحيدي.

إلا أنه حدثت قضية مفصلية داخل المدينة في أحد الأيام سوف يقدر لها أن تغير الوضع العام تماماً، ولهذا فقد أوردها القرآن الكريم بالرغم من أن القرآن لا يتعرض لتفاصيل القصة غير الضرورية، لكن هذه القضية ستشكل بداية مرحلة في حياة موسى ﷺ ومن بعده في حياة بني اسرائيل؛ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (١).

والقصة واضحة؛ رأى موسى ﷺ أحد أعوان فرعون يضطهد رجلاً من بني إسرائيل الذي استغاث بموسى فدفعه عنه بوكزه قضت على القبطي الفرعوني، فقال موسى ﷺ هذا من عمل الشيطان!

والسؤال هنا ما هو المشار إليه بأنه من عمل الشيطان؟ وهل يقصد موسى أن قتله

ذلك القبطي هو من عمل الشيطان؟ وكيف لموسى أن يعمل عمل الشيطان خصوصا على القول بأنه في ذلك الوقت بعدما ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ كان نبيا كما هو أحد الأقوال.

وقد أجاب السيد الشريف المرتضى في كتابه تنزيه الأنبياء بما نصه: «(مسألة): فإن قيل: فما الوجه في قتل موسى ﷺ للقبطي وليس يخلو من أن يكون مستحقا للقتل أو غير مستحق، فإن كان مستحقا فلا معنى لندمه ﷺ، وقوله: (هذا من عمل الشيطان) وقوله: (رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي)، وإن كان غير مستحق فهو عاص في قتله، وما بنا حاجة إلى أن نقول إن القتل لا يكون صغيرة لأنكم تنفون الصغير والكبير من المعاصي عنهم ﷺ».

(الجواب): قلنا مما يجاب به عن هذا السؤال إن موسى ﷺ لم يعتمد القتل ولا أراد، وإنما اجتاز فاستغاث به رجل من شيعته على رجل من عدوه بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله، فأراد موسى ﷺ أن يخلصه من يده ويدفع عنه مكروهه، فأدى ذلك إلى القتل من غير قصد إليه، فكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصودا فهو حسن غير قبيح ولا يستحق عليه العوض به، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه، وبين أن يكون عن غيره في هذا الباب والشرط في الأمرين أن يكون الضرر غير مقصود، وأن يكون القصد كله إلى دفع المكروه والمنع من وقوع الضرر. فإن أدى ذلك إلى ضرر فهو غير قبيح»<sup>(١)</sup>.

وبعبارتنا فإن معنى (هذا من عمل الشيطان)، ان فعل ذلك القبطي الفرعوني في ظلمه للاسرائيلى وتعذيبه من غير وجه حق هو من عمل الشيطان وليس فعل نبي الله موسى من الشيطان، بل فعل نبي الله موسى ﷺ هو الموقف الطبيعي، الذي يفرضه

(١) الموسوي؛ علي بن الحسين الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء ١٠٠.





العقل السليم والتوجهات الدينية من لزوم الدفاع عن المظلومين والمستضعفين ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾، فلم يكن نبي الله موسى ﷺ متعمداً في قتله وإنما وكزه ليمنع الظلم من هذا الإنسان، ولكن تلك انتهت بالموت.

في اليوم التالي وحيث كان أمر الظلم الفرعوني فاشياً حدثت حادثة أخرى فإذا بشخص آخر يستغيث بموسى ﷺ، فجاء إليه ليدفع هذا الجندي الفرعوني وقد علم بالقضية الماضية، ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ وبعد أن اتضح الأمر وأصبح مكشوفاً لدى السلطة، رأى أن ليس له مكان في مصر وأن عليه أن يغادرها.

### خروج موسى ﷺ من مصر خائفاً

أصبح موسى مطلوباً للسلطة ويراد القبض عليه، فعرف بالأمر، فخرج من مصر ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فخرج منها خائفاً يترقبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup> فاتجه إلى جهة مدين -منطقة قريبة من الأردن- وقد ذكرنا في موضوع خريطة الأنبياء شيئاً عن المنطقة وعن نبيها الذي كان -حين وصول موسى إليها- شيخاً كبيراً. فهُدي إلى لقاء نبي من أنبياء الله وهُدي إلى ما هو أعظم من كل ذلك وهو أن يكلمه الله تكليماً!

## وصول موسى ﷺ إلى مدين

بعد رحلة طويلة تبلغ حوالي ٧٠٠ كيلومتر وصل موسى إلى أرض مدين، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فسأل موسى ﷺ المرأتين لماذا خرجتا في وسط زحمة الرجال وفي عمل طبعه القساوة، فبينتا له أن الأمر لجهة اضطرار، حيث أن لأخ لديهم وأبوهم الذي كان يقوم بهذا العمل أصبح شيخاً كبيراً وضعيف البصر.

وبمتمهى الشهامة والرجولة، وعدم الطمع الجنسي! شمر عن ساعديه مع ما كان عليه من التعب والجوع بعد هذه الرحلة الشاقة! ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.. ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. (١)

مرة أخرى يمن الله عليه، فبعدهما كان مطارداً أصبح آمناً! وبعدهما كان غريباً أصبح ضيفاً مرحباً به ثم صاحب بيت ثم صهراً للنبي الله شعيب! وأخيراً مالكاً لثروة كبيرة من الأغنام!

وإمضاء النبي شعيب ﷺ لما فعله موسى في القضاء على الجندي الفرعوني يشير إلى صحة ما ذكره الإمامية في هذه المسألة من تنزيه النبي موسى، ويؤكد ما نقلناه عن الشريف المرتضى أنفاً، فإنه بعدما قص عليه موسى القصص قال له شعيب ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وكلمة النبي شعيب (لا تخف نجوت) يبين لنا ان فعل نبي الله موسى ﷺ لم يكن ينطبق عليه عنوان عمل الشيطان، فلو كان كذلك لكان من

(١) القصص: ٢٣-٢٥.



مسئولية نبي الله شعيب ؑ أن يقول له: ما قمت به خطأ وتداركه بكذا وكذا! لكن إمضاء النبي يفيد أنه أمر حق. وكذلك اعتباره إياهم أنهم الظالمون.

نبي الله موسى عمل أجيراً عند شعيب ؑ:

كان نبي الله موسى صاحب شريعة عامة ومن الرسل أولي العزم، لكنه مع ذلك عمل أجيراً وخداماً عند نبي الله شعيب! أوضحت بعض الروايات سبب ذلك بكثرة محبة شعيب لله واشتياقه إليه. (١)

إن سورة القصص قد تتبعت قصة نبي الله موسى مرحلة بعد أخرى بتوضيح لا نظير له، فمن يقرأ آياتها يشعر بأنه في جو كل ما حدث، ها هي تبين كيف استقر موسى ؑ في بيت النبي شعيب وتزوج ابنته وأصبح مدبر أمور أغنامه ومنزله خلال عشر سنوات ستمر عليه وله في كل ليلة مع شعيب مجلس يتداولان فيه المعرفة ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. (٢)

(١) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع ٥٧/١.. عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَكَى شُعَيْبٌ ﷺ مِنْ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى عَمِيَ فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ فَلَمَّا كَانَتِ الرَّابِعَةُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ يَا شُعَيْبُ إِلَىٰ مَتَى يَكُونُ هَذَا أَبَدًا مِنْكَ إِنْ يَكُنْ هَذَا خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَقَدْ أَجْرْتُكَ وَإِنْ يَكُنْ شَوْقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ فَقَدْ أَبْحَثْتُكَ قَالَ إِلَهِي وَسَيِّدِي أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي مَا بَكَيْتُ خَوْفًا مِنْ نَارِكَ وَلَا شَوْقًا إِلَىٰ جَنَّتِكَ وَلَكِنْ عَقَدْتُ حُبُّكَ عَلَىٰ قَلْبِي فَلَسْتُ أَصْبِرُ أَوْ أَرَاكَ فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَيْهِ أَمَا إِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَمِنْ أَجْلِ هَذَا سَأُخْدِمُكَ كَلِيمِي مُوسَىٰ بْنَ عِمْرَانَ: وقد نقل هذا الحديث في التفاسير غير الشيعية وضعف عندهم.

(٢) القصص: ٢٧-٢٨.

## حين كلم الله موسى تكليماً

قضى موسى عشر سنين مع نبي الله شعيب وفي هذه الفترة تزوج وصار له غنم وثروة، وأراد العودة لأمه وعائلته ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ \* فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ \* وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ \* اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١).

ها هو موسى قد وصل إلى فرعون وقد كلمه ربه وبعثه ليلبغ رسالته إلى بني اسرائيل وليخاطب بهذه الرسالة أولاً فرعون!

كان من الطبيعي أن تحصل المواجهة بين موسى رسول الله وبين فرعون المدعي للألوهية الذي تصور ان معاجز موسى من العصا-الثعبان المبين-، واليد الساطعة إنما هي سحر يتقنه ويتقن أكثر منه سحر مصر، فجمع سحرته من كل صوب وعمل مهرجاً ليشهد الانتصار في زعمه ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ولم يكن فرعون -كسائر الطغاة- ممن يتنازل مع أول برهان، فتجهز للقتال مع موسى ومن معه ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ \* وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (٢).

(١) القصص: ٢٩-٣٢.

(٢) طه: ٧٨-٧٩.



## الانحراف بعد النجاة

بينما أنعم الله على بني اسرائيل فأرسل لهم رسولاً خلصهم من الظلم الاجتماعي العام بل من عذاب الاستئصال حيث كان فرعون يذبح أبناءهم! وهامهم قد أكرمهم الله برسالة ربانية ونبي منقذ، ونصرهم في المواجهة حيث أغرق فرعون ودمر ما كان وقومه يعرشون ويؤسسون! كان ينبغي لهم أن يحمدا ربهم ويشكروه على كل تلك النعم بزيادة العبادة له وإفراذه بالطاعة وإذا بهم وقد تجاوزوا البحر ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولم يكن الأمر على مستوى التمني فقط بل عندما ذهب موسى لميقات ربه والخلوة بإلهه، قام السامري ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾<sup>(٢)</sup> فقد اتبعوه! وهكذا بعد التوحيد عادت عبادة العجل والذهب!

وبعد أن تمت معاقبة أولئك الذين عبدوا العجل، وألزموا التوبة بأن ﴿فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(٣)</sup> وبمن تبقى وبعد أن تم تطهير ذلك المجتمع من أدرانه، استحقوا أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم.

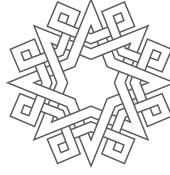
توج موسى ؑ أخاه هارون بين بني اسرائيل حين ذهابه لميقات ربه، قائداً ووصياً وخليفة عليهم من بعده، واستمر هذا إلى ما بعد، بل كان هذا إيذاناً بأن الوصية والإمامة ستنتقل إلى آل هارون فيما بعد.

(١) الاعراف: ١٣٨.

(٢) طه: ٨٨.

(٣) البقرة: ٥٤.

إلى هنا وبعد أن قضى نبي الله موسى ما يزيد على ثمانين سنة من الدعوة والجهاد في سبيل الله وتوحيده، ها هو ينتقل إلى جوار ربه بعد أن كان يناجيه على جبل حوريب في ما قيل .



## التوراة تعريفها وتحريفها

ستتناول هذه الصفحات موضوع التوراة، الكتاب المقدس لدى اليهود والمسيحيين، في تعريفها وماذا فيها، ثم نتناول ما حصل من التحريف فيها؛ تاريخه ومجالاته.

لا بُدَّ أن نشير إلى أن القرآن الكريم ذَكَرَ التَّورَةَ في عددٍ من الموارد بلسان التَّكْرِيمِ والتَّعْظِيمِ باعتبارها أي التَّوراة الأَصْلِيَّة من كتب الأنبياء، ومما أنزل الله سبحانه وتعالى، وهذا لا يعني تزكية (النسخ) الموجودة بالفعل.

■ فقد قال الله تعالى في القرآن: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا...﴾<sup>(١)</sup> وتشير هذه الآية إلى أن الألواح وهي التي جاءت في التوراة، كان فيها مواضع وتفصيلات أحكام لكل ما يحتاجه المؤمن من أتباع موسى ﷺ.

■ وفي آية أخرى يصف التوراة بأن فيها حكم الله، ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ

التَّورَاةُ فِيهَا حُكْمٌ لِّلَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

■ وفي ثلاثة من آيات القرآن يصفها بأنها فيها هدى ونور ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾<sup>(٢)</sup> وواضح لغة التكريم والتأييد في الآية المباركة فإن تعبير النور والهدى لا يعبر به إلا عن كتبه ووحيه المقدس..

ومن المهم جداً أن نجعل هذه الملاحظة حاضرة وهي أن التوراة الأصلية حين النزول ومع وجود النبي موسى وضمن حقبة وقبل أن يطرأ عليها التحريف كانت تحمل هذه الصفات، وأما بعد أن طرأ عليها التحريف وتعرضت للتغيير والتبديل على مراحل يأتي الحديث عنها فقد فقدت هذه الصفات لاختلاط الهدى بالضلال والنور بالظلمات وحكم الله بأهواء البشر في ذلك الكتاب، هذا بالإضافة إلى أنها مع مجيء رسالات سماوية أخر قد انتهت صلاحيتها حتى لو لم تحرف فكيف وقد حُرِّفَتْ وغيرت؟

ولنكن مع عموم التراث اليهودي والمصادر التي يأخذ منها اليهود عقائدهم وشرائعهم وأهمها بلا ريب التوراة.

### أولاً: التوراة

تعني في العبرية وهي اللغة التي نزلت بها، (التعليم) وحجمها صغير بالقياس إلى باقي الكتب والشروح للتعاليم. وهي تحتوي على خمسة أسفار<sup>(٣)</sup>؛ وتنقسم هذه

(١) المائة: ٤٣.

(٢) المائة: ٤٤.

(٣) لسان العرب: السُّفْر بالكسر الكتاب، وقيل هو الكتاب الكبير وقيل هو جزء من التوراة.





الأسفار إلى إصحاحات<sup>(١)</sup> والإصحاح أشبه بالفصل في الكتب المعروفة. ومجموع التوراة يقسم إلى أربعة وخمسين جزءاً، تقرأ عادة في الكنيس (محل العبادة) يوم السبت. والأسفار الخمسة هي:

الأول: سفر التكوين، وهو يصف بداية الخلق، وفيه قصة آدم في الجنة ثم نزوله إلى الأرض، إلى قصة نوح والطوفان، ثم قصة إبراهيم ولوط وحياة يعقوب وإسحاق ويوسف..

وكل سفر فيه آيات، عبارة عن كلمات يفصل بينها فاصل، مثلما نجد في القرآن الكريم، لكن الفرق كبير جداً بين الكلام الموجود في التوراة والآخر الموجود في القرآن ففيما يعد الثاني معجزاً في بلاغته ودقته فإن الأول لا يحمل تلك البلاغة، ولعل نظرة سريعة لبعض ما جاء فيه تلفت إلى هذه الملاحظة فهذه عدة آيات كما في الترجمة العربية للتوراة من سفر التكوين حول بداية الخلق: «في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفرف على وجه المياه وقال الله لِيَكُنْ نور، فكان نور ورأى الله إنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً».

السُّفْرُ الثَّانِي: وَيُسَمَّى بسفر الخروج، وسفر الخروج قصّة تاريخية لما جرى على نبي الله موسى بن عمران من بداية ولادته إلى أن خرج بقومه هاريين من فرعون واجتازوا البحر وأغرق فرعون، هذا المقدار من الفترة الزمنية من القصص مع تفاصيل كثيرة وهو يشابه - مع أرجحية وأفضلية كبيرة من ناحية اللغة والمعنى - ما جاء في سورة القصص من الآية الثالثة إلى الحادية والأربعين، أي حوالي أربعين آية في هذه السورة بالذات، تناولت هذه الفترة الزمنية منذ ولادة موسى إلى أن أنجى الله موسى مع قومه

(١) التقسيم إلى إصحاحات وكذلك إلى آيات حدث في وقت متأخر جداً.

من فرعون، مع ملاحظة بلاغة القرآن التي لا حدود لها ودقّة التعبيرات الموجودة فيه.

السفر الثالث: سفر التثنية، والتثنية كلمة تدل على معنى ضم الشيء لغيره، تقول: ثنيتُ بكذا، بعدما أخذ بالأول ضم إليه الثاني؛ وهو يحتوي على أحكام شرعية وأحكام أخلاقية ويمكن تشبيهه بالرسالة العملية زائد الأخلاق، ففيه واجبات ومحرمات وأخلاقيات، وحيث ينبغي أن تحفظ وتستعاد فإنه يُقرأ مرّتين وثلاثاً، فسُمّيَ بسفر التثنية، مثلاً مما جاء فيه: «أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك؛ لكي تطول أيامك، ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل ولا تزني ولا تسرق ولا تشهد على قريبك شهادة زور ولا تشتت امرأة قريبك ولا تشتت بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك».

السفر الرابع: سفر اللاويين، واللاويون: هم من كان من نسل لاوي، وكان من بين اخوته الأحد عشر بعد يوسف النبي في أعلى درجات الأخلاق والطاعة لأبيه، وفوق هذا كان بحسب الظاهر السبب المادي - بعد إرادة الله - في الحفاظ على حياة نبي الله يوسف، فقد خاض معركة مع عشرة فقاتل وجرح كي لا يقتلوه، حتى توصلوا إلى أن يلقوه في البئر ولعلّه لهذه الجهة من دفاعه واستبساله في الدفاع عن نبي الله عزّ وجلّ ولأسباب أخرى جعلت النبوة والوراثة الدينية في نسله، فتجد النبي موسى بن عمران وأخاه هارون حفيدي لاوي فكانما انحصرت المرجعية الدينية في هذا الفرع، لا سيما وقد امتدت فيما بعد في آل هارون. وبدورهم فإن اللاويين قد تخصصوا في هذا الأمر، لا سيما في قضايا النذور والذبائح وما يرتبط بها من ممارسات خاصّة.. وكانّ (سفر اللاويين) هو دستور ودليل للمرجعية الدينية في المجتمع اليهودي.

السفر الخامس: سفر العدد، والعدد: يعني قبائل بني إسرائيل، وأنسابهم وهم في الأصل اثنا عشر سبطاً، ثم تنفرع هذه الأسباط إلى قبائل وهكذا..



ونذكر ملاحظة: وهي أن اليهود يهتمون بهذا السُّفَر اهتمامًا مميّزًا لأنه يحفظ أنسابهم الأصلية وحيث أن الديانة اليهودية ليست تبشيرية - على خلاف المسيحية والإسلام - فقد اكتسب اهتمامًا خاصًا..

إن الإسلام مثلاً، وهكذا المسيحية، بمجرد اعتناق شخص ما هذه الديانة بشر وطها فإنه يصبح منها تماماً وله كافة الحقوق والمميزات كما أن عليه كل الواجبات، بينما لا يكون الأمر هكذا في اليهودية، فمجرد اعتناق الشخص اليهودية لا يجعله يهودياً (أصلياً)<sup>(١)</sup> فإنه يتداخل عندهم النسب مع الانتفاء الديني. وقد يكون أحد الأسباب التي جعلت أتباع الديانة اليهودية محدوداً في العالم حيث تقدر بعض الاحصاءات عددهم بما لا يزيد عن ١٤ مليون نسمة، أنها ليست ديانةً تبشيرية<sup>(٢)</sup> بمعنى أنه ليس من مبادئ هذه الديانة تبليغ أفكارها واستقطاب أتباع لها، بحيث يجد كل منتم لها في

(١) هذه كما يشير الباحثون - إحدى المشاكل التي لا تزال تواجه المجتمع الاسرائيلي، فإن قسماً من الذين اعتنقوا اليهودية، من دون أن تكون أسلافهم يهودية لا يعتبرون حتى الآن يهوداً (اصليين) ومن هؤلاء كانت مشكلة الفلاشا اليهود الاثيوبيين، بل حتى الأوربيين الذين اعتنقوا اليهودية بعدما كانوا على دين آخر!

قال بعض الباحثين: إن اليهودية: تعتمد أساس النسب الأمومي. فوفقاً للشريعة اليهودية، جميع أولئك الذين ولدوا من أم يهودية يُعدّون من اليهود، بغض النظر عن المعتقدات الشخصية أو مستوى الإلتزام الديني.. هذا مثلاً بخلاف المسيحية أو الإسلام الذي يرتبط بالاعتقاد وبناء عليه فإنه يظل يهودياً ولو كان ملحداً والأكثر غرابة فإنه يبقى يهودياً ولو تنصر أو أسلم أو انتقل لدين آخر ثم عدل بمرسوم اشترط ألا يكون على دين آخر.. وأشار د. عبد الوهاب المسيري (المتخصص في الدراسات اليهودية) في كتابه من هو اليهودي؟ إلى أنه لا توجد اجابة نهائية، فهناك عدة مراسيم صدرت فيها اشارة إلى أن المتهود أيضاً هو يهودي.. وللتفصيل يراجع الكتاب المذكور.

(٢) لماذا لم تكن اليهودية ديناً عالمياً: قال سليمان مظهر في كتابه قصة الديانات: أن الإله الذي يؤمنون به (يهوه) هو ذلك الإله الذي يدافع عن اليهود (١٢ قبيلة) وهم شعبه المختار الذين اصطفاهم وبينه وبينهم يوجد عقد وتعهد.. وأنه إنما ينصر دولة هؤلاء التي هي فلسطين وعاصمتها أورشليم..

ثقافته أن يدعو إلى دينه ويجتذب الناس إلى عقيدته.

والتوراة هو الكتاب المتفق عليه عند اليهود بجميع طوائفهم ويعتقدون أن موسى النبي ﷺ قد كتبه بيده، على أثر ما كان ينزل عليه من السماء. لكنها لا تشكل كامل التراث اليهودي، بل هناك أسفار آخر وكتب، تكوّن ما يسمى عندهم بـ التاناخ.

والتاناخ: عبارة عن كتاب مجموع من ثلاثة كتب، وقد يقال له أيضًا: العهد القديم، ويشتمل على التوراة ويشتمل أيضًا على سفر الأنبياء ويسمونه: انفي إيم، حيث قال بعضهم إن أسلوب الجمع في اللغة العبرية إضافة الياء والميم، (مثلما أن في اللغة العربية في جمع المذكر السالم يضاف الواو والنون) ويشتمل أيضًا على: كتبيم؛ يعني الكتب. وقد أخذ أوائل الحروف فمنها فصارت: تاناك، وهم ينطقونه تاناخ.

وهناك من الطوائف اليهودية من لا يعطي باقي الأسفار (غير التوراة) القداسة التي يعطيها للتوراة.

المشناة: أو المشناة<sup>(١)</sup> عبارة عن دروس وشروح كتبها الأحرار والرهبان لما قيل إنه كلمات النبي موسى ﷺ وتعاليمه الشفوية، ودونوها فصارت أكبر من التوراة والتاناخ، وقد كتبت في فترات متأخرة، بعضها كتب بعد ملك النبي سليمان، وبين موسى النبي وسليمان ما يقارب من سبعة قرون!

التلمود: وهو - كما قيل - شرح للمشناة. وقد كتب في فترات متأخرة جدا. وفيه من الغرائب الكثير.

(١) منع الخليفة الثاني كتابة سنة رسول الله ﷺ وقال إنه لا ينبغي أن تكون هناك مشناة كمشناة أهل الكتاب!!



## المراحل التاريخية لتحريف التوراة

وقد تعرضت التوراة وهي الكتاب الأساس لليهود إلى تحريف في نواح متعددة ومراحل مختلفة مما جعلها تفقد صورتها الأصلية التي كانت عليها، وللأسف فإن النسخ الموجودة بين أيدي اليهود هي من بقايا تلك النسخ المحرفة والمغيرة.

ويشير العلامة البدري في مقال قيم إلى المراحل التي مرت بها عملية تحريف التوراة من بعد نبي الله موسى ﷺ إلى أيام نبينا المصطفى محمد ﷺ، وسنعتمد كلامه وننقله مختصراً التكميل صورة البحث:

١. المرحلة الأولى: تحريفها في فترة ما بعد يوشع بن نون ﷺ<sup>(١)</sup>؛ وهي مرحلة انقلاب بني إسرائيل على آل هارون بعد وفاة يوشع في حدود سنة (١٣٥٠ ق.م) وإلى ما قبل تولي اشموئيل وطالوت وداود أمر بني إسرائيل في حدود (١٠٠٠ ق.م).

٢. المرحلة الثانية تحريفها بعد فترة النبي سليمان ﷺ، وذلك عندما أبعده وصي النبي سليمان آصف بن برخيا (الذي عنده علم من الكتاب) وكان من آل هارون، واستمرت هذه الفترة ثلاثة قرون تقريباً وانتهت بانهيار ملك بني إسرائيل ودمارهم على يد (نبوخذ نصر) سنة (٥٨٦ ق.م) وبقائهم في الأسر البابلي خمسين سنة.

٣. المرحلة الثالثة تحريفها بعد موت عزيز وهي مرحلة انقلاب بني إسرائيل بعد رجعة عزيز وموته وقد برزت فرق ومذاهب متعددة.

٤. المرحلة الرابعة تحريفها في عهد خاتم الأنبياء على يد يهود خبير وغيرهم

(١) قدم بعض التعريف بيوشع بن نون في الصفحات السابقة، موضوع خريطة الرسل بين آدم والمصطفى.

وكان التحريف في هذه المرحلة يستهدف ما بقي من البشارات بخاتم الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام <sup>(١)</sup>.

## أقسام التحريف الذي حصل للتوراة

من أقسام التحريف: التحريف اللفظي؛ وهو قد يكون بحذف كلمة أو جملة، فإن من الواضح أن المعنى قد يختل بحذف كلمة منه وقد يختل بحذف كلمات؛ وهذا قد حصل في التوراة.

وقد يكون بتغيير رسم الكلمة أو الكلمات الموجودة، فقد لا تحذف الكلمة من رأس ولكن يتم تغيير بعض حروفها وطريقة رسمها فيتغير المعنى تبعاً لذلك.

وقد يكون ذلك بزيادة بعض الكلمات وإدخالها في النص الأصلي مع أنها لم تكن!

ومن أقسامه التحريف المعنوي: ومعناه ان يبقى اللفظ على حاله ولكن يتم تفسيره وتأويله على غير ما هو عليه.

وهذا الثاني قد حصل في التوراة بل حصل بالنسبة للقرآن الكريم، فإن ظلمة الحكام المسلمين يمارسون هذا النحو منذ تغيب الخلفاء الصالحين عن الأمة وإلى أيامنا الحاضرة.

فإن آية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾ <sup>(٢)</sup>، قد استعملت في معنى بعيد عما اراد الله سبحانه.. وبها استحل الظالمون ممن تولوا أمر الأمة قهراً

(١) البدرى؛ السيد سامي: التوراة قراءة إسلامية مقال نشر في مجلة الفكر الإسلامي سنة ١٩٩٩م - العدد ٢١ و٢٢. صفحته ١٦١ نسخة الكترونية قرئت بتاريخ ٢/١١/١٤٤١ في موقع مؤسسة تراث النجف

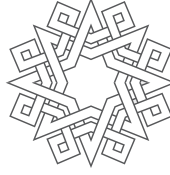


أمواها، بل ودماء أبنائها!

وسياتي في الصفحات القادمة بيان بعض ما طرأ عليه التحريف سواء باللفظ أو المعنى.







## العهد القديم ماذا حُرِّفَ وماذا سَلِمَ؟

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

تتناول هذه الصفحات ما هو موجود في التراث اليهودي، مما نعتقد أنه تعرض للتحريف والتغيير ونُقِّدُّ لذلك ببعض المقدمات:

الأولى: إنَّ الذي يقوم بتحريف شيء، أو يغش فيه، لا يفسده بالكامل؛ لأنَّه لو فعل ذلك لما أخذه منه أحد، فلو أراد أحدهم أن يغش في البيع فإنَّه لا يجعل البضاعة كلها تالفة، وإلَّا لم يشتَرِ منه أحد، وإنما يخلط فاسدًا بصحيح، وأنَّه يستطيع بيع هذه البضاعة المختلطة.

والأمر في التَّحْرِيف هو هكذا تماما فلا أحد يأتي ويغيِّر كل شيء، ولكن يبقى شيئًا ويُفسِدُ آخر فيختلط الأمر على القارئ ويأخذ الجميع.

الثانية: إنَّنا نحتاج لمعرفة أبعاد الأشياء أن يكون لدينا مقياس ثابت، فتقاس إليه تلك الأشياء وتعرف أبعادها، ففي الأطوال يفرض مقياس المتر أو الكيلومتر في

المسافات البعيدة. وفي الأوزان الكيلو غرام وهكذا.

ولكي نعرف ما حصل من التحريف في بعض الكتب السماوية لابد لنا من مقياس ثابت، نقيس معلومات تلك الكتب وأحكامها إليه ولا بد أن يكون صحيحا كالقرآن الكريم الذي حفظ من التغيير والتبديل حتى على مستوى الحرف الواحد.

الثالثة: إننا نقدر جهود كل العاملين المسلمين الذي أنجزوا عملاً ما، صَغُرَ أو كبر، في حفظ القرآن الكريم بنوع من أنواع الحفظ، فالخطاط الذي يخط سور القرآن الكريم يساهم بدرجة من الدرجات في حفظه لأنه ينقله من الصدور إلى السطور. وذلك الذي يهتم بعلوم القرآن والتي تنتهي إلى حفظ بعض شؤون القرآن الكريم يُقَدَّر له هذا الجهد. إن علم التفسير، والقراءات، والتجويد، وإعراب القرآن، والنواحي البلاغية في آياته وغير ذلك، كلها قد ساهمت بدرجة من الدرجات في حفظ القرآن الكريم.

هذا مع أن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>، غير أن هناك - بعد السبب الغيبي - أسباباً طبيعية ساعدت على هذا الحفظ، ثم إن الحفظ الأكبر هو حفظ المعاني<sup>(٢)</sup> والدفاع عن تأويل القرآن، وأول من

(١) الحجر: ٩.

(٢) ولهذا السبب لم يتم التحريف المعنوي بالنحو الواسع الذي يقضي على المعنى الأصلي للكتاب، لقد أثار عن رسول الله ﷺ قوله لأمر المؤمنين ﷺ أنه يقاتل على تأويل القرآن. والقتال (بمعنى الحرب) على التأويل وإن كان خاصا بالإمام أمير المؤمنين إلا أن الجهاد لحفظ تأويل القرآن والمنع من تزيف معانيه كان سيرة ومسيرة باقي المعصومين ﷺ. ولذلك وبالرغم من سعي السلطات في طول تاريخ الإسلام في تزيف معاني القرآن إلا أنها لم تستطع أن تفرض ذلك الخط المزيف على الأمة بحيث يكون صاحب الرأي الأول والآخر في فهم القرآن، وهذا بخلاف الحالة اليهودية التي تحالف فيها أهل السلطان والذين أوتوا نصيبا من الكتاب على إخفاء المعاني الحقة، ففتح عن ذلك حصول التحريف بأوسع صورته.

قام بذلك هو سيدنا رسول الله ﷺ وذريته عليهم السلام.

الرابعة: أن القرآن الكريم يثبت حصول تحريف في التوراة والإنجيل من جهتين؛ فمن جهة اجمالية ذكر باللوم والتقريع فعل الكهنة والأخبار الذين قاموا بهذه العملية وكشف عن دوافعهم فذكر في آيات كثيرة أنحاء من هذا الفعل، بكتمان الحقائق وسترها مع الحاجة إليها، وبأنهم بدلوا<sup>(١)</sup> وغيروا ونسبوا ما لغير الله الله! ليشتروا بذلك ثمنًا قليلًا، وبأنهم يسمعون كلام الله عندهم ويعقلونه ثم يحرفونه<sup>(٢)</sup> بعد ذلك تحريفًا لفظيًا أو معنويًا، وكان ينبغي على هؤلاء وقد أخذ الله عليهم كعلماء أن يحفظوا كلام الله ثم يبلغونه للناس، أن يكونوا أولى الناس به وأكثرهم إخبارًا وخضوعًا لكن بتركهم ذلك صارت قلوبهم قاسية<sup>(٣)</sup> وصار التحريف عملهم الأساس.. فهذا من جهة نسب إليهم ربنا سبحانه في آيات كثيرة قيامهم بهذا الفعل الخاطيء.

ومن جهة أخرى وجدنا عند المقارنة بين كلام الله في القرآن الكريم وبين ما يفترض أنه كلام الله في التوراة فرقًا كبيرًا وبونًا واسعًا وأمورًا لا يجوز نسبتها إلى قول الله وكلامه، ولا إلى فعل الانبياء والرسل.. كل ذلك في التوراة الموجودة بين أيدي اليهود والمسيحيين الآن.

وهذا يدل على حصول التحريف التفصيلي<sup>(٤)</sup> في هذا الكتاب، بالإضافة إلى ما سبق

(١) ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩.

(٢) ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٧٥.

(٣) ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ المائدة: ١٣.

(٤) لمن أراد التفصيل في هذا فليرجع إلى كتب المرحوم الإمام الشيخ محمد جواد البلاغي رضوان الله عليه: الرحلة المدرسية، والهدى إلى دين المصطفى وغيرها فلقد جاء فيها بالغاية وأرعى على النهاية.

ذكره من نسبة الله التحريف الاجمالي للأخبار والكهنة.

نعم وكما قلنا في المقدمة الأولى في الصفحات السابقة لم يحصل التغيير الكلي والتحريف التام للتوراة، وإنما تم ابقاء بعض الأحكام والقصص وتم تحريف القسم الآخر:

■ فمن الأحكام التي لم تتعرض للتحريف اللفظي أو المعنوي؛ حرمة الزنا، اللواط والشذوذ الجنسي وكذلك حرمة السرقة ولكن السرقة عندهم أن لا تسرق من أخيك اليهودي، أما إذا كان غيره فقد يكون له حكم آخر كما فضحهم القرآن في ذلك بأنهم يعتبرون الآخرين ليسوا أصحاب حق حتى لو تمت السرقة منهم،<sup>(١)</sup> وحرمة الربا على اليهود، والغريب أن اليهود اشتهروا على مستوى العالم بأنهم هم الذين يديرون عمليات الربا في المال ويثرون بها!.

■ كذلك في قضايا الزواج فإن هناك أحكامًا مشتركة وهو ما يشير إلى الأصل الواحد الذي نبعت منه مثل تحريم نكاح المحارم وهو ما جاء في القرآن الكريم: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ»<sup>(٢)</sup>، ويضيفون إلى ذلك - كما نقل - حرمة الزواج من زوجة الأخ وزوجة العم، بينما ليستا محرمتين في الشريعة الإسلامية. ويتفق أصل تعدد الزوجات عند اليهود مع التعدد عند المسلمين، بفارق أنه لدى اليهود ليس محدودًا بعدد فما دامت القدرة المالية موجودة فليتزوج ما شاء، بينما هو عند المسلمين محدود بالأربع الدائمات.

(١) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَّا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٧٥.

(٢) النساء: ٢٣.



وكذا موضوع الطلاق فإنه عند اليهود والمسلمين جائز على عكس ما هو لدى المسيحيين حيث لا يجوزونه.

في المأكولات: تحرم تحريماً قطعياً أكل الدم ولحم الخنزير وفي هذا يتفق اليهود مع المسلمين، ولا يؤكل من الحيوان إلا ما ذبح بطريقة خاصة وهو ما يسمى عندهم بالكوشار، وفي أصل هذا الموضوع يعني حاجة الحيوان إلى التذكية لتحليل لحمه يتفقون مع المسلمين وإن كانت الطريقة فيها بعض الاختلاف، وسيأتي الحديث عن حكم لحم الكوشار اليهودي بالنسبة للمسلمين. والأسماك عندهم يحل أكل الأسماك التي لها فلس، وهذا يتفق مع المذهب الإمامي الاثني عشري في موضوع حلية الأسماك.

أما ما طرأ عليه التحريف فهو موضوع واسع، وخطر لأنَّ بعضه قد وَجَدَ طريقه إلى بعض عقائد المسلمين، وتسرب إليهم عن طريق مسلمة أهل الكتاب الذين تمكنوا - بعد أن مُكِّنوا من مراكز التوجيه الديني بعد النبي - من تسريب أفكارهم - بقصد أو بشكل طبيعي - إلى الجو الثقافي المسلم.

ومن أمثلة التحريف ثم التسريب للمجتمع المسلم:

## أولاً: ما يرتبط بالاعتقاد بالله تعالى

١. أفكار التجسيم لله ﷻ.. فإن (الله) سبحانه في التوراة، رجل مجسم! يتمشى ويصعد وينزل ويجلس ويقوم ويضحك ويضمه مكان ويحتويه.. الخ.. ومن هنا نعرف من أين أتت الأحاديث التي فيها هذه الصفات المجسدة والمجسمة لله، وكيف صارت في (صحاح) المسلمين! في التوراة يقول: «إن الله كان يتمشى في الجنة، فسمع آدم صوت خطاه، فاختاباً منه، فناداه الله: أين أنت أيها الإنسان، فقال آدم: كنت عريانا فسمعت صوت خطاك فاختاباً».

إن أقل تأمل في هذه الفقرة يتبين منها أن: الجنة أكبر من الله لأن من يتمشى في مكان محتويه ذلك المكان ويكون أكبر منه! وهذا واضح. ويتبين منها أيضًا أن الله لا يعلم بمكان آدم فاضطر أن يناديه ليتعرف على ذلك المكان! وأن بإمكان الإنسان أن يختفي عن الله (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا).

ما هو موجود في التوراة أن الله خلق آدم على صورته، وهذا النص بعينه تسرب إلى بعض كتب المسلمين! فرووا عن النبي ﷺ قوله (إن الله خلق آدم على صورته) بل ألف بعضهم كتابًا في أن خلق آدم على صورة الرحمن،<sup>(١)</sup> وقد أغرق بعضهم في التجسيم نزعا وطاشت سهامه حتى قال بعض الحشوية: «سلوني عن كل شيء لله؛ عينه، رجله، يده، ولكن ما تحت السرة لا تسألوني عنها»، سبحانك هذا بهتان عظيم!.

وإذا كان لهذه الكلمات من صحة في صدورها «إن الله خلق آدم على صورته» فإنها تفسر بما نقل عن الامام الرضا عليه السلام<sup>(٢)</sup>، ولكن لأن بعض الاتجاهات في الأمة متأثرة

(١) التويرجي؛ حمود بن عبد الله: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن «ذكر فيه الأحاديث الصحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرحمن وفيما يتعلق بمجيء الرحمن يوم القيامة على صورته وقد أجاد وأفاد وأوضح ما هو الحق في هذه المسألة وهو أن الضمير في الحديث الصحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله ﷻ وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر أن الله خلق آدم على صورة الرحمن وقد صححه الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه والآجري وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون من الأئمة..» من مقدمة تقيظ الكتاب.

(٢) والرواية كما في عيون أخبار الرضا: حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن علي معبد، عن الحسين بن خالد قال: قلت للرّضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ﷺ إنّ النَّاسَ يروون: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله ﷻ خلق آدم على صورته، فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا اول الحديث، إنّ رسول الله ﷺ مر برجلين يتسابقان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال ﷺ له: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك؛ فإنّ الله ﷻ خلق آدم على صورته.



بفكرة التجسيم لله، فقد تفاعلت مع هذا النص المبتور وأخذته مشرقة ومغربة!

٢. في موضع آخر من التوراة (تكوين ٨ / ف ٣) يذكر: «إن الله جعل آدم في جنة عدن وقال له من جميع شجر الجنة تأكل وأما شجرة معرفة الحسن والقيح فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتا تموت. ثم خلق الله من آدم امرأته «حوا» وكانا عريانين وهما لا يخجلان لأنه ليس لهما شعور معرفة الحسن والقيح. وكانت الحية أحيلى حيوانات البرية فقالت لحواً أحققاً قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت حوا: من شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة لا تموتان، بل إن الله عالمٌ أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفي الحسن والقيح. فلما أكلا منه انفتحت أعينهما وعرفا أنهما عريانان فصنعا لأنفسهما مآزر».<sup>(١)</sup>

وأكلا وبالطبع فلم يموتا! نعوذ بالله أن ينسب هذا الكلام لله! فإن قوله المزعوم لآدم وحوا إن أكلتما تموتا، إما أنه لا يعلم بعدم موتها بأكله، أو يعلم وكذبَ عليهما وخدعهما! هل يفعل الله هذا؟ من المفترض ألا يأتي في كتاب سماوي يُنسب إلى أنبياء الله ﷺ.

٣. وكذلك ما جاء عندهم من: أن الله عندما خلق السماوات والأرض في ستة أيام تعب فعطّل في اليوم السابع (السبت) واستراح! ولذلك عندهم من الواجب التعطيل يوم السبت، هذا مع أننا نعلم - ولعله لهذا كانت أعظم آيات القرآن ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(٢)</sup> وأنه

(١) البلاغي؛ الشيخ محمد جواد: الرحلة المدرسية ١ / ١٤.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْصِي بِخَلْقِهِنَّ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

٤. وفيها أيضا أن الله رأى كثرة فساد آدميين في الأرض فندم على خلقهم وقال كلامًا في آخره: وإني نادى على خلقهم جدًا!؟ تعالى الله وتنزه عن ذلك.

وأنه - سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا - تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الأرض!!.

## ثانياً: ما يرتبط بالاعتقاد بالأنبياء والرسل

وثانية الأثافي السيئة الواردة في التوراة الفعلية المعاصرة، من التحريف ما يرتبط بقصص الانبياء والرسل الكرام، ففيما نعتقد طبقاً للصورة التي يرسمها القرآن بأنهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وبأنهم ﴿...كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، وأننا في هذا ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> نتعجب من الصورة التي ترسمها التوراة للأنبياء والتي لا تليق بالأناس العاديين فضلاً عن المؤمنين. ونأتي بذكر بعض الأمثلة مما جاء فيها ولا نستقصي كل الأمثلة، ونشير إلى أن من أراد التفصيل فعليه بمراجعة كتب المرحوم البلاغي.

## صورة النبي نوح

(١) الأحقاف: ٣٣.

(٢) ق: ٣٨.

(٣) الأنعام: ٩٠.

(٤) الأنعام: ٨٥.

(٥) البقرة: ١٣٥.





أن نبي الله نوح غرس كَرْمًا -عنب- وصنع خمرًا، فسكر فاضجع وبدت عورته، فجاء ابنه سام ويافث وغطّياه، ولكن ابنه حام والد كنعان لم يفعل ذلك، فحكم عليه بالطرد واللعنة الأبدية.

### صورة النبي لوط

جاء في التوراة هذه الصورة: «وخاف لوط ان يسكن في صوغر. فصعد الى الجبل واقام بالمغارة هو وابنتاه.. فقالت الكبرى للصغرى: شاخ ابونا وما في الارض رجل يتزوجنا على عادة أهل الارض كلهم.. تعالي نسقي أبانا خمرًا ونضاجعه ونقيم من أيننا نسلًا... فسقتا اباهما خمرًا في تلك الليلة.. وجاءت الكبرى وضاجعت أباهما، وهو لا يعلم بنيامها ولا قيامها وفي اليوم التالي قالت الكبرى للصغرى: ضاجعت أبي البارحة! فلتسقه خمرًا الليلة أيضًا وضاجعيه أنت لتقيم من أيننا نسلًا فسقتا اباهما خمرًا تلك الليلة أيضًا، وقامت الصغرى وضاجعته وهو لا يعلم بنيامها ولا قيامها، فحملت ابنتا لوط من ابيهما فولدت الكبرى ابناً وسمته مؤاب وهو أبو المؤابيين الى اليوم والصغرى ولدت ابناً وسمته بن عمي وهو ابو بني عموان الى اليوم»<sup>(١)</sup>.

والقصة من الشناعة والقبح لا تحتاج إلى تعليق!

### صورة النبي داوود

وأما عندما نأتي لصورة نبي الله داوود يقول المرحوم الإمام البلاغي: هذه القصة التي ينقلونها عن النبي داوود لا تصدر من أكثر الفساق المتهتكين الخائنين<sup>(٢)</sup>، فكيف

(١) النجمي، محمد صادق: أضواء على الصحيحين ٢١٠/ نقلًا عن التوراة سفر تكوين إصحاح ١٩ بند

٣٠ - ٣٨.

(٢) البلاغي؛ الرحلة المدرسية ١/ ٦٩.

نبي الله داوود الذي تحقق النصر علي يديه لهم أيضًا؟ «وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ»<sup>(١)</sup>.

«فلنقرأ ما هو عندهم عن داوود النبي ﷺ: وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جدا فأرسل داوود وسأل عنها فقال واحد: أليست هذه بشيع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى، فأرسل داود على أوريا وجاء به من الحرب وأمره أن يذهب إلى بيته «وغيره أن يقارب أوريا امرأته فيتموه أمر الحمل» فلم يمض أوريا إلى بيته مواساة لأصحابه المتجردين للحرب في سبيل الله مع تابوت الله، ولما مضى أوريا إلى الحرب كتب داود إلى رئيس جيشه أن يجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ويرجعوا من ورائه ليقتل ففعلوا وقتل أوريا وأخبر داود بموته فأرسل إلى امرأته المذكورة فضمها إلى بيته فولدت له ولدا من حمل ذلك الزنا»<sup>(٢)</sup>!!

انظر إلى تلك الشناعة التي لا تتحمل، فالقرآن الكريم يقول: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ﴾<sup>(٣)</sup>، أيهما نصدق هذا الهراء الباقي الموجود في التوراة أم هذا النور الذي في القرآن الكريم.

وسليمان أيضًا لم ينبج منهم، والعجب في ذلك أنهم يعتبرون داوود وسليمان من الأعظم عندهم، لا سيمًا وأن سليمان بنى لهم مملكة عظمى، قالوا: «إن سليمان كان ميلاً للنساء ويحب النساء كثيرا»، وأنا لا أستبعد أن ما هو موجود في بعض كتب

(١) البقرة: ٢٥١.

(٢) البلاغي الشيخ محمد جواد: الهدى إلى دين المصطفى ١/١٤٦ عن الاصحاح ٢ صم ١١: ٦ - ٢٧.

(٣) ص: ٣٠.



المسلمين بأنَّ سليمان كان لديه أكثر من ألف امرأة وفي كل ليلة يطوف عليهن.. إلى آخره مما هو موجود في التوراة هو تسرب من كتب اليهود. يقولون -بزعمهم-: «إلى الحد الذي كان لحبه للنساء تزوّج بالمشركات فأملن قلبه عن الله عزَّ وجلَّ!»، وطلبين منه أن ينشئ لهنَّ أصنامًا لآلهتهنَّ، ففعل ذلك لهنَّ، أيضًا وعطلَّ بعض الأحكام الدنيية لأجلهنَّ!». هذه صورةٌ لنبِيِّ من الأنبياء الموصوف في القرآن بأنه «نِعَمَ الْعَبْدُ!»، بل إن نصف سورة النمل تقريبا كانت قد أوردت قصته وتحدّثت عن تعظيمه وإكرامه، وكذلك في باقي السور، هذه صورة عن الأنبياء في التوراة الموجودة عندهم<sup>(١)</sup>.

وهكذا الحال بالنسبة لسائر الأنبياء والرسل فقل أن يمر ذكر نبي من الأنبياء ويسلم من كلام سيء وشائن، وقد سبق أن ذكرنا أنهم اتهموا يعقوب النبي أنه خدع أباه وكان الأولى بالمباركة والنبوة عيسو (العيسو) لا يعقوب فبارك إسحاق يعقوب

(١) قد مر ما قالوه عنه ﷺ كما في سفر الملوك الاول ١١: ١٤-١٤.. وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات. من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون إليكم لانهم يميلون قلوبكم وراء الهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من الساراري فأملت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساءه املن قلبه وراء الهة اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود ابيه. فذهب سليمان وراء عشتورث الالهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود ابيه. حيثئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه اورشليم. ولمولك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نساؤه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب على سليمان لان قلبه مال عن الرب اله إسرائيل الذي تراءى له مرتين. واوصاه في هذا الأمر ان لا يتبع الهة اخرى. فلم يحفظ ما اوصى به الرب. فقال الرب لسليمان من اجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي اوصيتك بها فاني امزق المملكة عنك تمزيقا واعطيها لعبدك. الا اني لا افعل ذلك في ايامك من اجل داود ابيك بل من يد ابنك امزقها. على اني لا امزق منك المملكة كلها بل اعطي سبطا واحدا لابنك لأجل داود عبدي ولاجل اورشليم التي اخترتها..

وكان قد كف بصره، بعدما لبس يعقوب فروة وباركه أي أعطاه النبوة بعده.. كما قالوا!! ونسبوا لهارون أنه هو الذي صنع العجل الذي عبده بنو اسرائيل حين ذهب موسى لميقات ربه!! وهذا ما يؤكد حصول التحريف في هذا القسم من التوراة، فلا يعقل أن يتحدث الله سبحانه بذلك الحديث الرائع والتكريم الكبير للأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، ويتكلم بخلافه عنهم في التوراة.

### ثالثاً: ما يرتبط بالقيامة واليوم الآخر

يشير العلامة البلاغي<sup>(١)</sup> رحمه الله إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي أننا لا نجد في التوراة ما يتحدث به عن يوم القيامة، فهذه الديانة السماوية تهتم بأمر الإنسان لمئة سنة -على سبيل المثال- أما القيامة فلا جنة ولا نار ولا ميزان، أين ملف الآخرة في التوراة؟!، لاحظ -أيها القارئ الكريم- القرآن المجيد كم وكيف يتحدث عن الآخرة؛ مشاهد الحشر والنشر والحساب ومشاهد النعيم العذاب، وتفصيل العقوبات الالهية، وجمال النعم الربانية في الجنة، حتى وكأنها تشهد لها في منظر متحرك بل وكأنك تعيش أجواءها! لكننا لا نجد شيئاً من ذلك في التوراة وكأنها أحد الدساتير والقوانين الوضعية المادية أو كتب القصص التاريخية التي لا ترتبط بالمستقبل!.

وهذا ما أشار إليه المرحوم البلاغي، حيث قال في كتابه الهدى إلى دين المصطفى

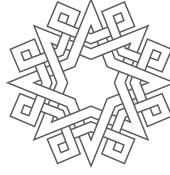
(١) محمد جواد بن حسن البلاغي النجفي الربعي (١٢٨٢ - ١٣٥٢هـ) فقيه إمامي، ومفسر، وخبير في العقائد ومناظر متميز، من أهم أساتذته الميرزا محمد تقي الشيرازي والأخوند الخراساني. من أهم تلامذته السيد أبو القاسم الخوئي. والسيد شهاب الدين المرعشي النجفي والسيد محمد هادي الميلاني، له من الكتب المطبوعة أكثر من ٣٦، من أهمها في المناظرات مع المسيحية واليهود: الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة، الهدى إلى دين المصطفى، التوحيد والتثليث وفي التفسير: آلاء الرحمن، وفي العقائد: الرد على القاديانية، ونظرية داروين.



«وأما القيامة والآخرة والثواب والعقاب فيهما، فلم تذكر التوراة الرائجة فيها شيئاً أصلاً حتى أن إهمال ذلك بالكلية في مقامات الوعد والوعيد، فلم تذكر في الوعد والترغيب إلا التنعم الدنيوي الفاني كالاستعلاء على القبائل والبركة في المزارع ونتاج البهائم والسلّة والمعجنة وثمرّة البطن وما أشبه ذلك، ولم تذكر في الوعد والتخويف إلا نحو اللعنة فيما تقدم ذكره، والابتلاء بالأمراض الرديئة، والقحط والذلة، وأنه يخطب امرأة، ورجل آخر يضطجع معها، ونحو ذلك، انظر (تث ٢٨). وعلى ذلك جرى سائر العهد القديم فلم تذكر فيه القيامة والآخرة إلا في دانيال (١٢، ١ و ٢)، ولكنه نسب القيامة لكثير من الموتى الراقدين وهذا خلاف حقيقتها»<sup>(١)</sup>.

(١) البلاغي؛ الشيخ محمد جواد: الهدى إلى دين المصطفى ٢/٣٢٣.





## الموقف الإسلامي تجاه اليهود

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

تتناول هذه الصفحات الموقف الإسلامي الذي يقرره القرآن من اليهود، بالطبع بعيداً عن الموضوع السياسي المرتبط بقضية فلسطين، فهذا محل بحثه المناقشات السياسية وهي ليست مد نظرنا. ونلخص هذا الموقف ضمن النقاط التالية:

١. إن القرآن الكريم وهو الأساس في تشكيل الموقف الإسلامي، عندما يبين موقفاً فإنه لا يكون خاضعاً لعقدة مع الأسماء فيعادي اليهود مثلاً على طول الخط لأن اسمهم يهود، أو يؤيد المسلمين دائماً لأن اسمهم (المسلمون)، وإنما ينظر إلى الحقائق فلربما تسمى شخص أو مجتمع بأنه ابن الله، والشعب بأنه شعب الله ولكن حقيقته هي حقيقة العداوة لله وأوليائه.. فماذا تنفعه تلك التسمية؟ وهذا لا يخص اليهود أو النصارى بل يشمل حتى المسلمين فكما خاطب الله سبحانه اليهود والنصارى بقوله السابق الذكر

في الآية مطالباً إياهم بالبرهان ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كذلك فقد خاطب النبي المسلمون بمثل هذا المعنى فقال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»<sup>(١)</sup>.

وهذا يفسر لنا ما نجده في القرآن من مدح<sup>(٢)</sup> لبني إسرائيل في سورة ودم في سورة أخرى<sup>(٣)</sup> وهذا ما غفل عن سره بعضهم فقال كيف يمدح ويذم؟ وهل هذا إلا التناقض فإما أن يمدح فلا يذم أو يذم فلا يمدح. غفل هؤلاء عن أن القرآن يمدح القوم حينما يكونون - ولو في بعض الفترات الزمنية - ملتزمين بأوامر الله مطبقين لها، فهم هنا يستحقون المدح والثناء حتى إذا تغير الظرف أو تغير هؤلاء القوم وجاء آخرون - ممن يحملون نفس الاسم - وضيعوا الأوامر الإلهية وأسأؤوا، فلا معنى لمدحهم بل لا بد من تقييدهم وعتابهم!

إن القرآن الكريم يحب العمل الصالح ويحب فاعله ويغض العمل السيء ويغض فاعله، قد يكون شخص هذا اليوم محبوباً لأنه عمل عملاً صالحاً، بينما يكون في غد مبغوضاً لفعله السيء، وليس بين أحد وبين الله قرابة!

وفي بعض الآيات أشار القرآن الكريم إلى «سبب مدحهم أو ذمهم» فهو حين يذكر أنهم قد لعنوا يقول شارحاً؛ إن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم وأنهم كانوا لا يتناهون عن فعل المنكرات والقبائح وأنهم كانوا يتولون الكافرين ويلجؤون إليهم ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا

(١) الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي ٥٣٦، ومسند أحمد ٢/ ٢٨٥.

(٢) ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٤٧.

(٣) ﴿فِيمَا تَفَضُّهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء: ١٥٥.





عَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ \* كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾.

بل من البداية يحدد من هو المقصود باللعن فيقول؛ الذين كفروا من بني اسرائيل.

وهذا كما تقدم لا يقتصر على اليهود أو المسيحيين بل يشمل المسلمين أيضًا، فلا يركن أحد منهم إلى أنه ما دام اسمه (مسلم) فهو من أهل الجنة والنعيم! وإنما عليه أن يصدق ذلك بعمله فما أكثر الإدعاء وأقل الحقائق!

ولعل هذا ما يشير إليه ما ورد عن الامام الحسن بن علي عليه السلام، عندما أخبره أحدهم -مفتخرا أنه من شيعة- قال له: «.. فلا تزدد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها لا تقل لنا: أنا من شيعةكم، ولكن قل: أنا من مواليكم..» (٢).

٢. يوصي القرآن الكريم بالتعامل مع أهل الكتاب -ومنهم اليهود- بالتي هي أحسن ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

هذا تأكيد خاص مع أن التوجيه العام للقرآن الكريم أن يكون الجدل مع الجميع بالتي هي أحسن،<sup>(٤)</sup> إلا أن هنا تخصيصًا بأكثر من جهة فهو أولا عبر عنهم بأنهم أهل الكتاب وهو عنوان احترام مثل أن تقول (المثقفون في هذا الزمان)، فهو يعلمنا كيف نحترم الآخرين على مستوى السلوك والمخاطبة إلا الظالمين المعتدين منهم، بل لعل هناك فكرة أخرى أيضًا وهي أن بيننا -المسلمين- وبينكم -اليهود- مشتركًا معها

(١) المائدة: ٧٨-٧٩.

(٢) الري شهري، الشيخ محمد: ميزان الحكمة ٦ / ١١٠.

(٣) العنكبوت: ٤٦.

(٤) ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥.

وهو أننا معاً أصحاب كتاب سماوي، فأنتم أهل كتاب ونحن أهل كتاب، نعم كتابكم انتهت صلاحيته في زماننا.

وأيضاً فإنه عندما يقول «أهل الكتاب» فإنه يعظم شأن المعرفة، فإنه كان يوجد لديكم طريق للمعرفة الالهية الصحيحة، والهداية الربانية، وكان حجة عليكم، بينما لم يكن لسواكم ذلك ولهذا كانوا من الأميين - غير العارفين - وهذا يعني أنكم أولى من أولئك (الأميين) بالإيمان والاعتقاد بالقرآن.

لقد كان اليهود يسمون العرب العابدين للأصنام بالأميين، والقرآن أيضاً أطلق على العرب هذه التسمية ولم يرفضها<sup>(١)</sup> وهذا أحد أوجه تفسير كلمة الأمي في حق نبينا المصطفى محمد ﷺ.

ذلك أنه يوجد تفسيرات للقب (النبي الأمي) الذي ورد في القرآن، والراجح فيه كما اختاره العلماء أن نبينا المصطفى ﷺ هو أعلم من خلق الله وأكمل الناس فلا يعقل ألا يكون عالماً بالكتابة والقراءة، لأن ذلك نقص، يتنزه عنه النبي المصطفى ﷺ وإنما معنى (الأمي)؛ أنه ينتسب للأميين (الذين هم العرب في مكة وحواليها حيث لم يكن لديهم كتاب سماوي) فنسبته إليهم كالقول إنه مكّي. أو عربي من هذه المنطقة. كما جاء في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمخاطبة القرآن لليهود بأهل الكتاب كأنه يحتج عليهم؛ بأنكم مع كونكم أهل كتاب يشهد للنبي ويبشر به أولى من غيركم بالإيمان به، والسبق إلى تصديقه من

(١) ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ...﴾ آل

عمران: ٢٠.

(٢) الجمعة: ٢.



أولئك الأمين! هذا مثل أن تخاطب شخصا بالقول إنك مع ثقافتك ومعرفتك ينبغي أن تلتفت إلى هذه القضية قبل غيرك من الجاهلين!

فينبغي إذن أن يكون الجدل والنقاش مع اليهود بالتي هي أحسن.

٣. إنه في نفس الوقت الذي يكون فيه النقاش بالتي هي أحسن، يجب أن يكون الموقف حاسماً وقوياً من التحريفات اللفظية والانحرافات العقائدية، ولا يعني النقاش الهادئ والجدال بالتي هي أحسن أن يقبل الإنسان التحريف والتزييف والتزوير فهذا شيء آخر ولا يرتبط أحدهما بالآخر.

إن موقف القرآن الكريم تجاه التحريف بأشكاله حازم وصارم؛ لأنه اعتداء على كلام الله، وإضلال لخلق الله ﷻ، وهذا لا يرتبط باليهود أو المسيحيين فقط بل يشمل كل إنسان مهما كانت صفته الدينية أو الشخصية، فأن يكتب شيئاً من عنده ثم يقول هذا من عند الله أو يجعله في كتاب مقدس.. فإنه افتراء وكذب من جهة وتعدُّ وتحذُّ لله<sup>(١)</sup> وقد تهددهم القرآن الكريم بالنار.<sup>(٢)</sup>

ومثل ذلك موقف القرآن من الانحرافات العقائدية، فإنه يسلط الضوء على الأفكار

(١) في مقابل هذا يقرر علماء الإمامية بأن الكذب على الله والرسول يبطل صوم المسلم لو كان في نهار شهر رمضان، فلو جاء متعمداً بكلمات ليست من القرآن ونسبها إليها كأن قال مثلاً «الشيخ والشيخة فاجلدهما البتة» وزعم أنها من القرآن فإنه يبطل صومه، بل لو كذب على النبي ﷺ وجاء في نهار شهر رمضان متعمداً بحديث مكذوب عليه ونسبه جازماً للنبي يبطل صومه. وهذا يشير إلى تعظيم كلام الله ﷻ وصيانيته، بل حتى كلام رسوله ﷺ عند الإمامية. بل يرى بعضهم فيمن لا يتقن قراءة القرآن، فيرفع المنسوب وينصب المرفوع وهكذا ألا تكون نيته في القراءة أنه يقرأ القرآن كما أنزل وإنما بحسب استطاعته، حتى لا يقع في محذور نسبة الخطأ لله أو لرسوله.

(٢) ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ البقرة: ٧٩.

المنحرفة التي آمن بها اليهود ويبين خطأها فيقول: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(١)</sup> إن هذا الكلام هو كلام الكفار الذين لا يعرفون حقائق الأنبياء ﷺ وليس لديهم طريق للهداية، أما أنتم فأهل كتاب، كيف تقولون هذا؟!

وكذلك ما يرتبط بموقف اليهود من طهارة السيدة مريم العذراء والدة المسيح ﷺ، فإن موقفهم كان سلبياً في زمانها<sup>(٢)</sup> وبعد زمانها<sup>(٣)</sup> ولعل هذا راجع لموقفهم من ابنها المسيح وتكذيبهم إياه. وبعكس ذلك يأتي القرآن فيزكي هذه السيدة العظيمة وينزلها المقام الكبير الذي أنزلها الله إياه، فيؤكد على طهارتها وعلى اصطفاء الله لها ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ \* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

٤. رفض عنصرية اليهود وإدعاء كونهم شعب الله المختار!! فإن القرآن الكريم عرض لها وبين أسبابها وذكر لها علاجاً دقيقاً، ففيما زعم اليهود أن الرب المعبود لما خلق بني إسرائيل اختصهم برعايته وعقد بينه وبينهم عهداً وحلفاً خاصاً على أن يحميهم ويرعاهم دون غيرهم من سائر البشر. وأنهم يعبدونه لأجل ذلك، فهم بالتالي (أبناء الله وأحباؤه) و(شعبه المختار) وما داموا كذلك فلن ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾، بل حتى العصاة منهم لو عوقب فإنه لا يلبث إلا أياماً معدودة في العقاب ﴿قَالُوا لَنْ

(١) التوبة: ٣٠.

(٢) ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾.

(٣) ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا \* وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾.

النساء: ١٥٦-١٥٧.

(٤) آل عمران: ٤٣.



تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١﴾.

ولأنهم أبناء الله وأحباؤه، فأموال غيرهم وأعراض الآخرين حلال عليهم! وليسوا مؤاخذين لو انتهكوها ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ وقد تجلت أسوأ صور العنصرية واستباحة الآخرين في الكتابات المتأخرة عن التوراة - وإن كانت لم تخل منها- لا سيما الشروح عليها وأسوأها التلمود.

يرفض القرآن الكريم هذا المنطق تمامًا، ويرد على إدعاءاتهم واحدا بعد واحد، ففي مقابل فكرة العهد التي تتحكم بالمجتمع اليهودي ينفي ذلك ويصرح بأن هذا الكلام هو من القول بغير علم، ويترتب عليه أن ما بني على هذا الأصل غير صحيح فلا تتصوروا أن النار لن تمسكم أو أنها ستمسكم أياما معدودة، وإنما الصحيح أن من يكتسب السيئات ثم لا يتوب عنها فإنه من أصحاب النار كائنا من كان! ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. (٢)

ويناقش قولهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه بما يهدم الأساس والبناء، فقد أخذ مسألة عذابهم بذنوبهم كأصل مسلم ولو كانوا كذلك لما عذبهم، ويؤكد لهم أنهم كسائر البشر يجزيهم خيرا بالخير وعقوبة بالشر ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ﴾. وفي هذا رد على غير اليهود الذين وإن لم يصرحوا بنفس مقالة اليهود لكنهم يتعاملون في حياتهم بنفس الطريقة، من أخذ مال الغير أو سلوك سبيل الشر والمعصية

(١) آل عمران: ٢٤.

(٢) البقرة: ٨١.

ثم يتصورون أنهم ما داموا مسلمين فهم ناجون، أو ما داموا موالين لأهل البيت فإن النار لن تصيبهم.. الكل يخاطبهم بالقول: إن مقتضى القانون الأوّلي في العاصي هو أن يجازى بعصيانه!

٥. كذلك فإن القرآن الكريم وهو يأمر بحسن المعاملة مع الصالحين منهم لا ينسى أن يذكر تلك الفئة المعاندة والظالمة والمتآمرة على دين الإسلام ورسوله، فيوضح بعض مؤامراتهم ضد الدين بل وتحالفهم مع الكفار!! ضد المسلمين الذين يشتركون معهم في كونهم أصحاب ملة توحيدية كما هو المفروض وأهل كتاب! أكثر من هذا أيضًا يذكر القرآن الكريم مؤامراتهم تجاه الدين ولأجل اضعاف المؤمنين ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(١)</sup> ومن الممكن أن يؤثر هذا في الروح المعنوية لأتباع رسول الله ﷺ! بل أسوأ من ذلك فإن منهم من يتخذ الكفار أولياء دون المسلمين، ﴿تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذا كله في الموقف القرآني من اليهود.. وما يرتبط بعقائدهم الأصلية.

## من أحكام التعامل الفقهي مع اليهود

### أ. طهارة أهل الكتاب (اليهود)

يقرر المشهور من علماء الإمامية في العصر الحاضر أن أهل الكتاب (اليهود

(١) آل عمران: ٧٢.

(٢) المائدة: ٨٠.



والمسيحيين والمجوس -على قول-) لا يلحقهم حكم الكفار من النجاسة، وإنما يعتبرون طاهرين بحيث لو لامسهم أحد برطوبة فإنه لا ينجس، بخلاف الكفار من غير أهل الكتاب كالبوذيين والهندوس وأمثالهم فهؤلاء محكومون بالنجاسة بحيث لامست أحدهم برطوبة فإنه ينجس ما يلامسه.

ويترتب عليه أن من لديه في منزله عاملة مسيحية أو يهودية لا مشكلة له في ذلك من حيث الطهارة، فإنها مع تغسيلها مثلا الأواني أو الملابس وملامستها بيدها بالرطوبة لا تنتجس، بخلاف ما إذا كانت غير كتابية مثلا. هذا هو الرأي المشهور بين الإمامية في هذا الزمان؛ وهو أيضًا رأي مدرسة الخلفاء قديمًا وفي هذا الزمان.

### ب. مسألة التناكح بينهم وبين المسلمين:

وهي مسألتان: فمنها إنكاح اليهودي المسلمة، بأن تتزوج امرأة مسلمة شخصًا يهوديًا، فكأن هذا محل اتفاق بين المسلمين في عدم الجواز وقد يستندون إلى أدلة قرآنية وروائية.<sup>(١)</sup>

(١) قال في الفقه على المذاهب الأربعة ٧٢/٤: الثالث: قسم له كتاب محقق يؤمن به كاليهود الذين يؤمنون بالتوراة والنصارى الذين يؤمنون بالتوراة والإنجيل فهؤلاء تصح مناعتهم بمعنى أنه يحل للمؤمن أن يتزوج الكتابية ولا يحل للمسلمة أن تتزوج الكتابي كما لا يحل لها أن تتزوج غيره فالشرط في صحة النكاح أن يكون الزوج مسلمًا..

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ وقوله مخاطبًا الرجال: ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ فهاتان الآيتان تدلان على أنه لا يحل للرجل أن ينكح المشركة على أي حال كما لا يحل للمرأة أن تنكح المشرك على أي حال إلا بعد إيمانهم ودخولهم في المسلمين وقد خصص من هؤلاء الكتابية للرجل المسلم بقوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ فهذه الآية تفيد حل الكتابية بالنص ولو قالت إن المسيح إله أو ثالث ثلاثة وهو شرك ظاهر فأباحهن الله لأن لهن كتابا سماويا.

وأما نكاح المرأة اليهودية والزواج بها فعند أتباع مدرسة الخلفاء يجوز ذلك. وأما عند الامامية فقد رأى المشهور من فقهاءهم أنه يجوز نكاحهن بالنكاح المؤقت والمنقطع<sup>(١)</sup> ولا يجوز بالنكاح الدائم جمعا بين الأدلة<sup>(٢)</sup> وبالطبع فإن هذه المسألة ابتلائية أكثر من سابقتها نظرا لوجود الجاليات المسلمة، والطلاب المبتعثين في الخارج.

### ج . الأكل من أطعمتهم:

قد ذكر العلماء في هذا أن الطعام قسمان:

١ . غير اللحوم كالخبز والفواكه والخضراوات وغيرها، وهو لا إشكال في جوازه، لأننا فرضنا أنهم طاهرون.

٢ . اللحوم: فإذا كان من السمك فاليهود يتفقون مع الشيعة الإمامية في تحليل خصوص السمك المحتوي على فُلْس وقشر وأن يُخرج حياً من الماء، وما داموا يتفقون مع الامامية مع كونهم أكثر اشتراطا في هذا الجانب فموافقتهم لمدرسة الخلفاء أوضح.

أما إذا كانت ذبائح (من طيور وأنعام) فبالنسبة لمدرسة الخلفاء لا مانع عندهم من

(١) بعض من ذهب من الفقهاء إلى الجواز اشترط شرطا اضافيا وهو ألا يكون له زوجة مسلمة، فإن كان فلا بد من اذنها.

(٢) يحتاط بعض مراجع العصر كالسيد الخوئي وجوباً بالاجتناب عن أهل الكتاب وحيث أن المسألة احتياطية فيمكن الرجوع فيها للغير ممن يرى الطهارة..





الأكل من ذبائح أهل الكتاب،<sup>(١)</sup> ولا يجوز ذلك عند الإمامية<sup>(٢)</sup> لأنهم يشترطون عدة شروط منها أن يكون الذابح مسلماً بمفاد الآية المباركة: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ والضمير يخاطب المسلمين دون اليهود<sup>(٣)</sup> والنصارى، وأن يُذكر اسم الله عليه وأن تُوجه الذبيحة إلى القبلة، وهذه الشروط لا تتوفر كاملة عند اليهود لذلك لا يجوز أن يأكل منها المسلم حسبما يستفيد علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام.

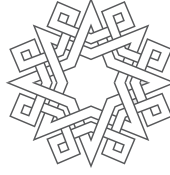
(١) (المقدسي؛ ابن قدامة: المغني ٩/ ٣٩٠، قال: (والمُسْلِمُ والكِتَابِيُّ فِي كُلِّ مَا وَصَفَتْ سَوَاءً) يَعْنِي فِي الإِصْطِيَادِ وَالذَّبْحِ. وَأَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى إِبَاحَةِ ذَبَائِحِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ﴾ [المائدة ٥]. يَعْنِي ذَبَائِحَهُمْ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: طَعَامُهُمْ ذَبَائِحُهُمْ. وَكَذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ. وَرُوِيَ مَعْنَاهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَرَوْنَ إِبَاحَةَ صَيْدِهِمْ أَيْضًا.

قَالَ ذَلِكَ عَطَاءٌ، وَاللَّيْثُ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ. وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا حَرَّمَ صَيْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا مَا لِكَا، أَبَاحَ ذَبَائِحَهُمْ، وَحَرَّمَ صَيْدَهُمْ. وَلَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ صَيْدَهُمْ مِنْ طَعَامِهِمْ، فَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ الْآيَةِ، وَلِأَنَّ مَنْ حَلَّتْ ذَبِيحَتُهُ، حَلَّ صَيْدُهُ، كَالْمُسْلِمِ.

(٢) (الخوانساري، السيد أبو القاسم: منهاج الصالحين ٢/ ٣٣٥: يشترط في حل الذبيحة بالذبح أن يكون الذابح مسلماً فلا تحل ذبيحة الكافر وإن كان كتابياً.. ومثله باقي الفقهاء.

(٣) حتى الذبيحة الخاصة المعروفة عندهم بالكوشر (الكوشار) ففي استفتاء موجود على موقع السيد السيستاني <https://www.sistani.org/arabic/qa/02202/> كان جوابه بعدم الجواز على الأحوط: هل يجوز أكل اللحم المذبوح على الطريقة اليهودية؟ الجواب: كلاً وإن ذُكر عليه اسم الله على الأحوط. ومثل ذلك في موقع السيد صادق الشيرازي.





## المسيح عيسى بن مريم حياته وعصره

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. (١)

النبي عيسى بن مريم؛ صاحب شريعةٍ وأحد أنبياء أولي العزم، وأكثر الأنبياء أتباعاً في هذا الزمان. ويعترف به بالإضافة إلى المسيحيين المسلمون فهم وإن كانوا يعتقدون بأن شرائع الأنبياء والرسل السابقين للرسالة الخاتمة مؤطرةٌ بزمانها، منسوخةٌ برسالة الإسلام الخالدة إلا أنهم يعترفون بالأنبياء السابقين ويجلونهم وفي هذا لا يفرقون بين رسل الله سبحانه.

تحدث القرآن الكريم<sup>(٢)</sup> والنبي محمدٌ المصطفى بتكريمٍ عن السيد المسيح عيسى بن مريم في مواضع كثيرة. ولقد صارت ولادته من جهة وحياته وطول بقائه من جهة

(١) مريم: ٣٠.

(٢) عبر عنه في القرآن بتعابير متعددة فهو كلمة الله، وروح منه، والمسيح، وأنه من المقربين والصالحين، وأنه رسول، وأنه وجه في الدنيا والآخرة ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ \* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ آل عمران: ٤٥ - ٤٦.

أخرى آية ودليلاً لكثير من المعتقدات الدينية.<sup>(١)</sup>

## نظرة على الأوضاع إبّان ولادة المسيح

### الناحية السياسية:

وُلد نبي الله عيسى زمان تسلّط الدولة الرومانية على أكثر مناطق العالم، بما فيها المنطقة التي كانت مسرحاً لبعثة الأنبياء كبلاد الشام وفلسطين ومصر.<sup>(٢)</sup> وكانت الوثنية -آنذاك- الدين الرسمي للدولة الرومانية.

(١) يستدل الامامية بنبوّة المسيح عيسى وهو في المهد ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ مريم: ٣٠ على أن النبوة لا تخضع لعوامل السن والعمر في انتخاب النبي من الله تعالى، وكذلك الحال في الإمامة فإن من الممكن - بل قد حصل - أن يختار الله إماماً للخلق وهو صغير السن. كما يستدلون بطول بقائه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿ النساء: ١٥٧ - ١٥٨ على إمكان - وحصول - العمر الطويل للإنسان بإذن الله بحيث يستمر لما يقرب من ألفي سنة، على إمكان وحصول استمرار الحياة للإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه.

(٢) بشكل إجمالي يشار إلى أنه: كانت دعوة نبي الله موسى وأخوه هارون في هذه المنطقة (مصر وفلسطين وبلاد الشام) وخلفهما وصي موسى وفتاه يوشع بن نون حيث دخل الأرض المقدسة فاتحاً حوالي سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد، وبقيت تحت إدارة بني اسرائيل من أتباع النبي موسى ﷺ وهي تسير من ضعف إلى أضعف. إلى أن جاء النبي داود في زمان طالوت، وأعاد النصر إلى تلك المملكة والمجتمع وبلغ أوجه في زمان ابنه النبي سليمان ﷺ، إلى حوالي سنة ٩٦٥ ق.م، لتتقسم بعدها تلك المملكة وذلك المجتمع إلى أقسام متحاربة وطوائف متخالفة، مما سهل على أعدائها من الآشوريين حوالي ٧٢١ ق.م ثم البابليين حوالي ٥٨٦ ق.م السيطرة عليها وانهاء تلك المملكة والدولة، وتفتت المجتمع اليهودي، وظلت تتداول المنطقة أيدي أعدائها الخارجيين حتى سيطر عليها الاسكندر المقدوني حوالي سنة ٣٣٣ ق.م وبذلك أصبحت هذه المنطقة وفلسطين بالذات تابعة للحكم اليوناني، واستمر ذلك حوالي ثلاثة قرون حتى سيطر عليها الرومان سنة ٦٣ ق.م وكانت ولادة السيد المسيح في زمان الرومان وأيام حكم هيرودس.



احتل الرومان فلسطين مهد ولادة المسيح<sup>(١)</sup> - على المشهور - وبقيت تحت حكم الرومان. وقبيل ميلاد عيسى بن مريم تم منحها حكمًا ذاتيًا تابعًا للإمبراطورية الرومانية، فيكون الحاكم عليها يهودي الديانة مؤتمراً بأوامر الرومان وقد تولاهم هيرودس، ثم ابنه هيرودس الثاني.

(١) هل كانت ولادة السيد المسيح في فلسطين؟ أو أنها في العراق؟ الأول هو المعروف بين المؤرخين ويستوي في ذلك المسلمون منهم والمسيحيون وتحديدًا في بيت لحم، ويعتبرون (كنيسة المهد) فيها هو مكان الولادة، فقد ذكر المسعودي في التنبيه والاشراف / ١٢١ أن بيت لحم محل ولادة المسيح عيسى واليعقوبي في تاريخه ٦٨/١ ونقل السيوطي ذلك في الدر المنثور ٣٤٢/٢ وابن الأثير في الكامل في حديث المعراج ٥٢/٢ وابن خلدون في تاريخه ٣٥٥/١. وكذلك نقله من الإمامية العلامة المجلسي في البحار ٣٢٠/١٨ ضمن حديث المعراج عن تفسير القمي بسند معتبر. لكن المجلسي يظهر منه تبني الرأي الآخر والذي يقضي بأن ولادته كان في العراق، فإنه أورد روايات في ذلك ٢٠٦/١٤، فهناك رواية حفص بن غياث (وسندها غير معتبر) بأن الصادق تخلل بساتين الكوفة حتى وصل إلى نخلة وصلّى عندها وأشار إلى أنها النخلة التي هزتها مريم.. وفي أخرى / ٢١١ كسابقتها سندا فيها أن الامام أمير المؤمنين لما رجع من قتال الخوارج مر بالزوراء وانتهى إلى براتا واستخرج صخرة هناك قال إنها التي وضعت مريم عليها عيسى.. وفي ثالثة (كسابقتها سندا) أن مريم خرجت من دمشق!! حتى أتت كربلاء فوضعت في موضع قبر الحسين وعادت من ليلتها.

وانتهى العلامة المجلسي في كتابه مرآة العقول ٥١/٦ إلى أن: ولادة عيسى ﷺ بالكوفة على شاطئ الفرات مما وردت فيه اخبار كثيرة، وربما يستبعد ذلك بانه تواتر عند اهل الكتاب بل عندنا أيضًا أن مريم كانت في بيت المقدس، وكانت محررا لخدمته، وخرجت إلى بيت خالتها أو اختها زوجة زكريا فكيف انتقلت إلى الكوفة والى الفرات مع هذه المسافة البعيدة في هذه المدة القليلة؟ والجواب أن تلك الامور إنما تستبعد بالنسبة إلينا، وأما بالنسبة اليها وأمثالها فلا استبعاد فيمكن أن يكون الله تعالى سيرها في ساعة واحدة آلاف فراسخ بطي الارض، ويؤيده قوله تعالى ﴿فانتبذت به مكانا قصيا﴾ أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد، هذا على فرض كون مدة حملها ساعات قليلة، وإلا على فرض كونها تسعة أشهر أو ثمانية أشهر فيمكن أن يكون ذهابها إلى الكوفة بغير طي الارض أيضًا، والمشهور بينهم أن ولادته كانت في بيت لحم بقرب بيت المقدس.

## الناحية الاجتماعية:

قبيل ولادة نبي الله عيسى بن مريم كان الوضع الاجتماعي في المجتمع اليهودي في فلسطين يتشكل في ثلاث فئات:

١. الصدوقيون: وهم أربابُ الأموال، مرتبطون بمصالح مادية مع الرومان؛ فهم يتماهون مع أوامر الدولة الرومانية ولو كان ذلك على حساب بعض معتقدات اليهود وطقوسهم العبادية؛ رغبةً منهم في تأمين مصالحهم الشخصية. بل ذكر بعض باحثي الفرق اليهودية بأنهم كانوا ينكرون البعث والقيامة والحساب.<sup>(١)</sup>

٢. الفريسيون: وهم الذين فرزوا أنفسهم عن باقي المجتمع، ويعتبرون أنفسهم أكثر تديناً وأقرب إلى الله وأكثر عملاً بالديانات والقوانين، وكانوا متعصبين للعقائد اليهودية والطقوس العبادية، أشداء على من خالفهم. حتى أنه يمكن وصفهم بـ«السلفية اليهودية»، المتمسكة بحرفية الشريعة وفكرة الثواب والعقاب.

٣. الآسيون: يضعون أنفسهم في منطقة وسط بين المتشددين (الفريسيين) وبين المتحررين (الصدوقيين)؛ فهم وسطيون معتدلون بالنظر للفتن الأخرين.

في هذه الأجواء السياسية، وهذه الأجواء الاجتماعية؛ جاء النبي عيسى بن مريم -على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام-؛ حيث أرسل الله تعالى جبرئيل لمريم كي يهب لها غلاماً زكياً بأمر الله وكلمته.

(١) قد مر في صفحات سابقة بأن من جملة الاعتراضات التي وجهت للتوراة الموجودة بين أيدي الناس أنها خالية عن ذكر القيامة وما يرتبط بها من جزاء وحساب!



ولما كان الزنا فاشياً في المجتمع اليهودي آنذاك، وربما شجعهم عليه سلوك أميرهم «هيرودس»؛ فقد ابتليت مريم العذراء بهذا الاتهام. فإنها جاءت بوليدها تحمله، فاتهمها اليهود بالأمر الفاحش؛ حتى أظهر الله تعالى معجزة تكلم عيسى في مهده؛ تأييداً لمريم عليها السلام، وإلجاءً لأفواه المتهمين لها.

ولم يكن أحدٌ مناسباً أن تُجرى المعجزة المؤيدة لمريم على يديه إلا عيسى الوليد الرضيع؛ فبتكلم راداً التهمة عن أمه، وراداً على النصارى في دعواهم فيما بعدُ ببنوة عيسى لله -تعالى الله عن ذلك -؛ إذ أعلن أنه عبدٌ من عباد الله، وردَّ على اليهود الرافضين لبنوته بإعلانه -وهو في المهد- أنه نبيٌّ صاحبُ شريعة، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.<sup>(١)</sup>

رفض اليهود وبخاصة الفئة الدينية من الكهنة والقساوسة نبوة عيسى، وكذبوه وبهتوه في أمه وتأمروا عليه ليقتلوه.

## ملاحظتان في ولادة المسيح:

١. هل كانت فترة حمل السيدة مريم بالنبي عيسى ﷺ فترةً طبيعية من ناحية عدد أشهر الحمل (ستة أو ثمانية أشهر)؟ أو أنها أمرٌ إعجازي لم يستغرق زماناً طويلاً؟ نجد الاتجاه الأول في كونها طبيعية في تفاسير المسلمين<sup>(٢)</sup> ورواياتهم أيضاً ونقل كذلك أنه في الإنجيل بتوجيه أن الإعجاز يكمن في أصل تكوُّنه من غير أب، بكلمة من الله تعالى؛ ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾،<sup>(٣)</sup> لكن هناك قولاً

(١) مريم: ٣٠.

(٢) الطبرسي: مجمع البيان ٦/١٧٤ قيل: ستة أشهر. وقيل: ثمانية أشهر. وكان ذلك آية، وذلك أنه لم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره.

(٣) مريم: ٢١.

آخر تعضده بعض الروايات عن أهل البيت تقول بأن الفترة أيضًا إعجازية، وهي أنها ساعات بدل التسعة أشهر،<sup>(١)</sup> فالإعجاز في أصل تكونه وفي المدة.

٢. قال بعض الباحثين أنه يُلاحظ أنّ الأناجيل تركت ذكراً عيسى بن مريم بعد ولادته إلى بدء نبوته وهو في حدود الثلاثين سنة، وهذا مثير للغرابة. ويذهب هؤلاء إلى أنّ ذلك الترك والإغفال متعمد؛ ذلك لأنّ تلك الأناجيل المحرفة تمهّد لدعوى بنوة عيسى لله - تعالى الله - فلا يناسب هذه الدعوى عرض سيرة عيسى الذي كان يعمل ويكدح في النجارة وغيرها. فهذه الأناجيل أرادت نفي الحالة البشرية لعيسى كي لا تقع في تعارض بين كونه إلهًا أو قطعة من الإله - بزعمهم - وبين بشريته وحاجاته المعاشية والبيولوجية.

ثم إنه لما بلغ عيسى من العمر ثلاث عشرة سنة - وهو سنّ التكليف عند اليهود - قيل إنه ختم أحكام التوراة وتعرّف عليها، وبدأ يعلمها بأسلوبٍ متميزٍ يجمع بين رشاقة اللفظ ووضوح البيان. وأمر بإظهار رسالته والتبليغ بها وهو في حدود الثلاثين عامًا من عمره؛ وقد أجرى الله تعالى على يديه المعجز المعروفة من إحياء الموتى، وإبراء العمي والبُصر، وأنه ينبئ الناس بما يأكلونه وما يدخرونه في بيوتهم، فطلب من الناس أن يتبعوه باعتباره صاحبَ شريعةٍ سماوية، إلى أن رفعه الله إليه وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

بلغ عيسى بن مريم ﷺ حقائق الشريعة التي أرسل بها؛ رافعاً عنهم بعض

(١) الطبرسي؛ المصدر السابق قال: واختلفوا في مدة حملها، فقيل: ساعة واحدة. قال ابن عباس: لم يكن بين الإنتباز والحمل إلا ساعة واحدة، لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلاً، لأنه قال \* (فحملته فانتبذت به) \* (فأجاءها) \*، والفاء للتعقيب. وقيل: حملت به في ساعة، وصور في ساعة، ووضعته في ساعة، حين زاغت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين، عن مقاتل. وقيل: كانت مدة حملها تسع ساعات وهذا مروى عن أبي عبد الله ﷺ.





التحريمات سواء التي كانت من عنديات الكهنة وإدعاءاتهم، أو تلك التحريمات التي كانت في شريعة موسى ﷺ بشكل مؤقت ولقوم معينين.

يقول تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾<sup>(١)</sup> وتعاضد معه في تلك الفترة النبي الشهيد يحيى بن زكريا ابن خالة عيسى كما سيأتي الحديث عنه فيما بعد.

كثير المتأثرون بعيسى ﷺ في زهده -الذي لم يألفه الناس في الكهنة والقساوسة- وفي أخلاقه وبيانه، وبالتالي كثر أتباعه. لكن ثارت ثائرة اليهود ضده سيما الفئة المترفة المتمصلحة من دولة الرومان المتمثلة في (الصدوقيين) والتي لم تكن تؤمن بشكل واضح بيوم الحساب والمعاد؛ حيث رأَتْ في عيسى بن مريم خطراً سيكشف انحرافهم، لا سيما وقد قيل إنه أخذ يناقشهم ببيان واضح وأدلة قوية في خطأ أفكارهم، وهذا ما أخافهم بأنه سوف يسلبهم الميزات التي اختصوا بها من الدولة الرومانية.

بدأ الصدوقيون ببث التشكيك في نبوة عيسى بين الناس. لكن الكلمة الفصل كانت لتلك المعجزات التي أيده الله بها، والتي تُجرى مراراً أمام مرأى الناس؛ فلم تنجح لغة التشكيك.

فانتهج الصدوقيون أسلوب التحريض. حرّضوا السلطة الرومانية عليه؛ زاعمين أنه يغري بني إسرائيل بالانقلاب على حكومة الرومان عند الفرصة المواتية.

ومن تحريضهم أنهم رتبوا اجتماعاً مع عيسى بن مريم في حضور الحاكم الروماني بقصد التضييق على النبي عيسى في أمر الضرائب والإتاوات التي يأخذها الحاكم الروماني من عامة الناس ظلماً وعدواناً.

(١) آل عمران: ٥٠.

وبحسب اتفاقهم - كما تروي المصادر المسيحية - نهض رجلٌ وبيده عملةٌ من ذهب قد طُبِعَ عليها اسم الحاكم الروماني بحسب المتبع في العملات، وسأل الرجلُ النبيَّ عيسى ما إذا كان يسوغُ له الامتناع عن دفع تلك العملة كضريبةٍ للسلطة الرومانية أم لا.

ومن الواضح أنَّ هذا فخ قد نصبوه له، فإنَّ إجابة المسيح عيسى بالامتناع عن الدفع؛ تُظهر للحاكم الروماني صوابية مناوئيه وأعدائه من أنَّه يحرِّض الناس على عصيان الرومان. ومن جهة أخرى فإنَّ إجابته بجواز دفع الضرائب للرومان؛ ينزع عنه المصدقية عند المعتقدين به والمتابعين له؛ إذ كيف يأمرهم بشيءٍ خارج عن الدين.

هنا كانت إجابته ﷺ: «أعطي ما لقيصرَ لقيصرَ، وأعطي ما لله»<sup>(١)</sup> أي أعطِ قيصرَ المالَ الذي يستحقه ويملكه بالفعل، وعدا ذلك لا تعطه، وأما ما هو الله تعالى ومن حقوقه فلا ينبغي أدائه إلا إلى الخالق.. بالطبع ينبغي البحث في موضع آخر؛ عمَّا إذا يملك قيصر والحاكم وما هي حقوقه؟

استمرَّ تحريض الصدوقيين على النبي عيسى بن مريم ﷺ؛ فارتأت الدولة الرومانية التخلُّص منه.

حضر الجنود الرومان إلى مجلس درس عيسى بن مريم، وساعدهم في تمييزه والقبض عليه «يهوذا الاسخريوطي»<sup>(٢)</sup> وهو رجلٌ اندسَّ بين أتباع عيسى لمصلحة مناوئيه مقابل حِفْنةٍ من المال.

(١) من يتأمل هذه المقولة - إن صح صدورها عن المسيح بن مريم - يلاحظ أنه استعمل الحكمة التامة والتقية في الخروج من الفخ الذي نصب له وفي نفس الوقت لم يخالف معتقداته وأصوله الإيمانية، وبذلك يكون من السابقين إلى استعمال التقية كحال سائر الانبياء والأوصياء، ويستفاد منها أيضًا بأن ما (طار) به بعض المفكرين من أنه تدل على لزوم الفصل بين الدين والدولة وما بنوا عليه من أسس وبناءات لا تصح مع ملاحظة ظروف قول الكلمة وأجوائها واستهدافاتها.

(٢) الشيرازي؛ الشيخ ناصر مكارم: الأمثل ٢ / ٥١٤ وكذلك إنجيل مرقس ٣ / ١٩.

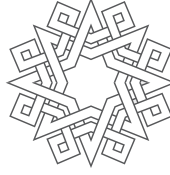


بحسب الفكر والعقيدة المسيحية قيّد المسيح، وكُلف بحمل الصليب والذهاب به إلى مكان الصלב (من العقوبات في ذلك الوقت أن الذي يُحكم عليه بالصليب هو الذي يحمل الصليب من مكانه إلى حيث يُنصب الصليب) ومن ثمّ صُلب. ويعتقد المسيحيون أنه تم دفنه ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من بين الموتى ويسمون هذا التاريخ بعيد القيام.

أما نحن المسلمون فنعتقد بأنّ الله تعالى رفع عيسى ﷺ إلى السماء. أمّا من تمّ صلبه هو ذات الرجل الواشي بعيسى والدالّ عليه «يهوذا الاسخريوطي»؛ حيث جعله الله صورةً طبق الأصل من وجه عيسى بن مريم؛ ليناله النكال الذي كان قد ارتضاه لعيسى. وقيل إن الذي ألقى عليه شبه عيسى شخص آخر!

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.<sup>(١)</sup>





## الإنجيل في المسيحية وعقائدها

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا  
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

تتناول هذه الصفحات الكتب المقدسة لدى المسيحيين كما تتعرض إلى أهم عقائدهم، والغرض من ذلك ذو شقين؛ تحصيل معرفة عامة، تُمكننا من المقارنة بين ما لدى سائر الديانات وبين الحق الثابت الحقيقي بالإتباع المتمثل في الدين الخاتم، الإسلام. والثاني: تحصيل أولادنا المبتعثين منهم أو المولودين في البلاد الأجنبية بإيصال رأي الإسلام المتعلق بقضايا المسيح ﷺ؛ وبيان الاتجاهات الخاطئة في عقائد أهل تلك البلاد، حتى يكونوا في حُرِّزٍ حالٍ تعرضهم للرؤية المغايرة، يُمكنهم من مناقشتها والرد عليها بمنطق ورؤية الإسلام. يؤمن المسيحيون بالعهد القديم (توراة نبي الله موسى والأسفار التي تحتويها) ويعتد العهد القديم القاعدة الأساس

التي لا يستغنى عنها عندهم، وأن الإنجيل<sup>(١)</sup> يتكامل مع العهد القديم<sup>(٢)</sup> هو أشبه بتكملة أو تفصيل في بعض الأحيان. وقد تقدم الحديث عنها في الصفحات الماضية، كما يؤمنون بالعهد الجديد (الإنجيل وما يرتبط به).<sup>(٣)</sup> يتمتع الإنجيل بموقع متميز في آيات القرآن الكريم<sup>(٤)</sup> يشابه موقع التوراة بالنحو الذي مر ذكره في الآيات، فقد ورد أنه كتابٌ فيه هداية ونور<sup>(٥)</sup> وأنه مصدق للتوراة وهدى وموعظة، وهناك

(١) معنى الإنجيل: قال ابن منظور إنه سرياني أو عبراني، وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة؛ بأنه عربي مشتق ممن نجلت الشيء استخرجته كأنه أمر أبرز وأظهر بما فيه. وبناء على كونه سريانيا: فهو بمعنى البشارة.

(٢) القس د. بسام شديد: إجابة على سؤال عن العلاقة بين العهدين: على موقع خدمات الألفية الثالثة؛ <http://arabic.thirdmill.org/answers/answer.asp/file/44490> قرئ بتاريخ ١٤٤١/١١/٦هـ؛ قال «كُلُّ الْكِتَابِ - أي كل أسفار العهد القديم والعهد الجديد اللذين هما كتاب واحد - يعلن فكر الله ومخططه العظيم لخلاص الجنس البشري..» وفي موضع آخر قال: «الكتاب المقدس هو كتاب واحد ويشهد عن تاريخ واحد، يسرد تسلسل قصة واحدة من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. فالوحي المقدس بمجمله يعكس هدفاً واحداً عظيماً وهو فداء الإنسان الخاطيء بواسطة الرب يسوع المسيح. لقد صدق اللاهوتي الكبير أوغسطينوس بقوله: العهد الجديد كامن في العهد القديم، والعهد القديم جلي في العهد الجديد». وهو الموقف الرسمي للكنائس ولذلك عادة يطبع العهدان القديم والجديد في كتاب واحد. وفي خطابات البابا شنودة - مصر - تأكيدات متعددة على هذا المعنى!

(٣) هناك اتجاه جديد بين الدعاة المسيحيين يصر على أن العهد الجديد نسخ العهد القديم وألغاه بالكلية ومن يؤمن به يكون يهودياً وأما من يؤمن بالعهد الجديد فهو مسيحي! وهذا التوجه يبدو أنه متأثر بحالة تبليغية ومحاولات فصل المجموعة المسيحية عن التأثير باليهود وفصلها عن الانتماء إليهم..

(٤) ورد ذكر الإنجيل في القرآن الكريم سبعة عشر مرة مقروناً بالتكريم والتعظيم وفيه إشارات إلى وعود الله وبعض نبوءات المستقبل الصادقة وبياناته المتحققة.

(٥) ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ \* وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة ٤٦ - ٤٧.



إمضاء لحكمه بالنسبة لآتباعه وطلب منهم أن يحكموا بحكمه، وأنه سبب الحياة الدنيوية السعيدة فلو أنهم أقاموا ما فيه لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويذكر ان من جملة نعم الله على عيسى بن مريم أنه علمه التوراة والإنجيل، وأن فيه الكثير من العقائد والبشارات الصحيحة، كالتبشير بالنبي الخاتم<sup>(١)</sup> وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم. لكن السؤال المطروح - مع تعدد الأناجيل - هو: أين الإنجيل الأصيل الذي فيه الهدى والنور؟

ذلك أنه في الفترات الأولى للمسيحية كثرت الأناجيل، حتى أوصلها بعضهم إلى تسعة وخمسين إنجيلاً!؛ مما حدا بعلماء المسيحية الكبار إلى الاجتماع في حدود سنة ثلاث مئة للميلاد؛ مُقررين ارجاع هذا العدد الكبير من الأناجيل أربعة أناجيل تم الاعتراف بها والباقي تبقى ضمن التراث المسيحي ولكن لا يكون لها القداسة التي هي لهذه الأربعة.. ومنشأ هذه المشكلة هي أنه لا يدعي أحد أن أيًا من الأناجيل قد كتب بيد السيد المسيح بل ولا في عهده، وإنما أقربها عهدا به كُتب كما قيل بعد نحو ثلاثة عقود من الزمن من (صلبه كما يقولون أو ارتفاعه إلى الله كما يقول المسلمون).

الأناجيل الأربعة التي تم الاتفاق عليها واستثناء ما عداها هي: إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا. ولقد تسنى لهذا القرار الديني الكنسي الدعم والتأييد السياسي من قِبَل الحكومات المسيحية منذ ذلك التاريخ وإلى أيامنا المعاصرة، ومن المؤسسة الدينية المسيحية.

ولنأخذ لمحةً حول كُتَابِ الأناجيل الأربعة - آنفة الذكر - المعتمدة حوالي سنة ثلاث مئة للميلاد:

(١) ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ الصف: ٦. وكذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ الاعراف: ١٥٧.

## ١. إنجيل متى:

يعتبر متى من تلامذة السيد المسيح عيسى بن مريم ﷺ، وقد كتب الإنجيل المسمّى باسمه بعد ارتفاع المسيح لربه - عند المسلمين - وصلبه كما يقول اليهود والمسيحيون، وهناك اختلاف واسع في السنة التي كتب فيها ما بين أقرب قول بأنها سنة ٣٢ للميلاد وبين أبعد قول بأنها سنة ٩٠ للميلاد!!

ويظهر من نفس الإنجيل تلمذ متى على المسيح واتباعه له وإن كان سابق أمره أنه كان يعمل في جباية الحكم القائم (عشارًا)<sup>(١)</sup> لكن قال له المسيح اتبعني، فاتبعه!<sup>(٢)</sup> وهو أشبه بكتاب سيرة للمسيح فهو يحتوي<sup>(٣)</sup> على شرح عن نسب وولادة وطفولة المسيح عيسى بن مريم، ثم يتحدث عن أعمال يوحنا المعمدان التي تحضر حياة السيد المسيح العلنية ثم عن أعمال المسيح في الجليل.

ويرى بعض الباحثين أن إنجيل متى متأثرٌ كثيرًا بإنجيل مرقص، ومعتمد عليه في ذكر حوادثه وقضاياها.

## ٢. إنجيل مرقص:

يرى بعض العلماء أنه ربما تم تأليفه قبل سنة ٦٠ للميلاد ويتناول بعض معجزات

(١) العشار هو الذي يأخذ العشر من الناس كضريبة، وهو محترق في اليهودية جدا لأنه كان يعمل لحساب الرومان أعدائهم ويجمع الأموال من الناس للرومان الذين كان يحتلون اورشليم والقدس، وكانوا معروفين بأنهم يأخذون أكثر الأموال لأنفسهم ويعيشون على عذابات الناس فكانوا محرومين من المراسم والشعائر اليهودية، وكذلك هم في المسيحية والاسلام. فقد جاءت أحاديث شديدة اللغة ضدّهم مثل: إن لقيتم عشارا فاقتلوه! .

(٢) الرحلة المدرسية / ١٢٥ .

(٣) <https://ar.wikipedia.org/wiki/> مادة إنجيل متى.





المسيح وكراماته، ومقاومة اليهود المعاندين له، وتشكيكهم فيه، كما يتحدث فيه عن يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) وشهادته على يد الطاغية الروماني، إلى صعود المسيح إلى السماء كما قالوا، ويركز على أواخر حياة المسيح الاسبوع الاخير من حياة المسيح. ويحتوي على ١٦ اصحاحا ويعتبر مختصرا من حيث الحجم.

### ٣. إنجيل يوحنا:

وهو أحد تلامذة المسيح وقد يسمى بيوحنا الحبيب (ابن زبدي) فيه ٢١ اصحاحًا، يختلف الباحثون في وقت تأليفه فبينما يرى بعضهم أنه كان بين سنة ٦٥ - ٨٥ للميلاد يرى آخرون أنه بين سنة ٩٠ - ١٢٠، وتعد المقولات الواردة فيه من أشهر المقولات في الثقافة المسيحية، كما يلحظ هؤلاء في هذا الإنجيل الحس المواجه لليهود، والذي يبين بصراحة موقفهم المعادي من المسيح ودورهم في استعداد السلطة الرومانية عليه.. ومواضيعه هي نفس مواضيع الأناجيل الأخرى من ولادة يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) وأيضًا ولادة المسيح ومعاجزه بنحو أكثر تفصيلا إلى نهايته (وموته ثم قيامته من قبره كما يقولون!).

### ٤. إنجيل لوقا:

يعتبر أطول الاناجيل حيث يسرد فيه قضية يوحنا المعمدان وكيف رُزق والده إياه بالمعجزة، وكذلك بداية ولادة السيد المسيح، ومعاجزه وكراماته التي بدت للناس جميعًا وخصوصًا أمام الفريسيين من اليهود الذين كانوا يشككون فيه وفي إيمانه بموسى واليهودية، إلى ما يقولونه من (صلبه ومماته وقيامته من بين الأموات!).

ويلاحظ باحثون أن كاتب هذا الإنجيل غير معروف، فإنه في بداية الإنجيل يبين أنه سيكتب هذه المعلومات إلى من سماه العزيز ثاوفيلس (بمعنى صديق الله) ولا يعلم

هل هذا اسم صحيح لشخص أو هو لمن يجب الهداية، ويقول بعضهم إن نمط كتابته يستهدف غير المؤمنين لإقناعهم بالمسيح وكراماته.. لكن الكاتب له غير معروف!! وقد كُتِبَ باليونانية.

هذه الأناجيل الأربعة، تشير بوضوح إلى أن الإنجيل الذي أنزله الله هدىً ونورًا لا يوجد له أثرٌ الآن، وما هو موجودٌ الآن ما هو إلا كتاباتٌ متأخرةٌ عنه وهي أشبه بالكتابات التي يؤلفها مرافقو الزعماء والساسة، وينقلون الأحداث التي شاهدوها أو سمعوها أو سمعوها عنها!

ولهذا فهي كتب أصحابها ولا يمكن نسبتها للمسيح فلم يسطر منها حرفاً واحداً، فضلاً عن أن تكون (كتاب الله)! ولهذا وجد فيها الكثير من الاختلاف والتضارب والتباين في أصل النقل وفي مداه، فضلاً عن أن بعض ما جاء فيها لا يمكن أن يقبله المؤمن المسيحي فكيف بغيره؟

ويمكن القول إنها عبارة عن قصة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وسيرة حياته منذ ولادته إلى آخر تلك الحياة، وما جرى فيها وحدث له من أحداث، ونقل فيها من كلمات نسبت إليه. وكل انجيل كان يتناول جانباً من تلك القصة، من غير تنسيق بين الكتاب والمؤلفين.

وإذا أراد أحد دراسة ما فيها من الأخطاء فليرجع إلى كتب المرحوم الشيخ البلاغي في هذا الشأن فإنه رحمه الله بعدما درس اللغة العبرية والسريانية وغيرها واطلع على النسخ القديمة من التوراة والإنجيل كتب وهو الفقيه المجتهد والمفسر القرآني الخبير كُتِبَ في نقدها في غاية الدقة، والتفصيل.

ودون ذلك من حيث الحجم ما قام به المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح، فالكتاب وإن كان قليل الصفحات



لكنه كثير الفائدة ويكفي للاطلاع على مواضع الخلل في هذه الأناجيل أن ننقل فهرست كتابه: - فإنه بعدما بيّن شيئاً من منزلة السيد المسيح في القرآن، ومقدار عظمته وتكريمه فيه، أورد أطراف الصورة التي تقدمها القصص المنقولة في الأناجيل المعروفة للسيد المسيح، فإذا بها صورة مقرفة سيئة لا يرتضيها أسوأ الناس عملاً لنفسه بين الخلق فكيف بكلمة الله وروح منه؟ ولأننا لا نريد التفصيل فسكتنفي بما أورده كعناوين رئيسة ومن أراد التفصيل والمصدر الذي نقل منه فبإمكانه الرجوع إلى هذا الكتاب وهو متوفر على شبكة الانترنت، هذا هو فهرس الكتاب عما يقدمه الانجيل من صورة للنبي عيسى بن مريم عليه السلام:

١. يسوع الأناجيل كاذب مفترٍ والكذب من أعظم الخطايا.
٢. يسوع الأناجيل كاذب مغيّّر للناموس مبدّل لأحكام الله وهذا من أكبر الخطايا.
٣. مسيح الأناجيل كاذب محتال، ومخادع، دجّال، وذاك من أكبر الخطايا.
٤. مسيح الأناجيل قاطع الرحم عاق لأمه واخوته مفرّق بين الأقارب.
٥. مسيح الأناجيل مخبط ومخلط، متناقض الأفعال والأقوال.
٦. مسيح الأناجيل ملعون!
٧. يسوع الأناجيل كان يرتكب الجرائم، ويقترب المآثم، ويأخذ أموال الناس ظلماً وعدواناً.
٨. مسيح الأناجيل جبار متكبر مسرف مبذر.
٩. مسيح الأناجيل لا قداسة فيه، ولا كرامة، ولا أمانة.

١٠. مسيح الأناجيل يغازل النسوان، ويجلس في حضنه الغلمان!

١١. يسوع الأناجيل يستعمل الظلم، والعدوان فيدخل الشيطان في الإنسان، وفي الحيوان، بل يدخل الظلم والبوار حتى على الأشجار.<sup>(١)</sup>

وفي شرح سريع لبعض ما ورد في تلك الأناجيل مما لا يتفق مع ما نعرفه من حال الأنبياء نورد القصص التالية منها:

القصة الأولى: - إنَّ عيسى بن مريم كان قد تكلم مع أمه كلاماً عنيفاً وشديداً؛ لأنَّ أمه بعد أن بُعث بالرسالة قالت له شيئاً، أو اقترحت عليه اقتراحاً فنهرها وقال لها اسكتي أنتِ يا امرأة، فسكتت» وهذا يُخالف ما يروونه - وهو حقٌ - من رقةٍ ومحبةٍ السيد المسيح، ودعوته إلى العفو والصفح حتى بالنسبة إلى من اعتدى عليه؛ فكيف يروون عنه صدورَ مثلِ هذا التصرف تجاه أمه العذراء الطاهرة، والتي يعتبرونها الشفيعة؟

القصة الثانية: ورد في بعض تلك الأناجيل أن أول معجزة قام بها عيسى بن مريم، بعد أن أعلن دعوته؛ أن حوّل ماءً في أباريق وأواني إلى خمرٍ؛ إذ كان مدعوّاً لعرسٍ في قانة فطلبوا منه إثبات صحة نبوته بمعجزة؛ ففعل هذا الفعل الخارق! ومعلومٌ أن الأديان مُجمعةٌ ومتفقةٌ على تحريم الخمر لما فيها من ذهاب العقل.

القصة الثالثة: فيها اتهامٌ لنبي الله داوود بالزنا - والعياذ بالله - بامرأة (أوريا)؛ حيث اشتهاها فنكحها، مع أنها ذات زوج كان غائباً لغرض القتال في سبيل الله! ومن العجب اجترأهم على داوود النبي ﷺ، وهم يؤمنون أن مريم العذراء من نسله!

وأمثال ذلك هو كثير في هذه الأناجيل، وليس هذا أمراً مستغرباً؛ لأن هذه

(١) كاشف الغطاء؛ الشيخ محمد حسين: التوضيح في بيان حال الإنجيل والمسيح.



الأناجيل ليست هي الإنجيل الذي جاء من الله - عز وجل -، والذي فيه هدىً ونورٌ؛ وإنما هو تأليف من قبل هؤلاء التلامذة، بالإضافة إلى ما طرأ عليه خلال المدة الزمنية منذ تأليفه وحتى يومنا من تغيير وتبديل.

## بولس الطرسوسي ودوره في المسيحية:

كان ميلاد شاول الذي سيصبح فيما بعد بولس، قبل السنة العاشرة لميلاد المسيح ﷺ، في بلدة طرسوس بأطراف تركيا الجنوبية وقد ولد لعائلة يهودية، فدرس بعد ان انتقل إلى فلسطين، تعاليم اليهودية حتى أصبح من اليهود الفريسيين المتعصبين ليهوديتهم؛ إذ كانوا يتعاملون مع كل مخالف لهم في دينهم أشد المعاملة وأعنفها. فكان بولس المنتمي إلى تلك الفئة المتشددة؛ من أشد الناس على كل من آمن بالمسيح؛ يُذيقهم القتل، ويشي بهم عند حاكم الرومان. حتى قيل إنه شهد عمليات اعدام للمسيحيين على يد الرومان وبتأييد من الكهنة اليهود، بل ترقى في هذا كما قيل حتى كان يتبع المؤمنين بالمسيح خارج اورشليم وفلسطين ليقبض عليهم ويسلمهم للسلطات، وفي هذا الإطار فقد قيل إنه اتجه إلى بلاد الشام -سورية حالياً- للبحث عنهم، فكان تحوله في الطريق إلى المسيحية كما يقال!

قال هو إن الرب تمثل له وأعلن له عن (ابنه).<sup>(١)</sup> وبينما كان في تطرفٍ كبيرٍ لليهودية مقاومًا شرسًا للمسيحية وأتباع المسيح، فقد انتقل بعدها إلى تطرفٍ مقابل، وأصبح ذا حماسٍ ملتهبٍ في نشر المسيحية والتبشير بها؛ يقطع المسافات الطويلة من أجل ذلك الهدف؛ فقد قيل إنه وصل إلى أسبانيا وروما وفرنسا، وزار الشرق الأوسط في نشاطٍ دعويٍّ تبشيريٍّ محموم؛ يحركه التطرف لدينه الجديد الذي كان قبلاً متطرفاً لليهودية ضده.

(١) يرى الباحثون في العقيدة المسيحية - كما سيأتي أنه هو من أدخل فكرة بنوة المسيح لله!

## أثر بولس في عقائد المسيحيين

لما له من كبير الأثر سواء في نشر المسيحية، أو في هيكله عقائدها أو استحداث عقائد جديدة فيها؛ لقب بـ (الرسول)، بل يكاد يعدُّ الباحثون بولس هو المؤسس الحقيقي للكنيسة المسيحية. ومع أنه في الظاهر بعدما اعتنق المسيحية ورجع إلى أورشليم درس على يد بطرس (أحد تلامذة المسيح) إلا أن آثاره وأفكاره تتجاوز بكثير ما تركه استاذة في المسيحية. وبعد جولات تبشيرية قيل إنها وصلت إلى أنطاكية وأطراف تركية والأناضول ثم اليونان فضلاً عن بلاد الشام، وكتابات ورسائل -ستبقى مؤثرة في الفكر المسيحي- حوكم من قبل السلطة الرومانية وأعدم في حوالي سنة ٦٤ للميلاد.

## العقائد التي استحدثتها أو ركزها بولس

### ١. بُنوة عيسى بن مريم لله -تعالى الله عن ذلك:-

لم تكن هذه العقيدة موجودة في المأثورات من الأناجيل، بل إن الإشارات لعيسى فيها على أنه ابن الإنسان، ابن مريم. وضع (بولس) عقيدة الابن (أن عيسى ابن الله)؛ كي يضيف زخماً غيبياً لاهوتياً؛ منطلقاً من أن عيسى تكوّن بكلمة الله؛ فهو جزء من الله وبالتالي هو ابن الله! أشار (بولس) إلى عقيدة بنوة عيسى لله في رسائله التبشيرية الكثيرة إلى المناطق المختلفة. ولقد اكتسبت تلك الرسائل صفة الوثائق للمسيحية وأصبحت جزءاً من تراثها العقدي.

### ٢. عقيدة الخطيئة والخلص:

وهي أول وأهم عقيدة عند المسيحيين وبها يفتحون البلاد. ومؤداها أن خطيئة آدم في الجنة -بزعمهم- انسحبت على جميع ولده؛ فكلّ البشر دون استثناء خاطئون



مذنبون بخطيئة أبيهم آدم! ولما كان الله يحب خلقه، ويريد رحمتهم أنزل ابنه (عيسى) من السماء إلى الأرض؛ كي يتحمل آلام الصلب والتنكيل والتعذيب؛ فتكون آلامه وعذاباته فداءً لخطيئة البشر!، وخلاصاً لهم من عذاب يوم القيامة، وتكفيراً لخطيئة أبي البشر آدم. لقد نالت هذه العقيدة رواجاً منقطع النظير؛ لأنها تلامس العواطف، وتزيل عن كاهل اللاهين والمنغمسين في الذنوب والخطايا -تزيل عنهم- التبعات بمجرد إعلان حبهم للمسيح!.

ولو أراد إنسان أن يلاحظ بعض الملاحظات العابرة على هذه العقيدة لقال:

أولاً: إن أصل قضية آدم أنه أخطأ مردودٌ عندنا في الإسلام؛ سيما عند مذهب الإمامية. وغاية ما في الأمر أنه ترك الأولى فقط. وقد أجاب علماء الإمامية على الاسئلة المثارة في هذه القضية في مؤلفات متعددة، منها كتاب تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى علم الهدى -أعلى الله مقامه-.

ثانياً: إن هذه العقيدة لا تصمدُ أمام قضية (الكسب والجزاء) الثابتة لدى الديانات السماوية جميعها؛ والمنسجمة مع الأحكام العقلية. فكيف لنا أن نتصور مؤاخذه الله لخلقهم جميعهم لسبب خطيئة أبيهم الأول - كما يزعمون في شأن الخطيئة؟

ثالثاً: هل ضاقت السبل على الله الرحيم القدير؛ بأن يجد طريقة لخلاص البشر من خطيئة أبيهم الأول -بحسب الزعم-؛ حتى يُنزل ابنه -بزعمهم- كي يُصلب ويتألم؟

لا تصمدُ هذه العقيدة أمام النقاش الموضوعي الهادف. بيد أن التمسك بها ممزوجٌ بالتعصب الديني حيناً والمصلحة الفردية آخر فإن كثيراً من الخاطئين المذنبين بل المتهتكين يجبون أن تمحي خطاياهم لمجرد محبتهم المسيح، وإيمانهم بصلبه وتفاعلهم معه!

### ٣. عقيدة التثليث:

بذرةً بذرها (بولس) عبر رسائله الثلاث عشرة. تمّ تطويرها بعد ذلك وشرحها ونشرها. من فرق المسيحيين من يقول بالتثليث، ومنهم من يقول: بل المسيح هو الله - تعالى الله عما يقولون-<sup>(١)</sup> ولعل القسم الأكبر يقولون بالتثليث. وقد نشأت حروبٌ وصراعاتٌ شديدةٌ بين المسيحيين، ودُمرتُ مدنٌ؛ نتيجة الاختلاف بين فرقهم وتشظيهم بين كون المسيح ابنَ الله وثالثٌ ثلاثة، وبين كونه هو الله. عقيدةُ التثليث -كتأليه المسيح- لا تصمد أمام النقاش؛ فهم في الأصل يقولون: إنهم يعبدون إلهًا واحدًا. ثم يقولون إنَّ هناك ثلاث قوى: الأب الذي يفترض أنه الله، والابن الذي هو عيسى، والملاك الذي نفخ في مريم (روح القدس). يعبرون عنهم بالأقانيم الثلاثة؛ والأقنوم يعني «المتشخص» يعني أن كل واحدٍ متميزٌ ومتشخصٌ. كيف يمكنُ الجمعُ بين كون كل واحدٍ من هذه الأقانيم شاخصًا بنفسه، وبين قبول دعوى الإيمان بالله الواحد؟ يقول أتباع الكنائس المسيحية: نؤمن بالإله الواحد؛ والواحد يساوي ثلاثة!

نتساءل هل الأقانيم الثلاثة متميزة بعضها عن البعض؟ إن كانت الإجابة بالإيجاب؛ سيكون كل أقنوم إلهًا. وإن كانت بالسلب؛ أي أن الثلاثة ممتزجة ومخلوطة ومتركة بعضها من البعض؛ فإن الناتج من تركيبهم يحتاج إلى أجزاء الثلاثة ليبقى مؤثرًا؛ بينما المؤثر الوحيد في الكون الله الواحد الذي لا شريك له.

(١) وقد أشار القرآن إلى الفئات المختلفة في آيات منها قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ \* لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* المائدة: ٧٢-٧٣.





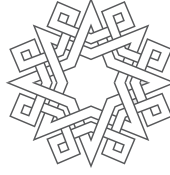
والحقيقة... أن بعض كبار علماء المسيحيين، قالوا: «نحن لا نستطيع أن نفهم عقيدة التثليث إلا في يوم القيامة؛ لأنها غير مفهومة أصلاً؛ فإما القول بثلاثة منفصلين متشخصين، أو القول بواحد».

ما سبق وغيره كان إما بتأسيس أو بتأكيد وتركيز بولس الطرسوسي، ولذلك فإن العلماء الذين كتبوا في العقائد المقارنة، وبينوا وجوه الخطأ في العقيدة المسيحية قد تناولوا دور بولس بانتقاد شديد، وضمن هذا نفهم كلمات المرحوم كاشف الغطاء الشديدة وهو يتحدث عن دور بولس وأعماله فقد قال: «دخل هذا اليهودي في شريعة المسيح وهي في أضعف مبادي ترعرعها ما استحكمت أصولها ولا انتظمت فروعها، فتلاعب (بولس) فيها وفي الشريعة اليهودية ما شاء وشاءت له الأهواء، أما اليهودية فسحق بل محق جميع أحكامها وجعل دين الله من وجهة الأحكام ونواميس التروك والأفعال، إباحة مطلقة، وهكذا جعل دين النصرانية في فروعها، وأما أصوله فافسدها بتعليم الثالث وان الواحد ثلاثة، الأمر البديهي الاستحالة، ويدلك على ما نقول، ما تجده في رسائله لو تدبرتها من توهين التوراة واحتقارها والنظر إليها من طرف خفي بعين الازدراء، ففي الاصحاح السابع من رسالة العبرانيين عدد (١٨) ما نصه: فانه يصير إبطال الوصية السابقة (أي التوراة) من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذاً الناموس لم يكمل شيئاً، وفي السابع من الثامن: فانه لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع الثاني، ويقول للغلاطيين في ردعهم عن العمل بالتوراة: كيف ترجعون إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون ان تستعبدوا لها من جديد أتخفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين أخاف عليكم أن أكون تعبت فيكم عبثاً».

وأضاف كاشف الغطاء في موضع آخر «وقد أكثر من هذه الهرتقة بل الزندقة الماحقة للأديان فقال في عدد (١٦) من تلك الرسالة اصحاح ٢: (لا يحكم عليكم أحد في أكل ولا شرب أو من جهة عيد أو سبت أو هلال). أقول: هذا غاية في الإلحاد

ومحق كل الشرايع وكلية الأديان فلا صوم ولا صلاة ولا نواميس ولا تقاديس ولقد أبدى ملحوظاته السخيفة، وزندقته الطريفة بقوله في الاصحاح العاشر من رسالة (كورنتوش الأولى) عدد ٢٩: لماذا يحكم في حريتي من ضمير آخر انا اتناول بشكر فلماذا يفترى عليّ لأجل ما اشكر عليه.. ويستبين لك من هذه الفقرات وأمثالها في رسائله المشهورة المعدودة من ملحقات الأناجيل أن ذلك اليهودي أراد أن يجعل الديانة روحية محضة بعد أن كانت اليهودية جسمانية بحثة فوجد في النصرانية مجالاً عريضاً لتوسيع تلك الفكرة، فانتحلها، وفي الحقيقة أفسدها وأبطلها..»<sup>(١)</sup>

(١) كاشف الغطاء؛ مصدر سابق ص ٦٩ و٧٠.



## الفرق المسيحية والموقف الإسلامي منها

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

تتحدث الآيات المباركة عن كلمة السواء والنقطة أو النقاط المشتركة التي يمكن الاتفاق عليها بين المسلمين وبين أهل الكتاب فتقول «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ».

هناك نقاط مشتركة بين أتباع الديانات السماوية الذين يرجعون إلى الأنبياء المعروفين؛ فينبغي أن يكون هذا منشأ لتوافق اجتماعي وتعاون على جملة من الأمور التي يتفق عليها هؤلاء؛ وهذه دعوة بالفعل الآن ينبغي أن تكون محط الأنظار عند أرباب الديانات.

ومن القضايا المشتركة التي يمكن أن تشكل أرضية للتعاون بين قادة وأتباع الديانات:

---

(١) آل عمران: ٦٤.

## مواجهة الإلحاد العالمي

حالة الإلحاد (اللا إيمان أو اللا دين) بمختلف أشكاله. وبالرغم من أنه لا يشكل نسبة كبيرةً على مستوى البشرية، بالرغم من الكثير من الدعاية له، وتبني بعض التوجهات السياسية بل الحكومات إياه، ولكن هذا المقدار أيضًا لو تعاون أرباب الديانات في مواجهته؛ بإيضاح الحقائق ونشر الإيمان الصحيح؛ لتراجعت هذه النسبة التي قدرت من قبل بعض الإحصائيات بـ ١٦ بالمئة من سكان العالم -مع أن بعضهم يشكك في هذا الرقم- ولكن بأي نسبة كان لا ريب أن مواجهة الإلحاد والدعوة إلى الإيمان بالله ﷻ هو من الأمور المشتركة التي يفترض أنها تهم الإنسان المسلم وتهم اليهودي كما تهم المسيحي فهي نقطة مشتركة.

## الموضوع الأخلاقي

■ قضية التهتك الأخلاقي على المستوى الفردي للبشر، بل وانهيار العلاقات العائلية والأسرية بحيث يخشى أن تتحطم الأسرة بين البشر، تُعدُّ من القضايا المقلقة لكل ذي فطرة سليمة؛ ناهيك عمّن كان له انتماءً إلى دين سماوي.

لذا فإنّ الدعوة إلى الإلتزام الأخلاقي هو مما يحرص عليه المسلم واليهودي والمسيحي في ديانته، كل بحسب توجيهه؛ فتشترك الديانات الثلاث في ضرورة صيانة العائلة والأسرة والحرص على عدم التفتت الاجتماعي.

العلاقات الصحيحة المؤطرة بالدين تؤدي إلى تقليل الحالات الجنسية خارج إطار العلاقة الزوجية. وهذا من الأمور التي ينبغي أن تكون مهمة لدى أرباب هذه الديانات ولدى أتباعها ومن الممكن أن تشكل محور تعاونٍ بين هؤلاء.

■ صيانة العالم من المخدرات وما يدخل في حكمها مما يرتبط بتغييب العقل



وتحطيم البناء الداخلي للإنسان؛ هذا من الأمور المشتركة. فالتوجيه ناحية الابتعاد عن مثل هذه المواد الضارة مقبولٌ من كلِّ أحدٍ مهما كان انتماءه الديني.

### ■ صناعة السّلام والوقوف ضد مسببات الحروب

صنع السلم الأهلي في المجتمعات الخليطة وتجنّب التحريض ضد المختلف فكرياً أو دينياً أو...؛ تُجمع عليها الديانات السماوية؛ فينبغي ألا تكون الأقليات مضطهدة نتيجة التحريض الديني أو خلافه.

وينبغي أن يكون معلوماً للقارئ والقارئة الكريمين أن الدعوة للاتفاق على المشتركات بين أتباع الديانات؛ لا تعني أن يؤمن كلُّ طرفٍ بدين الطرف الآخر. كما لا يعني ذلك الامتناع عن النقاش العلمي والهادف المعتمد على الدليل بين أتباع الديانات، فلا يقال كيف تدعون للمشتركات وأنتم تنتقدون عقائد الآخرين، إنه لا منافاة بين الأمرين. نعم ينبغي الابتعاد عن التجريح والتحريض على الآخرين! أما انتقاد الأفكار وتخطئة ما يعتقد الإنسان بخطئه منها فلا مشكلة في ذلك.

ومن ذلك ما تحدثنا عنه في صفحات سابقة من تخطئة بعض الآراء في الفكرة المسيحية أو اليهودية، فإننا وإن كنا ندعو إلى جهد مشترك في مقاومة الاحاد وهو حق إلا أن ذلك لا يلزمنا بأن نؤمن بكل ما لدى المسيحيين أو اليهود في عقائدهم.

### وأما الكلام عن الفرق والفئات المسيحية والموقف منها، فنقول:

بشكل عام يقدر تعداد المسيحيين في العالم على اختلاف طوائفهم -حسب إحصاءاتهم- مليارين ونصف المليار من البشر. وهذه الإحصاءات -وأمثالها- تتأثر بعوامل مختلفة في الزيادة والنقيصة، لذلك لا يمكننا الوثوق بها؛ فإنها قد تتأثر باتجاه وميول من يُصدرها من مراكز إحصائية أو وسائل اعلامية؛ خاصة إذا كان ممن يربط

-واهمًا- الحقّ بكثرة الأتباع. وعلى كلّ حال؛ فالفرق المسيحية والكنائس التابعة لها كثيرةٌ؛ وأبرزها ثلاث:

- الفرقة الأولى: الكاثوليك
- والفرقة الثالثة: البروتستانت
- والفرقة الثالثة: الأرثوذكس كل فرقة من الفرق الثلاث الرئيسة المشار إليها؛ لها تفرعات وكنائس متعددة وطرق مختلفة.

## الكاثوليك

يُقدِّرون -حسب إحصاءاتهم- بمليار ومئتي مليون. وتعدُّ الكاثوليكية الاتجاه التقليدي الكلاسيكي في المسيحية. ويعتبرون أنفسهم الممثلين الحقيقيين للمسيحية.

لديهم قيادةً مركزيةً للعالم المسيحي معروفة في الفاتيكان (مركز القيادة الدينية للمسيحيين وخاصةً الكاثوليك، تقع في قلب العاصمة الإيطالية روما، وتتمتع بحكم ذاتي لضمان استقلال قراراتها الدينية عن التأثير الحكومي الإيطالي، ولها جميع مقومات الدولة، وتضم التراث المسيحي من مخطوطات وأصول الكتب القديمة وفيها مراكز تعلم دينية).

العقائد التي يؤمن بها المسيحيون من التثليث، والتوسُّط أو الشفاعة ومختلف قضايا الإنجيل وما جاء فيه؛ منبع وجودها عند الاتجاه المسيحي الكاثوليكي.

وينفرد الكاثوليك عن بقية الطوائف المسيحية باعتقاداتٍ معينة من قبيل: قضية الفداء والخطيئة والغفران، واعتقاد العصمة للبابا عندما يكون على كرسي الكاتدرائية؛ فهو معصومٌ مسدّد من روح القدس لأنه خليفة بولس الرسول، والذي هو خليفة



المسيح؛ فلا بد من أن يكون معصومًا في قراراته وسائر كلامه.

## البروتستانت

المعنى اللغوي لبروتستانت هو محتجٌ ومعارض.

النشأة: نشأت في القرن السادس عشر الميلادي؛ قبل خمسة قرون من الزمان. كانت الكاثوليكية بمثابة الوريث الوحيد لتراث المسيحية. وعندما آمن الرومان بها بعد القرن الأول؛ احتضنت الدولة الرومانية المسيحية وحمتها ونشرتها ودافعت عنها.

وُجد راهبٌ ألماني كاثوليكي هو (مارتن لوتر)، وزار بعد ترقيه في درجات الرهبنة مركزَ المسيحية (الفاتيكان)؛ حاملاً في ذهنه صورةً مثالية عن الوضع الديني والأخلاقي لرجال الدين ولسائر القضايا المتصلة بالشأن الديني المسيحي؛ لكنه سرعان ما اكتشف صورةً مغايرة لما كان مستقراً في ذهنه؛ فأعلن احتجاجه وتمردّه على جملةٍ من القضايا منها:

١. صكوك الغفران: وهي أن يلزم على المذنب الاعتراف أمام الكاهن بذنوبه كي يتحصّل على الغفران من قبل الكاهن! وذلك بالطبع لقاء مبلغٍ مالي يتكلفه المعترف / المذنب.

وكان المستفيد مالياً ووجاهياً من هذا المسلك الرهبان أنفسهم والطبقة السياسية. فبدأت من هنا ثورته الفكرية ومعارضته للكنيسة الكاثوليكية؛ إذ اعتبر صكوك الغفران مجرد هرطقةٍ وخروجٍ عن تعاليم ودين المسيح الصحيح.

٢. عصمة البابا: طرح تساؤلاتٍ عدة في هذا المجال. متى تآتت للبابا العصمة بعد أن كان غير معصوم؟ ماهي علاماتُ عصمة البابا؟ ما هو الأصل والخبر

### المقدّس الذي استقيت منه عصمة البابا؟

٣. القداسة: يُطوّب<sup>(١)</sup> فلانٌ بمناسبة خدماته للكنيسة، أو باعتبار علوِّ إيمانه، أو تأثر الناس به؛ فيعلن أنه قديس من القديسين. أعلن مارتن لوثر معارضته للإلباس القداسة من قبل الكنيسة لأيّ أحد؛ وذلك باعتبار أنّ الإنسان ذو العمل الصالح سيكون مقرباً من الله دون حاجته لإعلان الكنيسة أو غيرها.

٤. حرمان الرهبان من الزواج: كان (مارتن لوثر) قد تساءل عن أصل التحريم؛ خاصةً وأنّ أنبياء الله تعالى كانت لديهم الزوجات والأولاد؛ ومنهم نبيُّ الله موسى ﷺ والذي يُعدّ أساس اليهودية والمسيحية؛ وقبله ابراهيم، وأبناؤه الأنبياء فلماذا نحن الرهبان تلامذة أولئك الأنبياء لا نتزوج؟! لهذا رفض البروتستانت حرمان الكهنة والرهبان من الزواج وأصرّوا على أن حالهم هو حال سائر الناس في حقهم الزواج وتشكيل الأسرة.

إلا أن حرمان القساوسة والكهنة من الزواج لا يزال مستمرّاً في الكنيسة الكاثوليكية. ولما يؤدي إليه من كبت جنسيّ؛ تعدّدت حالات الاعتداء الجنسي على القاصرين داخل الكنائس فباتت مشكلةً حقيقةً طفّت إلى السطح وسببت حرجاً لبابا الفاتيكان نفسه؛<sup>(٢)</sup> مما اضطره للإعلان عن محاكمة عددٍ من الرهبان الذين تورطوا في

(١) التطويب - كما جاء في بعض المصادر على الانترنت - المرحلة الثالثة من الخطوات الأربع لعملية تقديس شخص متوفى، يتم اختياره من قبل البابا باسم الكنيسة الكاثوليكية. في العادة يتم الاحتفال بالتطويب في المنطقة التي طلبت تقديس الشخص المتوفى. ويطوب الكاهن عندما يحقق معجزة معينة.

(٢) في تقرير لقناة الجزيرة بتاريخ -<https://www.aljazeera.net/news/reportsandinter-views/2018/9/4/> بعنوان بالأرقام-والدول-فضائح-التحرش..» تجدد الجدل القديم حول تورط الكنيسة الكاثوليكية في الاعتداء الجنسي على الأطفال، وذلك بعد فضيحة طالت لمجموعة الرهبان في ولاية بنسلفانيا الأميركية، وهي اتهامهم بالتحرش الجنسي بنحو ١٠٠٠ طفل. ووفق





## قضايا جنسية.

٥. اللغة المستعملة في أداء الصلوات: كانت لغة الصلوات والدعاء في السابق مقتصرةً على اللغة اللاتينية. وبالتالي يحدث أن يقرأ المسيحي غير الناطق باللاتينية الصلاة -ربما- دون أن يفهم معاني المفردات. من هنا طالب مارتن لوثر أن تكون لغة الصلاة غير محدّدة، بل يُتأخّر لكلّ مسيحيٍّ أن يؤدي صلاته بلغته.

٦. وكذلك اتاحة المجال لعامة الناس للاطلاع على الكتاب المقدس لكل أحد، كما له الحق بفهمه دون الاعتماد في ذلك على فهم بابوات الكنيسة.

احتجاجات (مارتن لوثر) كان لها صدئٌ واجتمع حوله المؤيدون بالتدريج. وكانت نقطة البداية هي موطنه ألمانيا. أمّا مؤيدوه فتفاوتت بواعث التأييد لديهم بين الايمان بضرورة إصلاح الخلل والتغيير وبين التأييد لمصلحة شخصية (كأن يكون

---

تحقيقات المدعي العام في بنسلفانيا فإن كبار الرهبان المسؤولين في كنائس الولاية والفاتيكان تستروا بشكل ممنهج على حالات التحرش الجنسي الواقعة بحق الأطفال.

وتعاني المجتمعات الكاثوليكية منذ عقود من اتهامات بأنها تمثل عشرات الآلاف من الأطفال في مناطق واسعة من العالم، من تشيلي في القارة اللاتينية الجنوبية حتى أستراليا في أقصى الشرق. وكان السفير السابق للفاتيكان في واشنطن وكبير العلماء كارلو ماريا فيغانو قد دعا البابا فرانشيسكو للاستقالة جراء تستره على حالات التحرش الجنسي بالأطفال.

وأعلن البابا العام الماضي عن متابعة الفاتيكان نحو ٢٠٠٠ قضية تحرش جنسي بالأطفال، مشيراً في الوقت نفسه إلى أن هذه القضايا تسير بشكل بطيء.

ثم أورد التقرير بشكل تفصيلي الدول التي تورط فيها الرهبان والقساوسة في الاعتداء الجنسي على الأطفال؟؟ وأوردت لجنة تحقيق في أستراليا أنها قابلت أكثر من ٨٠٠٠ ضحية، فضلاً عن تلقيها اتصالات من ٤٢ ألف شخص في السنوات الخمس!!

مثلاً المؤيد راهباً أو راهبةً ويرغب في الزواج) وبين مصلحةٍ سياسية أو قومية؛ باعتبار الألمان رأوا في هذه الحركة الاحتجاجية فرصةً لئبنا لهم ثقلاً قومياً ودينياً.

كانت ردة فعل الكنيسة الكاثوليكية في حينه ضد حركة الاحتجاج البروتستانتية قويةً؛ تمثلت في إصدار قرارٍ بحرمان (مارتن لوتر) عن تمثيلها بأيّ صفةٍ دينية واعتبرته مهرطقاً خارجاً عن المسيحية.

أيّاً يكن الأمر.. فقد نمت الكنيسة البروتستانتية، وصار لها آراء ميّزتها باتجاهٍ وثقافةٍ معينة بدأت تعمّ مناطق واسعةٍ من أوروبا - وبحسب إحصائياتهم - بلغ اليوم عدد البروتستانت قريباً من ثمان مئة مليون شخص في الكرة الأرضية.

## الأرثوذكس

فئةٌ قليلة العدد على مستوى العالم. ثقّلها الأكبر الآن في روسيا؛ فهي مدعومة بشكلٍ قويٍّ من قبل الحكم الروسي، ولها تأثير ودورٌ مهم. ولا بدّ أن يكون لهذا الدعم - إلى جانب البعد الديني - بُعداً سياسياً يهدف إلى مقابلة الاستفادة في الغرب من الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية.

وأتباع الكنيسة الأرثوذكسية يرفضون المنهج البروتستانتية، ويُقصون العقل عند قراءتهم للنصوص الدينية، بل إنّ فهمهم للنصوص يجب أن يكون من خلال أرباب الكنيسة الذين يجب أن يُطاعوا ويُوافقوا على فهمهم دون مناقشةٍ أو تبصّر.

## المسيحيون دعاة سلام؟!!

كثيراً ما يتمّ إظهار الدين المسيحي بأنه دينُ المحبة والسلام والتسامح. وفي المقابل يتمّ إظهار الدين الإسلامي - من قبل بعض المسيحيين المبشرين بدينهم - على أنه دين



البطش والاعتداء والتشدد. وربما مرّ هذا الإشكال على بعض أبنائنا المسلمين ممن يذهبون للدراسة في الخارج. ولدفع الإشكال نقول:

أولاً: إنّ الأديان السماوية كلها تدعو في الأصل إلى المحبة والسلام والتسامح مع جميع البشر المسلمين سواء كانوا ضمن بوتقة دينٍ واحد أو كانوا منتمين لأديانٍ شتى؛ ويجب على الأتباع الحقيقيين لهذه الأديان تمثّل تلك التعاليم في واقعهم وسلوكهم.

المشكلة تكمن في أدعياء الإتياع؛ الذين يكون انتهاؤهم لدينهم صورياً ولا يتمثّل -ذلك الانتماء- في التزامهم بتعاليم وأحكام وتوجيهات ذلك الدين.

فلا ذنب للأديان؛ إنّما اللوم والذنبُ على من قتل وشرّد وفتك باسم الدين كذباً وافتراءً وعدواناً. وكلّ اعتداءٍ وإرهابٍ مرفوضٌ ومدانٌ بغض النظر عن الانتماء الديني للمعتدي.

ثانياً: النصوص الموجودة في المسيحية والتي تدعو للتسامح وتظهر لأبنائنا المغتربين؛ يقابلها نصوصٌ إسلامية كثيرةٌ تدعو إلى السلم والصفح والمسامحة.

فديننا يدعو إلى التعاون بين أتباع الديانات في المشتركات، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾. هذا مع أنه لا يتغافل عن حقيقة أن هناك مستويات من العداوة والبغضاء لدى فئات دينية تجاه دين الإسلام وأتباعه! ويقرر أن في أتباع الديانات الأخر أصحاب مودة ومحبة!

فيقول -جلّ شأنه-: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ \* وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ

تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴿١﴾ وفي الآية الكريمة مدحٌ للنصارى أو للرهبان منهم؛ لكنه مدحٌ مشروط بعدم الاستكبار على عباد الله. وبانتفاء العلة (التواضع) ينتفي المعلول (المدح كونهم أقرب في مودتهم للمؤمنين).

ثالثاً: تاريخُ المسيحيين - كفعلٍ للأتباع لا كعقيدة أصلية الهية - تاريخٌ بعيدٌ كلُّ البعد عن السلام والمحبة والتسامح؛ سواءً في العلاقات البينية لكنائسهم أو في علاقاتهم بأتباع الديانات الأخرى. ومن ذلك:

#### ■ الحروب الصليبية التي سَعَرُوها مستهدفين العالم الإسلامي:

بدأت حوالي سنة ألف وخمسٍ وتسعين للميلاد وانتهت بعد مائتي سنة تقريباً على شكلٍ معاركٍ منفصلةٍ زمنياً لكنها متحدةٌ في الباعث والغاية. وهي عبارة عن تسع حملاتٍ عسكريةٍ ضخمةٍ، بين كل حملةٍ وأخرى مددٌ مختلفٌ من الزمان. وحصدت الأرواح من الطرفين المهاجم والمهاجم وخربت الزروع وهدمت البلدان في أشع صورةٍ للتوحش وفقدان أدنى مقومات الإنسانية.

#### ■ الحروب المسيحية البينية: والفتك المتبادل بين الكاثوليك والبروتستانت تبعاً لنفوذ وقوة طائفةٍ على الطائفة الأخرى.

■ ففي سنة ١٥٢٦م يعني بعد ظهور بذرة البروتستانت بحوالي عشرين سنة تقريباً؛ تعاظم نفوذهم في ألمانيا وصاروا فئةٍ قويةٍ فقام عشرون ألفاً من الجنود الألمان يعينهم الأسبان البروتستانت وهجموا على روما مركز المسيحية وقصدوا الفاتيكان ودمروا المكان تدميراً.

قتلوا الرهبان، وأحرقوا الكتب وطمسوا الرسومات الدينية الكاثوليكية. وبلغ



عدد القتلى ما يقارب خمسين ألف مسيحيّ.

■ في فرنسا حيث الأكثرية لصالح الكاثوليك قاموا بالانتقام عبر حملاتٍ استهدفتُ البروتستانت استمرت أربعين سنةً؛ أدت إلى قتل وتشريد وتهجير أكثر البروتستانت من فرنسا.

■ حرب الثلاثين سنة: انطلقت شرارتها الأولى في ألمانيا لسبب منع البروتستانت لوكبٍ دينيٍّ كاثوليكي من المرور في احتفال عيدٍ من أعياد الكاثوليك.

بعدها تحزّبت البلدان الأوروبية كلُّ إلى الكنيسة التي يتبعها ذلك البلد؛ فتكت ألمانيا بالكاثوليك من مواطنيها، وفرنسا بالمقابل فتكت بالبروتستانت من مواطنيها، وهكذا في بقية الدول الأوروبية؛ الطائفة الأقوى أو ذات السند الرسمي الحكومي تفتك بالأخرى الضعيفة. وهذه الحرب أصدق دليل على التعصّب والميل نحو التوحّش؛ بحيث يقتل المسيحي مسيحياً مثله يلتقي معه في أسس الديانة المسيحية -بحسب معتقدهم- من تثليث، وعقيدة الصلب وخلافه.

نخلص إلى أنّ الإرهاب والتعصّب والتوحّش لا يعضده دينٌ إلهيٌّ ولا يشرعه نبيٌّ مرسلٌ؛ وإذا حدث هنا أو هناك فإنما هو على أثر حصول تحريف في ذلك الدين وتغيير لمناهجه، أو أن تلك المناهج بقيت على حالها ولكن ابتعد معتقوها عن الالتزام بقوانين الدين الأخلاقية والشرعية فهاجموا غيرهم وارتكبوا منهم القبيح.. وهذا حصل بين اليهود والمسيحيين، وبين المسيحيين أنفسهم وبين المسلمين والمسيحيين، وبين المسلمين أنفسهم!

## الموقف من المسيحية

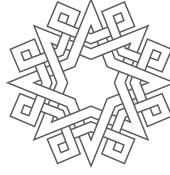
■ طهارة المسيحي: الرأى المشهور هو الحكم بطهارة أهل الكتاب؛ والمسيحيون

بالطبع من أهل الكتاب.

■ الزواج: يعني زواج المسلمة من الكتابي؛ اليهودي أو النصراني غير جائز بإجماع علماء الإمامية، بل بإجماع المسلمين وأما عكس ذلك بمعنى زواج المسلم من كتابية (يهودية، نصرانية) فهو جائز عند المسلمين، مع كلام بين علماء الإمامية في أن جواز زواج المسلم من كتابية هل هو محصورٌ بالزواج المنقطع كما هو المشهور بينهم، أم يتعداه إلى الدائم أيضًا. وقد مر الحديث عنه في صفحات سابقة بمناسبة الحديث عن التناكح مع اليهود.

■ حلية طعامهم: عند مدرسة الخلفاء تشمل الحلية جميع أنواع الطعام المباح في الأصل بما في ذلك لحم الحيوان حلال اللحم وإن كان المباشر لعملية الذبح مسيحيًا.

في مدرسة أهل البيت طعام المسيحيين حلالٌ باستثناء ما توصل إليه بالذبح؛ ذلك لوجود اشتراطات في عملية الذبح تتمثل في أن يكون الذابح مسلمًا وأن يسمي على الذبيحة وأن يستقبلها القبلة وأن يفري الأوداج الأربعة. وهذه الشروط قد تكون غير موجودة بكاملها أو بعضها في ذبح المسيحي والنتيجة عدم تذكية هذه الذبيحة.



## سيد المرسلين محمد المصطفى ومرآة حياته المباركة

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾. (١)

في البداية لا بد أن يعترف الكاتب بالعجز عن الإحاطة بحياة النبي محمد ﷺ المليئة بالمناقب والفضائل، لجهة أن عمره الشريف كما هو المشهور بلغ ٦٣ سنة عندما توفي، فكيف استوعبت هذه المدة الزمنية القصيرة بقياس السنين كل تلك الفضائل التي كان عليها سائر الأنبياء والمرسلون، فقد:

جمع الله فيه جامعة الرسل وآتاه فوق ما آتاها

إن عمر آدم ﷺ تجاوز تسعمائة سنة كما عليه المؤرخون، ونوح كذلك أو أكثر بكثير كما مر علينا في صفحات سبقت وادريس تجاوز عمره ثلاثة قرون، وهكذا.. وطوت هذه السنوات الستون التي عاشها صلوات الله عليه وآله كل تلك القرون وما احتوت

---

(١) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

عليه من الفضائل والمناقب، فكان لديه ما لديهم وفاقهم فيما لديهم وكان عنده ما ليس عندهم!!

كيف يمكن لإنسان أن يتصور هذا المقدار من الكمال ولا يقف حائرًا!

فاقهم وتجاوزهم وسادهم، وتعنون بعنوان إمام المرسلين، وسيد النبيين وهو لم يبق في هذه الدنيا إلا بمقدار واحد من عشرين من المدة التي بقيها بعضهم!

ولذلك فمن الخير لمن يتصدى لترجمة حياة النبي المصطفى أن يعلن عجز يده وكلاله حده من البداية، فهو خير له، وإلا كيف يُغرف البحر المحيط براحة الكف؟ وهذا عذر أمثالي أقدمه سلفاً وأعلنه نقدًا. وحالي يقول: لا يترك المسور بالمعسور، وما لا يدرك كله لا يترك بعضه!

### سيرة ومراحل زمنية

تتعدد الطرق في بحث سيرة رسول الله ﷺ وسنختار الطريقة الزمنية التي تُقسم الحياة إلى مراحل زمنية تاريخية فهي أبقى في الذهن وأقرب إلى الاستيعاب. وسنقسم حياة الرسول ﷺ إلى ثلاث مراحل زمنية.

الأولى: من ولادته المباركة سنة ٥٣ قبل الهجرة إلى أيام بعثته بالرسالة وعمره الشريف ٤٠ سنة.

الثانية: من بداية بعثته الشريفة سنة ١٣ قبل الهجرة إلى سنة الهجرة

والثالثة: من الهجرة إلى لقاء الله في السنة ١١ من الهجرة





## من الولادة للبعثة:

ولد النبي محمد ﷺ بحسب التقويم الميلادي سنة ٥٧١ وبسبب التقويم الهجري سنة ٥٣ قبل الهجرة. ولادة النبي كانت في مكة المكرمة من أمه آمنة بنت وهب سلام الله عليها، خطبها لأبيه عبد الله جدّه. وحملت برسول الله ﷺ ووضعت فيها.

عندما ولد النبي ﷺ كان قد توفي والده عبد الله ﷺ ولم ير ابنه. نعتقد - في مذهب الإمامية - بأن والدر رسول الله ﷺ كان موحدًا على منهاج إبراهيم الخليل والملة الحنيفية وأنه من الناجين بل إنه ممن يُتقرب إلى الله به.

لأسباب اجتماعية وصحية ترتبط بيئة مكة أرسل جد النبي عبد المطلب حفيده ليكون رضاعه في بني سعد وتولت ذلك حليلة السعدية رضوان الله عليها، وبالرغم من نفي بعض الكتاب المتأخرين ارتضاعه منها إلا أن هذا النفي ليس له أساس علمي وقد تعرضنا لأصل النفي والرد عليه في كتابنا أعلام الأسرة النبوية. نعم يُنفى بعض ما احتف بالرواية الرسمية المعروفة من تفاصيل لا نعتقد بصحتها مثل ما قالوه من أن حليلة السعدية لم تحصل على طفل من أطفال ذوي الثراء، فأخذت هذا اليتيم! وهذا الكلام غير صحيح بتاتًا فإن عبد المطلب في ذلك الوقت كان سلطان مكة لا ينازعه أحدٌ سواء على المستوى الديني أو الاجتماعي الدنيوي، وكان صاحب الأيلاف والمعاهدات، مع الروم واليمن والأحباش، وكان يستقبل من جهتهم على مستوى الملوك.

ولا ريب أنه حتى بالمقاييس العادية والمادية ستحب أي مرضعة أن تتعامل مع رئيس البلد والمتنفذ فيها. هذا بالإضافة إلى ما وجدت حليلة من آثار بركة الرسول ﷺ بمجرد أن لامس النبي بدنها واحتضنته وأرضعته فإذا به يملأها بركة، فهذا هي ترى اللبن قد در في ثديها حتى أثقلها وكانت تجهد فيها مضي حتى ترضع ابنها فإذا بها

تشبعه والرضيع المبارك ويزيد عنهما! بل لقد أحاطت البركة بها من مختلف الأطراف حتى أن دابتها التي حملتها وحملت عليها رسول الله أصبحت تسابق الريح قوة ونشاطاً أثار تعجب من كان معها في الرفقة!

وقد ذكرنا في موضع آخر أن من أسباب دفع عبد المطلب حفيده لحليمة لكي يرتضع عندها في البادية، له بعض الأسباب الظاهرية ومنها أن اللغة العربية في البادية أنقى وأفصح ولم تهجن بالاختلاط، (وإن كنا نعتقد أن النبي ﷺ لا يحتاج إلى تعليم من الغير ولكن الكلام هو في الأسباب الظاهرية)، كما يذكر أيضا السبب الصحي وذلك أن بيئة مكة لم تكن مناسبة للصحة العامة لا سيما للأطفال الصغار، فلم يكن الماء متوفرا كثيرا، ولم يكن هناك نظام للتخلص من الفضلات الانسانية أو غيرها! فيكفي أن يعلم أن التغوط وقضاء الحاجة لم يكن في (كُنف ومراحيض) في ذلك الوقت وإنما كان الرجل أو المرأة يخرج من بيته ويبعد قليلا عن الانظار ويقضي حاجته! وتصور لو حصل هذا في مدينة في هذا الزمان كيف ستكون البيئة؟ بل حتى الفضلات الأخرى مثل بقايا الحيوانات المذبوحة وما شاكلها كانت تبقى لفترات في وسط البلد، وشاهد ذلك أن منطقة (الجزورة) وهي لا تبعد عن الكعبة حتى خمسين مترا كانت منطقة ذبح! وكانت بقايا الحيوانات المذبوحة من سلا وفرث تكون هناك ويشير إليه ما ورد من محاولة بعضهم أن يلقي ذلك على النبي ﷺ بعد بعثته! فهذا وأمثاله يجعل بيئة مكة غير صحية، ولذلك كان أهلها يرسلون أطفالهم الصغار للبادية.

والبعض من الكتاب احتمال أن يكون لذلك جهة أمنية تنتهي إلى الحفاظ على حياة الرسول من مكائد أعدائه اليهود حيث قال بأنهم بمجرد أن علموا بولادته سعوا في القضاء عليه، ويستشهد على ذلك بتحذير بعض الرهبان النصارى عبد المطلب من اليهود وأنهم يقتلون حفيده لو استطاعوا.



يبقى أن نشير إلى عدم صحة ما روي في مصادر مدرسة الخلفاء من قصة شق الصدر، وأنه جاءه ملكان وقام أحدهما بشق صدره ليستخرج منه نصيب الشيطان! ونعتقد أن هذه من قصص مسلمة أهل الكتاب الذين أرادوا إعلاء شخصيات الديانات الأخرى على حساب نبينا فإنهم يزعمون أنهم قالوا كل ابن آدم فيه نصيب من الشيطان إلا عيسى بن مريم! فإن نصيب الشيطان - لو كان في الإنسان - فإنها هو بالسوسة والتزيين له لا أكثر من ذلك! ونصيب الشيطان ليس مضغعة من جلد أو غدة وإلا لكان الناس يزيلونها بعملية جراحية ويستريحون!

نما رسول الله ﷺ حتى اشتد عوده ورجع من جديد إلى مكة وبقي في كنف ورعاية جده عبد المطلب إلى سن عندها سنوات توفي جده عبد المطلب وقد عهد بكفاله لعمه أبي طالب فكان نعم وريث الاهتمام من أبيه عبد المطلب.

نما رسول الله ﷺ على غير ما ينمو عليه أقرانه وكان تحت رعاية الله المباشرة، وكما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «لقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطياً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره»،<sup>(١)</sup> مع بلوغه مرحلة الشباب بدأ يعمل لكي يكسب مالا ينفقه على نفسه ولا يكون كلاً على غيره، خصوصاً وأن عمه أبا طالب وهو الباقي له بعد وفاة أبيه ثم أمه ثم جده، كان قليل المال وإن كان عظيم الشخصية، وكثير العيال.

فبدأ يتطلع للعمل بالتجارة، وقد ذكرنا أن بني هاشم وعموم الخلفاء كانوا يجدون في التجارة المورد المناسب للارتزاق والذي كان يتوافق مع قيمهم الأخلاقية، فكان أن عرض الأمر على عمه أبي طالب وكان خديجة بنت خويلد ولم تتزوج بعد تملك مالا كثيراً، فتم الأمر بينهما على أن يعمل رسول الله ﷺ معها بطريقة المضاربة وهو أن يكون

(١) الرضي، السيد الشريف: نهج البلاغة، ما اختاره من كلام أمير المؤمنين ١ / ٣٠٠.

من طرفِ المألِّ ومن شخص آخر العمل والتجارة، وما كان من ربح يكون بينهما بالنسبة التي تحدد. وهو معروف منذ القدم (ومن الناحية الشرعية جائز).

ومع بداية عمل النبي بهال خديجة بنت خويلد وكان قد لفت نظرها رسول الله ﷺ وجلب اهتمامها منذ شبابه وقبل أن يبلغ العشرين لا سيما مع تواتر الأخبار من الكهنة والقساوسة من أهل الكتاب في قولهم إنه يوشك أن يُبعث نبيٌّ من مكة وأنه في بني هاشم، ولم يكن غير محمد بن عبد الله يمكن أن تنطبق عليه تلك الإخبارات!

تلك الأنباء مع ما جاء به غلامها ميسرة الذي سافر مع النبي محمد ﷺ في تجارة خديجة، ونقله لها العجائب مما رآه فيه وعنه، جعلها تبادر لترتيب أمر زواجها من النبي رغبة فيه وحباً له وتعقلاً منها، فكان أن تزوجها النبي ﷺ وكان في الخامسة والعشرين من العمر وهي بحدود الثامنة والعشرين من العمر.

تزوج النبي بخديجة وحظيت عنده بمنزلة لم تبلغها كل نساءه مجتمعات! ولا غرابة في ذلك فإن منزلة النبي ﷺ عند ربه لم يبلغها كل الأنبياء مجتمعين! وأكرمها الله سبحانه وتعالى بأن جعله نسله منها وجعل بقاء واستمرار ذريته من خلال فاطمة ابنتها دون سواها من البنات والبنين!

كان زواجها به قبل بعثته، فجاءت بعثته رسولا من ربه لتزيد إيمانها به وخدمتها إياه وتضحيتها بكل ما تملك من أجله. ولم يكن هذا لأجل ما يصوره بعض المستشرقين المسيحيين اعتماداً على ما ورد من معلومات غير دقيقة في بعض مصادر مدرسة الخلفاء من تعظيم لدور ورقة بن نوفل، الذي بقي إلى أن مات ولم يؤمن برسول الله ﷺ فهات على دين النصراني! فليس من المعقول أن يقنع خديجة فضلاً عن النبي بصدق نبوته



## المرحلة الثانية: وهي فترة البعثة إلى بداية الهجرة

وقد استغرقت ١٣ سنة، وقد بدأ النبي فيها بدعوة من حوله من أهل مكة، ممن يحتمل فيهم الاستجابة لدعوته، وحيث أنه لا بد من التقية والتكتم، فقد بدأ النبي دعوته تلك بشكلها السري، وبدأت تنتشر بين الفقراء والضعفاء والشباب ممن لم ترتبط مصالحهم المادية بعبادة الأصنام وبالنظام الاجتماعي الجائر الذي كان سائداً في مكة، إلا أن تكاثر المؤمنين برسول الله ﷺ كان من الطبيعي أن يعلن عن تلك الدعوة وعن أشخاصها لا سيما وأن الكثير من المؤمنين كانوا محكومين من قبل ساداتهم أو آبائهم.. فكانت المواجهة بين قريش ورجالها وشخصياتها وبين النبي محمد ﷺ والمؤمنين به، وكان الرأس الأكبر في الدفاع عنه عمه أبا طالب ﷺ الذي أعلنها قائلاً له: «اخرج ابن أخي فإنك الرفيع كعباً، والمنيع حزباً، والاعلى أبا، والله لا يسلكك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد..»<sup>(١)</sup> وهكذا أعلنت الدعوة صريحة، بأمر الله نبيه أن يعلنها ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وبالرغم من محاولات قريش منع النبي ﷺ بل الاعتداء عليه إلا أن حماية أبي طالب ﷺ لرسول الله كانت حاجزاً منيعاً. ومع وفاة أبي طالب في السنة العاشرة للبعثة وزوجته خديجة ﷺ فقد ركنين أساسيين للإسلام.

عندها بدأ النبي يُعد العدة للهجرة في السنوات الثلاث الباقية من البعثة فأرسل جماعة محدودة إلى الحبشة في أولى الفترات، ثم بعث جعفر بن أبي طالب في مجموعة كبيرة في سفرة ثانية، فحمى بذلك المؤمنين به من التعذيب الذي وصل إلى القتل بالنسبة لبعضهم.

(١) المجلسي، بحار الأنوار ٣٥/١٤٨.

(٢) الحجر: ٩٤.

وفي ثالث السفرات كانت هجرته عليه وآله السلام، فبعدهما خلف ابن عمه عليا بن أبي طالب في مكة يقضي دينه وينجز عِداته ويقوم بأعماله وكان هذا أول استخلاف عملي له، في إدارة شؤون الاسلام، وإن كان قد أخبر عن استخلافه ووصايته في وقت مبكر في يوم الدار والانداز.

### المرحلة الثالثة: الهجرة للمدينة

هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة لتشرق بنور ربها، وبعدهما كانت ممزقة بين عداوات الأوس والخزرج ها هم قد أصبحوا ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ وبعدهما كانوا على شفا حفرة من النار أنقذهم الله بمحمد المصطفى وبدأ النبي يبني ذلك المجتمع الذي سيكون بفضل الله وأداء رسوله ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

بالطبع لم يكن هيئنا على قريش أن تهزم بهذه الصراحة، وأن تتلقى هذه الصفعات واحدة بعد الأخرى ولم يكن متوقعا أن تجلس ساكنة، فقد قالت لأبي طالب إن ابن أخيه سب آهنتهم وأفسد عليهم شبابهم! يعني بعبارة أخرى أسقط اعتبارنا عند القريب والبعيد، ثم هاجر المؤمنون هنا وهناك ونجوا بدينهم وحياتهم، وخرج رسول الله من مكة ولم يصنعوا له شيئا بل عندما حاولوا أن يواجهوا ابن عمه وهو لا يزال في نضارة العمر وأول الشباب رجعوا خائبين وخرج علي ﷺ إلى المدينة!

لذلك كانت نفوسهم مهياة للاصطدام العسكري مع النبي وأصحابه، وكانوا يبحثون عن مناسبة لذلك، فجاءت محاولة المسلمين السيطرة على قافلهم التجارية التي كانت بقيادة أبي سفيان مبررا حسنا، وجمعوا ما جمعوا ومن جمعوا ليواجهوا النبي في بدر لتبدأ اول المعارك في السنة الثانية للهجرة و﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ وتلتها مواجهات كثيرة متعددة المستويات ما بين سرايا قليلة العدد وما بين



حروب ضخمة فكانت أحد بعد بدر بسنة وكان بعدها الخندق وكان النصر حليف جند الله وأتباع رسول الله وقد ذكّر الله المسلمين بذلك ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾؛ ويبيّن أئمة الهدى أن تلك المواطن تجاوزت ثمانين موقعة! وكان منها بعد ذلك معركة خيبر مع اليهود وما تلاها من معارك معهم انتهت بجلالهم من المدينة بعد خياناتهم المتكررة ومؤامراتهم المتعددة إلى قتال ثقيف وأحلافها يوم حنين، وتوج كل ذلك بفتح النبي ﷺ مكة المكرمة بتخطيط متميز لم يضطر فيه النبي لإراقة الدماء، أو إطلاق عنان الأحقاد.

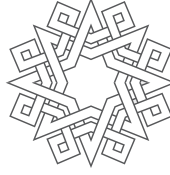
إن ما سبق ذكره بصورة الفهرس والعناوين، ينبغي إعادة التفكير فيه! فإن يخطط شخص ويجهز ويدير ثمانين معركة عسكرية ما بين صغيرة وكبيرة، خلال عشر سنوات يعني بمعدل ثمان معارك خلال السنة الواحدة ومعركة واحدة في كل شهر ونصف.. هذا كله وهو يُدير المسجد والإرشاد الديني والأخلاقي، ويقود المجتمع المدني ويربي مثل أمير المؤمنين عليٍّ وخُلص أصحابه، ويعطي لأسرته الكبيرة (٩ نساء) حقهن الكامل! إن ذلك لمن الاعجاز حقاً!

لم تنقض عشر سنين من الهجرة إلا وقد أكمل الله دينه برسوله، وأتم على الخلق نعمته، بوصيته أئمة بالثقلين كتاب الله والعترة لتتبعها حتى لا تضل، وأخبر عن رأس تلك العترة في مواضع كثيرة منها وأهمها الغدير فأثبت على المسلمين ولايته كولاية النبي، هذا عدا عن عشرات المواضع الأخرى التي بين فيها ذلك بمناسبة وغير مناسبة مما ذكره العلماء وفصلوه.

وأخيراً كان لا بد من جريان سنة الله في خلقه عليه ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، فغادر الدنيا صلوات الله عليه وآله في ٢٨ صفر من سنة ١١ من هجرته.







## دين الإسلام رؤية من الداخل

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ \* وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾.

تتناول هذه الصفحات باختصار، دين الإسلام من داخله، وتحاول أن تسلط بعض الضوء على قسم من مناهجه وعقائده، نقول باختصار لأن التفصيل يستدعي أن يوضع كتاب كبير أو كتب، كما فعل علماء<sup>(٢)</sup> ومحققون.

بالرغم من كون الإسلام متأخرًا من الناحية الزمنية عن سائر الأديان الالهية، إلا أن هذا التأخر جعله مهيمًا على عدد من الثنائيات التي ربما كان الميل لأحد أطرافها حاكمًا فيما قبله من الأديان، ذلك أن هناك ثنائيات ربما اعتبرت معضلةً في سائر المناهج، لكن الإسلام وازن بينها؛ فبدت متأخية منسجمةً. وربما يكون هذا نابغًا من كونه الرسالة الخاتمة والدائمة للإنسان إلى قيام الساعة، بخلاف سائر الشرائع السابقة

(١) آل عمران ٨٤-٨٥.

(٢) مثل كتاب: الإسلام ينابيعه مناهجه غاياته للمرحوم الشيخ محمد أمين زين الدين.

التي كانت ناظرة إلى قوم محددين وزمان معين.

## التعارض بين الدنيا والآخرة

كأن الاعتقاد بين أصحاب الأديان أن طريق كل منها مختلف إلى حد التدابر، فمن أراد الدنيا وسعى لها فإنه بنفس المقدار يبتعد عن الآخرة، وبالعكس وقد تجلّى هذا في الديانتين اليهودية والمسيحية، فضلاً عن سائر المناهج غير الالهية، لقد عالج الإسلام بتوجيهاته هذه المسألة وأوجد طريقاً وسطاً نصفاً بحيث جعل التوجه للآخرة يمر عبر إعمار الدنيا للآخرة، وجعل السعي فيها جزءاً من العبادة فينال عليها الثواب، ويصبح الكاسب فيها حبيب الله. ولهذا ليس مقبولاً من الفرد في المنهج الإسلامي أن يُهمَل معاشه وحاجاته الطبيعية بحجة انصرافه للآخرة وزهده في الدنيا، كما في المقابل ليس مقبولاً منه أن ينغمس في الدنيا فتكون أكبر همّه؛ منصرفاً عن الهدف الأساس لوجوده. ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾. (١)

يريد الإسلام للإنسان أن يحيا حياةً كريمةً متمتعةً بنعم الله عليه دون طغيانٍ أو إسرافٍ؛ إذ يعدّ القرآن الممثل بالمنهج القويم بقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ في هذه الدنيا. ويعده بقوله ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) في الآخرة. وفيما يرتبط بالمنهج الاجتماعية:

## هل نقدم مصلحة الفرد أو مصلحة المجتمع

هل أن الأولوية للفرد؟ وبالتالي فإنّ القوانين التي تخدم الفرد بشكل أساس؛

(١) القصص: ٧٧.

(٢) النحل: ٩٧.



تعطي له الحرية الكاملة على الصعيد الشخصي والحرية الاقتصادية في الاستثمار، والحرية السياسية بلا حد؟

أم أن العكس هو الصحيح؛ فتوضع القوانين مفصَّلة لخدمة المجتمع وإن أضرت بالفرد وسحقته وضيَّعت حقوقه؟ لقد لاحظنا أن الأنظمة الاجتماعية في العالم تنحو أحد المنحيين، كما يظهر الأول في المجتمعات الليبرالية والرأسمالية، ويتبين الثاني في المجتمعات الاشتراكية والشيوعية. لقد توسط الإسلام بشكل فريد في قوانينه وتشريعاته، فهو يراعي مصلحة الفرد في إطار مصلحة المجتمع؛ وكما يتيح له الحرية الشخصية والاقتصادية والسياسية يؤطرها بقوانين ويجدها بحد أن لا تفسد المجتمع، وأن لا تتلف وحدته أو عقيدته، فيشرع قانون (لا ضرر ولا ضرار) وأمثاله.

كذلك يوجب على الأمة أن لا تطغى على حقوق فردٍ من أفرادها بذريعة مصلحة عامة؛ بل يُصدّر الإسلام خطابًا للمجتمع فيجعل من خلاله المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يسرون في حركة متسقة؛ يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر. في المجال الفكري والمنهجي؛ هل نعتد في أصولنا العقائدية أو أحكامنا الشرعية على ما يصل إليه عقل الإنسان عبر القواعد والبراهين العقلية؛ فلا نعتني بما هو منقول لأن العقل حجة تامة، وإنما تعبّد الله الناس بالعقل؟ أو أننا نذهب إلى ما جاء به النقل سواء كان عبر القرآن الكريم أو كان عبر سنة رسول الله ﷺ والمعصومين؟

التعارض بين أمر النقل وأمر العقل قضيته محلولة في الإسلام - خصوصاً عند الامامية - وذلك لأن الأدلة الأربعة التي يعتمدها علماء الإسلام في الاستنباط الفقهي تضم الجانبين النقلية والعقلية.

وكذلك بالنسبة للعقائد الإسلامية؛ لا توجد عقيدة إسلامية واحدة تصطدم بالعقل وتقريراته؛ بل إن المنهج العقلي جليّ واضح - على صعيد العقيدة - في إثباتات

وبراهين القرآن الكريم. على سبيل المثال... نلاحظ في جدال القرآن الكريم العقلي مع المشركين بالله، وهؤلاء لا يعتقدون بالقرآن ولا بمن أنزله، إلا أنه يقدم لهم برهاناً عقلياً لا يملكون له جواباً! يقول لو كان هناك أكثر من إله؛ لحاول كل إله الانفراد بما خلق، وحاول التسلّط على منافسه.

يقول الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

بعد هذه المقدمة: ما هو الإسلام؟ هل هو الصلاة والصيام؟ أو هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله. الإسلام لغة: هو الاستسلام لله. قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يعني أطاع الله خاضعاً مستسلماً.

وفي شرح أوسع لهذه الكلمة قال المرحوم المصطفوي « للإسلام مراتب: الأول - إسلام في الأعمال الظاهرية وفي الأركان البدنية والجوارح والأعضاء الجسمانية، كما في: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ - ١٤ / ٤٩.

والمرتبة الثانية - جعل النفس سلماً وموافقاً في الظاهر والباطن، بحيث لا يبقى خلاف في أعماله وفي نيّاته وقلبه، كما في: ﴿إِنْ تَسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٥٣ / ٣٠.

والمرتبة الثالثة - رفع الخلاف كلاً، سواء كان في عمل أو في نيّة أو في إنيّة ذات، ففي هذه المرتبة لا يبقى إنيّة ولا تشخّص نفسيّ، ولا رؤية نفس، ويكون وجوده مستغرقاً في بحر الوجود الحقّ، وفانياً في عظمة نوره تعالى، وفي هذا المقام يقلع أثر الخلاف من أصله، وهو الإنيّة، ويتجلّى حقيقة مفهوم التسلمّ والموافقة الحقّة المطلقة - ﴿إِنَّ الدِّينَ

(١) المؤمنون: ٩١.



عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿٣/١٩﴾ (١)

وأما الإسلام في الاصطلاح: دينٌ سماوي أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون لعامة البشر؛ وبعث خاتم الأنبياء والرسل، محمد بن عبد الله ﷺ به. فهو الدين الخاتم للديانات السماوية.

## مثلث العقيدة والشريعة والأخلاق

الإسلام يمكن تشبيهه بمثلث، أضلاعه الثلاثة تمثل الآتي:

### الضلع الأول: يرتبط بالإيمان العقدي

وهذا الأمر محله قلب الإنسان ويحتوي على جملة عقائد أساسية ومركزية، ويتبعها عدد من العقائد الفرعية.

وأول العقائد الأساسية الاعتقاد بالله ﷻ والإيمان بآله وأحدهُ أحدُ فردٍ صمدٌ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢).

والتوحيد مفهوم له أبعاد متعددة؛ فمنها توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد التدبير وتوحيد التقنين وتوحيد الرأفة وتوحيد الطاعة وتوحيد العبادة..

فتوحيد الذات: بمعنى أن يعتقد الإنسان أن الله واحدٌ أحدٌ لا شريك له ولا نَدٌّ له ولا ضدٌّ له ولا مثل وليس له ابن أو زوجة ولم يلد ولم يولد. وتوحيد الصفات: يعني الاعتقاد أن صفات الله ﷻ عينُ ذاته؛ وليست زائدةً عليه. يعني لا توجد صفةٌ

(١) المصطفوي، حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٥ / ١٩١.

(٢) الاخلاص: ٣-٤.

الله طارئة؛ لم تكن موجودة ثم وُجدت؛ بل هو السميع، وهو الغني.. سمعاً وغنى لا ينفكان عنه -تعالى- ولا يطرأ عليها زيادة ولا نقصان؛ فهما -كما بقية صفاته- عين ذاته.

وتوحيد الأفعال: بمعنى أنّ الفاعل في هذا الكون هو الله وحده لا شريك له، هو الخالق والرازق والمدبر والآمر والناهي، لا يوجد أحدٌ إلى جنب الله ﷻ يفعل فعلاً، بل الله هو الفاعل الحقيقي دون سواه. لا أحد من المقربين كالأنبياء والأوصياء يشاركه في الفعل، ولا أحد من الخاطئين كالسحرة! بل كل شيء في الكون إنما يجري بأمره وحده. نعم قد يمنُّ الله سبحانه على بعض عباده لغاية بأن يمنحه قدرةً من قدرته؛ كما أعطى لنبيه عيسى ﷺ القدرة على إحياء الموتى، كما قال الله في كتابه الكريم على لسان عيسى ﷺ ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فإن هذا كله يحصل ولكن (بإذن الله). وقد زود الله أنبياءه بالقدرة على المعجزات، وكذا أتاح لأوصيائهم الكرامات، ولكن كل ذلك (بإذنه).

ولا تناقض بين وجود الأسباب الطبيعية وبين كون الله تعالى هو الفاعل؛ فالله هو الذي خلق الأسباب، وأعطى للمواد خواصها وجعل قوانين تربط بين النتائج والمقدمات. وتوحيد التدبير: الاعتقاد أن ليس من مدبرٍ للكون وما فيه إلا الله تعالى. ومن العقائد الأساس الإيمان بنوّة الأنبياء وفي طليعتهم نبينا محمد ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

(١) البقرة: ١٣٦.



نعتقد أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل إلى الخلائق هدايتهم، وأن رسالة رسول الله ﷺ خاتمة الرسالات؛ ناسخة لما قبلها؛ لا يجوز التعبد لله -ممن وصل إليهم البلاغ- إلا وفقها. وقد سبق الكلام في هذا في موضوع التعددية الدينية والأصول المشتركة.

وإلى جانب الإيمان بالله والإيمان برسول الله؛ يضم هذا الضلع الإيمان باليوم الآخر والمعاد وما فيه من حشرٍ وحسابٍ وجنةٍ ونارٍ.

كذلك يتفرع عن العقائد الأساس المذكورة أعلاه عقائد -في مدرسة أهل البيت- كالاعتقاد بالأئمة الاثني عشر المتفرع من الاعتقاد بالنبوة. كما توجد تفاصيل في العقائد ترتبط بيوم القيامة وبعصمة الأنبياء والأئمة وغير ذلك.

### الضلع الثاني: التشريع الفقهي بشقيه العبادي والمعاملاتي.

فالتشريع العبادي يعبد الطريق للإنسان كي يصل إلى جنة الله تعالى. وعلى الإنسان أن يسير وفق هذا التشريع؛ ولا يجوز له ابتكار عباداتٍ من عندياته وآرائه؛ فالعبادة توقيفية؛ نفق فيها على ما جاء من الشرع؛ فلا يجوز لأحد أن يزيد في صلاة العشاء -مثلاً- ركعةً أو ينقص منها ركعة. كما لا يقبل من أحد إسقاط العبادات بحجة إمكانية الوصول لجوهرها دون الحاجة للالتزام بمظهرها - كما نسب لبعض المتصوفة-؛ إذ قالوا: طالما أن القلب عامرٌ بحب الله والإيمان به؛ فلا حاجة للمظهر العبادي الذي لا يعدو كونه طقساً.<sup>(١)</sup> وخطأ هذا المسلك واضح لأن الله تعالى هو المشرع، وهو الذي جعل الوصول إلى رضوانه يمرُّ فقط عبر الالتزام بأوامره ومنها تأدية العبادات وفق تشريعه تعالى.

(١) وهو نفس الانحراف الذي أغرى به بولس الطرسوسي أتباع السيد المسيح ﷺ، عندما أفرغ المسيحية من العبادات والطقوس وحولها إلى ديانة روحانية زاعماً أن الإيمان والمحبة يغنيان عن ذلك وهي نفس الفكرة التي زعمها بعض المتصوفة من أن من وصل إلى الحقيقة فلا يحتاج إلى الشريعة!

## أما الشريعة المعاملاتي:

فهو مجموعة من القوانين التي تنظم علاقة الإنسان بما حوله وبمن حوله؛ تنظم علاقته بالجماد والحيوان والنبات، وكلّ الموجودات التي يتصل بها؛ وعلى رأسها أخيه الإنسان. فيهدف الشارع المقدّس من خلال هذا التنظيم إلى الوصول بالإنسان للحياة الطيبة. تتصل هذه القوانين بكلّ شؤون الحياة من بيعٍ وشراءٍ أو زواجٍ وطلاقٍ أو علاقةٍ والديةٍ أو ذبحٍ حيوانٍ أو تعاملٍ مع البيئة والطبيعة من بحارٍ وشجرٍ.... فالله تعالى هو الخالق، وهو المالك الحقيقي؛ لذا وجب على مَنْ أراد رضاه وجنته أن يسير وفق منهجه. وليس للعبد حتى التصرف في جسده إلا بمراعاة تشريع خالق ومالك ذلك الجسد وهو الله جلّ شأنه. فضلا عن التصرف في المخلوقات الأخرى، والطبيعة. فإن من المعلوم في حكم العقل أنه لا يصح التصرف في ملك الغير إلا بإذنه، وقد فرضنا أن الله مالك كل شيء بعدما كان خالق كل شيء، ولذلك فما لم يكن ذلك التصرف (بسم الله الرحمن الرحيم) وبإذنه فإنه يعتبر عدواناً وظلماً يستحق فاعله العقوبة.

## الضلع الثالث: النظام الأخلاقي

هو على مستويين؛ إلزاميٌّ وجوبي، ومستحبٌّ ترغيبي (وهو الأكثر). من ذلك -مثلاً- وجوب النفقة على الوالدين حال فقرهما وحاجتهما، وصيرورة ذلك الوجوب إلى الاستحباب حال اكتفائهما وغناهما؛ حيث يُعدّ من صلة الرحم. الحالة الأخلاقية تحفظ التشريع وتحفظ العقيدة، ولذلك لا ينبغي أن يتخلى الإنسان عنها.

كلُّ ما انضوى تحت الأضلاع الثلاثة -من عقيدةٍ وعبادةٍ ومعاملاتٍ وأخلاقٍ- احتضن أصوله القرآن الكريم دون التفاصيل، وكان عبء التفصيل على السنة الشريفة، ومن ثم على كاهل العلماء المختصين في استنطاق النصوص المقدّسة.





فالإسلام تشريعٌ متكاملٌ؛ يهدف إلى خلق حياةٍ طيبةٍ ترضاهها السماء للإنسان في هذه الدنيا، كما يهدف إلى الأخذ بيد هذا الإنسان إلى رضا الله وجنته - إن التزم الإنسان بالمنهج الذي رسمه الله له-.

### ويبرز هنا تساؤلٌ مهمٌ:

إذا كان الإسلام منهجًا متكاملًا؛ ينظّم حياة المسلم في الدنيا ويسعده، ويضمن له حياة الخلد في جنان الله ومرضاته؛ فلماذا نرى حال المسلمين خلافَ ما يهدفُ ويوصلُ إليه هذا المنهج؟

وجوابُ التساؤلِ.. هو إنَّ المنهجَ عبارةٌ عن طريقٍ؛ لا يكفي معرفته في الوصول إلى الهدف؛ بل لابد من السير في ذلك الطريق للوصول.

ونعتقد أنه لو التزم المسلمون بالإسلام حقَّ الالتزام؛ لتحقق وعدُ الآية الكريمة ﴿وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾<sup>(١)</sup>، ووعد الآية الكريمة ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

لكن للأسف لم يحصل هذا في بواكير<sup>(٣)</sup> هذه الأمة ناهيك عن زماننا هذا فبقيت

(١) الجن: ١٦.

(٢) المائدة: ٦٦.

(٣) أثار بعض الكتاب من غير شيعة أهل البيت شبهة؛ أن التوجه العام لأبناء الشيعة يتنكر لتاريخ الأمة الإسلامية، وينظر إليه بسلبية، وقال: إن هذا يقطع الصلة بين المسلمين من هذه الطائفة وبين ذلك التاريخ الزاهر.

والجواب عنه: أننا نعتقد أن ما تم تطبيقه من الإسلام نسبة قد لا تتجاوز خمسين في المئة، ومع ذلك حصل من الخيرات للمسلمين بل للعالم شيءٌ كثير؛ فهذا الحديث عن التقدم العلمي في زمان المسلمين وعن استفادة الغرب من كتب المسلمين، وعن الأخلاقيات الرائعة التي كانت عندهم، وعن انتفاء الفقر - في بعض الفترات الزمنية - في مجتمع المسلمين؛ هذا كله صحيح، ونعتقد أنه ==

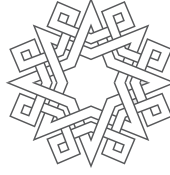
## الأمة تراوح مكانها متأخرة عن الأمم والمجتمعات.

== من ثمار نسبة من تطبيق الإسلام في جوانبه المختلفة.

لكن نحن متأسفون على ما تمّ التفريط فيه من إسلامنا العظيم، وحزينون على النسبة المهدورة التي لم تُلتزم من قبل الأوائل؛ حيث بدأ الانحراف وازداد أثره مع كَرّ الجديدين وتقدّم الزمان. ولو لم تكن الأهواء الباطلة وحب الرئاسة وبقية الأمور كما خطط لها رسول الله لشهدنا تطبيق وعود الله كما مر في الآيات المباركات.. لهذا نحن نتأسف ونحزن ونغضب ممن غير المسير، وانحرف بطريق الأمة المستقيم..

وهذا ما حذرت منه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية من أن بداية الانحراف سهلة لكن نتائجه مدمرة قالت: (أما والله لقد لقحت فنظرة ريشما تنتج ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عيباً وذعافاً ممقراً مبيداً، هنالك يعرف التالون غبّ ما أسس الأولون).

تشبيهاً للحالة التي تمرّ بها الأمة بحال الناقة الحامل عندما تلقح تحتاج إلى شهور، والنتيجة: (ثم أبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم يدع فينكم زهيداً) ستكونون فقراء مع امتلاككم الثروات؛ حيث لا قوة لكم أمام من ينهبها منكم؛ فلا تنالون منها إلا الفتات.



# الإسلام من الخارج جغرافية الأمة وتاريخ المذاهب

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (١).

تلقي هذه الصفحات رشة ضوء على جغرافية أمة الإسلام، وتاريخ مذاهبها، من الخارج.

يقدّر المسلمون الذين تشكل منهم الأمة الإسلامية، في العالم بمليار وست مئة مليون مسلم يتوزعون في سبع وخمسين دولة مسلمة، ونعني بالدولة المسلمة تلك التي يتجاوز عدد المسلمين فيها الخمسين بالمئة حتى وإن كانت حكومة هذه الدولة أو رئيسها من غير المسلمين، كلبان مثلاً.

غير أنّ بعض المراكز الإسلامية في العالم أوصلت العدد في تقديرات أخر إلى ما يقارب ملياري مسلم في العالم، وحيث أنّ سُكَّان العالم يقارب ثماني مليارات؛ فبذلك يمثل المسلمون رُبْعَ العالم.

وعلى كُلِّ حالٍ فإنَّ هذه الإحصائيات تقديرية، ولا توجد إحصائية دقيقة جدًا يمكنها أن تحدّد عددَ المسلمين في العالم؛ حيث إنَّ العدد في زيادة ونقصان، وبذلك يكون مجال الاختلاف في هذا الباب واسعًا.

ولكن من المؤكّد أنّ المسلمين يشكّلون أكثر من عشرين بالمئة من سُكّان الكرة الأرضية، وبذلك يُصبح الإسلام من أكبر الأديان في العالم من حيث التّابعين، إضافة إلى ذلك فإنّه الدّين الأسرع انتشارًا في العالم بالقياس لديانات أخرى، سواء كانت سماوية كالإسلام والمسيحية واليهودية، أو ديانات غير سماوية كالبودية والهندوسية، وهذه الخاصّية من المحتمل أن يتجاوز الإسلام الدّيانة المسيحية التي تعتبر الدّيانة الأكبر من حيث عدد التّابعين في العالم.

### السنة والشيعه:

يمكن أن يُقسّم الإسلام إلى عدّة أقسام، ولكنّ أهمّ تصنيفٍ وتقسيم كان من السّابق وإلى الآن لا يزال مشهورًا ومعروفًا بمصطلح (الشّيعه) و(أهل السنّه)، حتّى وإن كانوا يستخدمون مصطلح (أتباع مدرسة أهل البيت) و(أتباع مدرسة الخلفاء).

وهذا التقسيم مُهم من جوانب:

■ أن هذا الانقسام كان من السّابق ولا يزال مستمرًّا فهو ذو خلفية تاريخية كما أنه معاصر.

■ أنه انقسام ذو أثر، وليس تقسيمًا ترفيًّا أو لأجل تكثير الأقسام! وإنما يظهر أثره في كون كل قسم يشكل مدرسة، لها مفاهيم عقائدية ونظام فقهي. ويلحظ في التاريخ آثاره في أكثر المجالات. بما فيها تدوين التاريخ نفسه!

الناظر إلى تاريخ المسلمين وحاضرهم يلاحظ بأنّ هناك فئتين هما الشّيعه والسنة.

والشيعة تعني أتباع الشخص، فعندما نقول فلان من شيعته؛ أي من أتباعه. وعلى ذلك فإن نبي الله نوح عليه السلام بعدما دعا قومه وصمد وصبر أمام التكذيب؛ أتبعه على ذلك نبي الله إبراهيم عليه السلام، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(١)</sup>. فنبى الله إبراهيم أتبع نبي الله نوحاً فصار من شيعته والتابعين له في أفعاله وأقواله، وذلك من العناصر المشتركة بين الأنبياء عليهم السلام.

ووردت هذه الكلمة (الشيعة) في من كان موالياً لعلی بن أبي طالب عليه السلام والتابعين له والسائرين على خطاه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان هناك قسم من الصحابة منسجمين مع علي بن ابي طالب ومتبعين له لقناعتهم بأنه المثل الأكمل لشخصية الإسلام. وورد عند الإمامية وأيضاً عند أهل السنة أحاديث ذكر فيها مصطلح (الشيعة) أو (شيعتك يا علي) وغير ذلك.

وأصل هذا الانقسام هو بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان السؤال: هل كلّف رسول الله أحداً من بعده كولي وإمام ووصي؟

يعتقد الإمامية بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عيّن بالنص وبالاسم أمير المؤمنين علياً عليه السلام تعييناً عاماً وخاصاً وشخصياً من بداية البعثة وإلى وفاته بمختلف العبارات والأساليب، بل لم يكتف بالقول فحسب، وإنما بالفعل أيضاً حيث نصبه فعلاً وأمر الناس بمبايعته في يوم الغدير. وعلى هذا الرأي يعتقد الإمامية بأنه كان من المفروض أن يتم مبايعة علي بن أبي طالب عليه السلام وتقليده مقاليد الخلافة وأتباعه.

الرأي الثاني هو لأهل السنة، والذين صاروا فيما بعد يُسمّون بأهل السنة والجماعة، وقد يعبر عنهم بمدرسة الخلفاء) حيث يعتقدون بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له رأي خاص

في تعيين الوالي من بعده، بل ترك الأمر للأمة الذين اختاروا في المرحلة الأولى الخليفة الأول بطريقة، والخليفة الثاني بطريقة أخرى، والخليفة الثالث بطريقة ثالثة، والخليفة الرابع بطريقة رابعة، ولم يُنصَّ على أحدٍ باسمه أو يُنصَّب أحدًا من بعده، ويرون بأنَّ هذا الأمر هو أمرٌ طبيعيٌّ.

هذا الموضوع هو بداية الانقسام الأصلي بين المذهبين، لكن ابتداءً من نصف القرن الأوّل للإسلام في سنة خمسين للهجرة، ونتيجةً لتطوُّر المجتمعات الطبيعيّ ظهرت أسئلةٌ تنتظر إجاباتٍ.

كانت هذه الأسئلة مختلفة عن أسئلتهم للنبي بداية الدعوة؛ إذ كانت الأسئلة آنذاك بسيطةً وابتدائيةً نظرًا للمجتمع المعاصر لها، أما الآن فهناك أسئلة عن صفات الله ﷻ وعدالة الله وعن القرآن الكريم والأنبياء والمرسلين والقضاء والقدر، والجبر والاختيار وفلسفة بعض الأحكام.

وقد ساعد على نمو هذه الأسئلة بالإضافة إلى النُمو التدريجي الفكري للمجتمع، ما تسرب من ثقافة وفكر أهل الكتاب كاليهود والمسيحيين ممن دخلوا الإسلام، فقد أدخلوا ثقافات وآراءً مما كانوا يحملونه ويعتقدونه، فكانوا يعتقدون في كتبهم أن الله عزَّ وجلَّ يغضب ويحزن ويبكي -والعياذ بالله-، فأثاروا بذلك أسئلة عن صفات الله عزَّ وجلَّ، فهل (الله) الذي تُعرِّفه التوراة هو نفسه المقصود في الإسلام؟

جعلت هذه الأسئلة القسَمَيْن (الشيعة) و(أهل السنة) مضطرين للإجابة على هذه الأسئلة، كلٌّ بطريقة. فأخذ الشيعة أجوبتهم من أئمتهم، وعلى الخصوص أمير المؤمنين عليه السلام الذي أكثر من الخطب التي تُنزه الله عزَّ وجلَّ وتوحِّده وتُجيب على هذه الأسئلة، ومنها المذكور في كتاب (نهج البلاغة)؛ الذي هو بعض كلام أمير المؤمنين عليه السلام. بينما حاول الإتجاه السني أخذ أجوبة من الصحابة الكبار، فلم يكن



لديهم في الغالب شيئاً متميزاً عن سائر المسلمين، فاضطروا إلى الاستعانة بعلماء أهل الكتاب من الذين أسلموا وكان لديهم ثقافة العهد القديم والجديد وحاولوا أن يجيبوا على الأسئلة الجديدة، مما سهل نفوذ الثقافة تلك إلى الساحة الإسلامية.

### المدارس الكلامية في المسلمين: (١)

في القرن الثاني للهجرة ومع تطور الزمان استمرت هذه الأسئلة ولم تختف، مما سبب انقسامات جديدة؛ فظهرت مدارس كلام جديدة، فصارت هناك ثلاث مدارس كلامية معروفة:

١. الأشاعرة.

٢. المعتزلة.

٣. الشيعة.

وتعتبر فرقتا الأشاعرة والمعتزلة من فرق أهل السنة والجماعة، والأشاعرة هم الفئة العامة من أهل السنة، وهم الذين يجرون الصفات الإلهية كما ورد بها الخبر، فيعتقدون بأن لله يداً، ويستدلون بالآية: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> وله وجه: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(٣)</sup> ولكن يعتقدون بالاختلاف، كاختلاف أعضاء الطفل

(١) هنا تجد اختصاراً شديداً لما تفصيله في سلسلة خاصة بعنوان تاريخ المذاهب في الإسلام لمؤلف هذا الكتاب حيث تم التعرض فيها بشكل تفصيلي لتاريخ المذاهب الفقهية والكلامية وخصائصها وأئمة تلك المذاهب. ويمكن مراجعة كتاب معالم المدرستين للمرحوم السيد مرتضى العسكري في نفس الاتجاه.

(٢) الفتح: ٩.

(٣) الرحمن: ٢٧.

عن الرجل الكبير حسب الحجم، فمثلاً يد الله تناسب عظمته، ووجه الله يناسب قدرته وهيبته.

أمَّا المعتزلة فقد تشابهوا كثيراً في أصول أجوبتهم مع الشيعة، حتى ذكروا أنهم أخذوا الاعتزال من أمير المؤمنين عن محمد بن الحنفية عن ابنه أبي هاشم، ثم امتدَّت سلسلتهم بعد ذلك.

ومن أمثلة ما يتشابهون مع الشيعة هو ما يرتبط في صفات الله الخبرية، وصفات الله الخبرية تعني التي جاء النقل بها، فهم يعتقدون مثل أتباع أهل البيت عليهم السَّلام في أنه لا يمكن حمل بعض الآيات على ظاهرها على الجوارح والأعضاء، بل لها تأويل آخر إذ لا يمكن القول بأنَّ الله يداً أو وجهاً أو رجلاً.

ومن الأمثلة أيضاً، أنَّ المعتزلة ترى نفس الرَّأي في عدل الله؛ حيثُ تعتقد بأنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل على نفسه العدل ولم يلزمه أحد على ذلك، فيما يرى الأشاعرة بأنَّ الله غيرٌ مُلزم بالعدل، فيستطيع أن يرمي مؤمناً في النَّار وأن يُدخَلَ قاتلاً مُجرماً الجَنَّةَ.

وتتفرَّع من هذا الموضوع مسائلٌ كثيرة، ولذلك يجعل الإمامية (العدل) واحداً من أصول المذهب، كما تتفق معهم فرقة المعتزلة أيضاً. ولهذا عرفوا (الإمامية والمعتزلة) بالعدلية.

إلى الآن رأينا بأنَّ هناك انقسامين، الأول: بين الفرقتين المشهورتين (الشيعة والسنة) في مسألة تحديد الإمامة، والانقسام الثاني: في الإجابة على الأسئلة عن صفات الله وعدل الله بين (الأشاعرة والمعتزلة والشيعة). يوجد أيضاً انقسام ثالث وهو:



## الانقسام في المذهب الفقهي

في هذا الانقسام يرى أتباع مدرسة الخلفاء بأنه بعد وفاة رسول الله ﷺ توقف الوحي والنص والحديث، ومُنعت كتابة الحديث النبوي في أيام بعض الخلفاء؛ لأسباب لا يراها الإمامية صحيحة، ومنها: تجنب اختلاط القرآن الكريم مع حديث رسول الله ﷺ، ولم يكتب الحديث ويدون إلا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز. أما في مدرسة أتباع أهل البيت ﷺ فلم تتوقف كتابة الحديث، كما أنهم يجعلون حديث الأئمة الاثني عشر المعصومين ﷺ في الحجية كحديث رسول الله ﷺ، ويعتنون به ويدونونه تمامًا كحديث الرسول ﷺ.

وبهذا فإنه ومن وفاة رسول الله ﷺ سنة ١١ للهجرة، وإلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ للهجرة لم يدون حديث رسول الله ﷺ، وعندما دُونَ لم يكن كافيًا لحل المسائل الفقهية التي تتجدد وتزداد باستمرار، وعلى الخصوص مسائل الحج؛ لهذا كانت لدى أتباع مدرسة الخلفاء مشكلة في هذا الجانب، فقاموا بابتكار أدلة جديدة؛ كأفعال وأقوال الصحابة حتى وإن لم يسندوها لرسول الله ﷺ، أو قياس الأشياء ببعضها البعض، أو الاستحسان، أو المصالح المرسلة، بل قاموا يأخذون الأدلة من أفعال أو أقوال أهل المدينة حتى كثر الفقهاء وكثرت المدارس المختلفة والآراء، فكانت هناك أكثر من اثنتين وعشرين مدرسة فقهية في زمن الإمام الصادق ﷺ وما بعده إلى بدايات القرن الثالث حتى انتهى الأمر بهم إلى تحديد أربعة مذاهب<sup>(١)</sup> وكان ترتيبها حسب الزمن التاريخي، فكان أولها:

(١) فيما يرتبط بالظروف التاريخية والسياسية التي أدت إلى تعيين أربعة مذاهب رسمية من قبل الخلفاء وميزات كل مذهب وأحوال فقهاؤه يراجع سلسلة تاريخ المذاهب في الإسلام للمؤلف .

١. مذهب أبي حنيفة النعمان، والمعروف بالمذهب الحنفي المتوفى عام ١٥٠هـ.
٢. مذهب مالك بن أنس الأصبحي المعروف بالمذهب المالكي المتوفى عام ١٧٩هـ.
٣. مذهب محمد بن إدريس الشافعي، المعروف بالمذهب الشافعي المتوفى عام ٢٠٣هـ.
٤. مذهب أحمد بن حنبل الشيباني، المعروف بالمذهب الحنبلي المتوفى عام ٢٤١هـ.

وأصدرت الخلافة العباسية أمرًا باتِّباع أحد هذه الأربعة المذاهب، في حين استمرت الإمامية على ما كانت عليه من استنباط الأحكام من القرآن الكريم وأحاديث الرّسول والأئمة المعصومين (عليهم السلام)، ولم تحدث اختلافات اساسية في المذهب الإمامي كما حدثت في المذهب السُّنِّي.

وبهذه الانقسامات يصبح لدينا خمسة انقسامات على المذهب الفقهي (المذهب الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي والمذهب الشيعي)

ويعتبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام المؤسس لعقائد المذهب الإمامي، حيث يعتبر كتاب (نهج البلاغة) بعد القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية هو المصدر الأساس للعقائد الأساسيَّة، وفيه تفاصيل العقيدة، ثم من بعده يلتزم الامامية بأخذ أصول عقائدهم وفروعهم الفقهيَّة من أبناء علي بن أبي طالب، ويعرفون بالإمامية لالتزامهم وإيمانهم باثني عشر إمامًا يعتقدون بعصمتهم ووجوب طاعتهم على الأمة، بعدما نص النبي عليهم وأنبا عنهم:

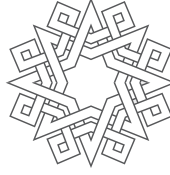


وهم بعد الامام علي، ابناه السبطان الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين السجاد، ثم محمد بن علي الباقر، ثم ابنه جعفر بن محمد الصادق، فموسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، وبعده ابنه محمد بن علي الجواد، ثم ابنه علي بن محمد الهادي، ثم ابنه الحسن بن علي العسكري، ثم ابنه محمد بن الحسن العسكري (الامام المهدي) عليه السلام جميعاً. (١)

---

(١) ولمراجعة سيرة حياتهم الشريفة وأدوارهم في خدمة الدين وحفظ الشريعة فقد كتب الإمامية كتباً كثيرة، ننصح بمراجعتها للتعرف على تلك الجهود العظيمة، حتى لقد بذلوا حياتهم من أجل حفظ الشريعة المحمدية، ومن أوسع الكتب (٤٠ جزءاً) وأيسرها في تناول موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام للمرحوم الشيخ باقر شريف القرشي.





## النبي الشهيد يحيى بن زكريا عليه السلام

﴿كهيحص ذكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكْرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبَّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾. (١) الحديث عن النبي الشهيد يحيى بن زكريا عليه السلام سيتطرق إلى: الإعجاز في ولادته، مسألة وراثته لأبيه النبي زكريا، بعض صفاته.

### الإعجاز في ولادة النبي يحيى

دعا زكريا ربه أن يهب له ذرية طيبة؛ بعد أن لفت نظره الإعجاز المركب من رزق الله تعالى للعدراء مريم من دون مقدماتٍ سببيةٍ ماديةٍ مبذولة؛ بالإضافة إلى رزقها فاكهةً في غير موسمها. يقول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَةً طَيِّبَةً﴾. (٢)

(١) مريم ١-٧.

(٢) آل عمران: ٣٨.

لفت هذا الإعجاز الرباني نظرَ وفكرَ النبي زكريا ليطلب الذرية الطيبة من الله تعالى؛ على الرغم من وجود عوائق مادية طبيعية؛ تتمثل في كبر سن زكريا نفسه، وعقم وكبر سن زوجته. تشير إلى ذلك الآيات الكريمة في سورة مريم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا \* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا \* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

استجاب الله تعالى الذي أعطى لمريم الرزق دون سبب مادي، وفي غير موسمها؛ لطلب زكريا ﷺ بأن رزقه (يحیی) بطريقة إعجازية مركبة أيضًا؛ حيث كبر سن الزوجين مانع طبيعي أول، وعقم الزوجة في الأساس حال شبابه مانع طبيعي ثانٍ.

وفي ذلك درسٌ للبشر ألا يستعظموا شيئًا في طلبهم ودعائهم لربهم؛ فهو الخالق الرازق المحيط القادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

### وراثه يحيى لأبيه زكريا ﷺ

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

هناك خلافٌ بين مفسري مدرسة أهل البيت من جهة وبين مفسري مدرسة الخلفاء من جهة أخرى؛ حول موضوع تلك الوراثة. فبينما صرف مفسرو مدرسة الخلفاء وراثه الأنبياء إلى النبوة نفسها؛ أي أن الأنبياء لا يورثون لأبنائهم المتاع المادي كسائر البشر؛ بل إن كان من إرثٍ للأبناء فهو النبوة! ومرد ذلك المنحى إلى أنهم جعلوا الحديث الذي يرويه الخليفة الأول عن النبي (نحن معاشر الأنبياء لا نورث درهمًا ولا



دينارًا وما تركناه فهو صدقة - في نقل - (أو) فهو لولي الأمر - في نقل آخر - جعلوا ذلك الحديث - أصلاً؛ وفسروا القرآن بحسب مؤداه؛ وذلك رفقاً للخرج العقدي في منع الخليفة الأول فاطمة ﷺ ميراثها من أبيها رسول الله ﷺ.

أمّا مفسرو أهل البيت فالأصل عندهم القرآن. والأحاديث تُعرض عليه؛ فإن وافقته أخذ بها، وإن لم توافقه تركت. والمعنى الحقيقي للوراثه، والأصل فيها؛ وراثه المتاع المادي وليس المنصب أو المكانة فضلاً عن النبوة. وتخصيص وراثه بالنسبة للأنبياء تحتاج إلى مخصصٍ وقرينة؛ وهذا ما احتجت به الزهراء عليها السلام في الخطبة الفدكية عندما قالت: «ما كان أبي عن كتاب الله صادقاً ولا لأحكامه مخالفاً. أعلى عمداً تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ وقال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾»<sup>(١)</sup>.

ثم في الأساس؛ هل ورث الأنبياء النبوة لأبنائهم؟!

تاريخ الأنبياء يوضح خلاف ذلك؛ إذ:

- لم تستمر النبوة في عقب يعقوب النبي في امتداد ابنه النبي يوسف بالضرورة ومنحصراً؛<sup>(٢)</sup> وإنما كان الأنبياء أيضاً من صلب ابنه غير النبي (لاوي)؛ و(يهوذا) وهذا يدل على أن النبوة لا تنتقل بالوراثه؛ إنها هي بأمر الله سبحانه وتعالى واصطفائه. - في قضية موسى وهارون؛ الصفات المتوفرة في هارون من كبر السن وفصاحة اللسان؛ تؤهله - بالنظر العادي - أن يكون هو النبي؛ لكن جعل الإلهي والاصطفاء كان باتجاه موسى عليه السلام. وفيما بعد بدل أن يكون الأوصياء من ذرية موسى

(١) ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء ٢١.

(٢) وأما على الرأي المعروف والذي لم نقله فيما سبق فإن يوسف قد رفعت النبوة من ذريته!

النبي كانوا من آل هارون.

- طلبُ زكريا عليه السلام الولدَ الصالحَ من الله تعالى ليأخذَ من بعده متاعه وأشياءه؛ كي لا تتبعثر بين الموالي وقربته وبني عمومته السيئين. ولا معنى من أن يطلب زكريا من ربه أن يكون الولدُ صالحاً؛ طالما هو بحسب كلامهم نبيُّ فصفةُ الصلاحِ متحققةٌ فيه في الأصل.

### من صفات النبي يحيى عليه السلام

١. هو أول من أطلق عليه اسمُ (يحيى): يقول الله تعالى: ﴿بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾<sup>(١)</sup> لم يكن قد سُميَ أحدٌ قبله باسم (يحيى).

٢. كان سيِّداً شجاعاً جسوراً، قال تعالى: (وَسَيِّدًا)

كان سيِّداً، أي صاحب شخصية ليس بذليل النفس، وكان شجاعاً لذلك واجه طاغية زمانه الذي قيل بأن اسمه (هيرودس)<sup>(٢)</sup> وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر الذي كان فيه من ارادته الزواج بابنة أخيه وهو محرم عندهم لما كانوا عليه من الالتزام العام بالشرائع اليهودية وهي تحرم بنات الأخ.

٣. كان حصوراً، والمعنى أنه ليس له رغبةٌ في النساء؛ كما يرى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام من تنزيه الأنبياء من أيِّ نقصٍ في النواحي العقلية والبدنية وخلافها؛ لا أنه (عنياً) - كما يذهب بعض مفسري مدرسة الخلفاء لمفردة حصورا- إذ تستلزم (العنة) وجودَ نقصٍ فيه. رغبته كانت منصرفة عن النساء إلى ما

(١) مريم: ٧.

(٢) كان الحاكمون على أورشليم (القدس) وما حولها من مناطق فلسطين من اليهود ولكنهم يعينون من الرومان الذين كانوا مسيطرين على المنطقة عسكرياً وسياسياً.





هو أعظم عنده. ولعل الظروف التي عاشها نبي الله يحيى والمصير الذي انتهى إليه كان من الأنسب له أن يكون دون ارتباط بزوجةٍ وعُلقَةٍ بأولاد. كانت روحه معلّقةً بالملا الأعلى، أي أنه لم يكن من أهل الدنيا. كان شديد الخوف من الله؛ إذا ذُكرت أمامه الجنة حسبته ستخرج روحه شوقاً إليها، وإذا ذُكرت النار يهيم على وجهه. ولذلك ذُكر في بعض الروايات أن زكريا النبي كان إذا أراد أن يعظ بني إسرائيل - وكان في ذلك الوقت بنو إسرائيل قد تعمقت فيهم الحالة المادية إلى أقصى درجاتها؛ يعظهم باستمرار في هذا الجانب ويحذرهم من نار جهنم والعذاب الأخروي، ويرغبهم في الآخرة. فينظر نبي الله زكريا إلى الحضور؛ فإذا كان فيهم ابنه يحيى؛ كان يُعرض عن ذكر نار جهنم؛ رحمةً وشفقةً بابنه يحيى. فمثل هذا الشخص لا يناسب أن تكون له زوجةٌ وأولاد. بالإضافة إلى أن كونه حصورًا حكمةً من الله ﷻ لأن أي امرأة سيصعب عليها العيش مع إنسان بهذه الصفات.

### بيانٌ مهم:

في الشريعة الإسلامية لا يجوز الانصراف عن الدنيا كليةً بحجة التبتل والانقطاع إلى الله، بل إن شريعتنا سهلةٌ يسيرةٌ سمحةٌ متوازنة؛ تطعمك الدنيا بالحلال كما شئت - وهذا ليس قدحًا في الشرائع السماوية السابقة؛ فالمشرع واحد؛ غير أن كل شريعة تراعي الظرف الذي وجدت فيه، والناس الذين جاءت لهم - فقد روي أن امرأة دخلت على أبي عبد الله ﷺ فقالت: أصلحك الله إني امرأةٌ متبتلةٌ فقال: وما التبتل عندك؟

قالت: لا أتزوج، قال: ولم؟ قالت: ألتمس بذلك الفضل، فقال: انصرفي فلو كان ذلك فضلًا لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منك إنه ليس أحد يسبقها إلى

الفضل. (١) أمّا ما يخصُّ رغبةَ نبي الله يحيى عليه السلام عن النساء؛ فكانت طريقةً ممدوحةً بحسب التشريع السماوي آنذاك. ولعلَّ هذا التوجيه الروحي المبالغ فيه يهدف إلى تنبيه المجتمع اليهودي الغارق في الماديات إلى ضرورة التعلُّق بالخالق وما يستلزمه من تذكّر الآخرة وما فيها من نعيمٍ وعقاب.

٤. كان ذا زهدٍ وخوفٍ من الله بشكل استثنائي؛ وينقل مفارقة بين عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام؛ إذ كان عيسى أكثرَ تفاؤلاً برحمة الله، بينما كان يحيى أكثرَ حزنًا وخوفًا من الله تعالى. فيقال أن يحيى لقي عيسى عليه السلام، وعيسى متبسّم، فقال يحيى عليه السلام: ما لي أراك لاهياً كأنك آمن؟ فقال عليه السلام: ما لي أراك عابساً كأنك آيس؟ فقالا: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي، فأوحى الله إليهما: أحبكما إليّ الطلق البسام، أحسنكما ظنا بي. (٢)

■ استفاد من الروايات أن يحيى عليه السلام كان في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر صريحاً وواضحاً ومباشر اللهجة؛ بخلاف طريقة عيسى بن مريم عليه السلام الذي كان يضرب الأمثال حال وعظه، ويتكلّم بلغةٍ عامة دون أن يوجّه خطابه إلى مُعيّن.

■ ويُذكر أنّ أصول النبي يحيى أصولٌ مسيحيةٌ. وقد ذكر المؤرخون المسلمون في ذيل الحديث عن سبب تسميته بالمعمدان؛ أنّه في التراث المسيحي يُسمى (يوحنا المعمدان) لأنه كان يعمّد الناس. وورود مفردة (التعميد) في حقّ يحيى عليه السلام في الموروث الإسلامي كثيرٌ؛ لكنّه منقول عن المصادر المسيحية الأصلية. ولم نقف على فكرة تعميده للناس في المصادر الإسلامية الأصلية

(١) الكليني، الكافي - ط الاسلامية ٥ / ٥٠٩.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد: شرح نهج البلاغة ٦ / ٣٣٣.



المتمثلة في الروايات عن النبي ﷺ أو عن أهل البيت ﷺ فضلاً عن القرآن الكريم. فتبقى هذه الفكرة موجودة؛ ما لم يأت دليل على خلافها.

■ التعميد مازال موجوداً إلى اليوم عند المسيحيين وعند الصابئة، ويعتبرونه وبالأخص عند الكاثوليك - قضية مهمة جداً. وحاصل ذلك أنه لا بد من غسل الإنسان في ماء، ويعتبرونه سراً من الأسرار وأمرًا مقدسًا، وبالتعميد يبقى هذا الإنسان مسيحيًا إلى آخر عمره. وهم في ذلك طرق متعددة، منهم ما يكون تعميدهم بالانغماس كلية في الماء (كالغسل الارتماسي عند المسلمين) وتلاوة بعض الأذكار. و فرُق أخرى... يكون التعميد عندهم بغسل أجزاء معينة من البدن، ثم يمسحون على جبين المعمد بطريقة معينة تصاحبها أذكارٌ خاصة. والذي يقوم بعملية التعميد لا بد أن يكون كاهنًا (قسًا). بالنسبة لنظرتنا نحن المسلمين للتعميد؛ لا نعلم ما إذا كان من الأمور المبتدعة والمحرفة أو من ضمن الشريعة السماوية النقية. يحيى وعيسى ﷺ كانا أقارب (أبناء خالة) ومتعاصرين زمانًا، ومتجاورين فكانا يعيشان ضمن دائرة مكانية متقاربة، إلى أن استشهد يحيى ﷺ، وبقي عيسى بن مريم ﷺ زمنًا يواصل الدعوة إلى الله تعالى إلى أن رُفع إلى السماء.

في هذه الأثناء توفي نبي الله زكريا ﷺ وفاة طبيعية (كما يعتقد الإمامية)؛<sup>(١)</sup> بخلاف

(١) هناك رواية ذكرها العلامة المجلسي في البحار ١٤٦/٧٩ ناقلا عن السيد ابن طاووس الحسني، بسنده إلى الامام الصادق ﷺ حين أرسل رسالة لعبد الله بن الحسن بن الحسن المجتبي حين حُمل هو وأهل بيته من قبل السلطة العباسية يعزيه عما صار إليه ويذكر فيها ما جرى من الآلام على أنبياء الله وأوليائه، فذكر في هذه الأثناء قتل زكريا ويحيى فقال « ولولا ذلك لما قتل زكريا ويحيى بن زكريا ظلما وعدوانا في بغي من البغايا » وإذا كان النص صحيحا وكان المقصود منه ما هو ظاهره وكانت جهة التقية فيه متفوية فإنه يعتبر من النصوص القليلة التي تشير إلى مقتل زكريا كما عليه رأي مدرسة ==

ما يعتقد بعض المتتمين لمدرسة الخلفاء من أنه ﷺ مات مقتولاً شهيداً، ويوافقون بذلك قسمًا من الصابئة والمسيحيين. وقد ورد في بعض مصادر مدرسة الخلفاء حديثٌ عن النبي ﷺ «الشَّهِيدُ ابْنُ الشَّهِيدِ يَلْبَسُ الوَبْرَ وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ مَخَافَةَ الذَّنْبِ». (١)

==الخلفاء، حيث لديهم تفصيل في طريقة مقتله وأنه طلب من الحاكم فدخل إلى شجرة وانطبقت عليه فشقه هو والشجرة بالمنشار، كما ورد في بعض مصادرهم، أو أنه قتل لاتهامه بارتكاب الفاحشة مع مريم! ولم أعثر على نص آخر من طريق الامامية يفيد بوفاته قتلا غير هذا.

(١) ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ دمشق ١٩٠ / ٦٤ وقد علق عليه بعضهم بأنه مرسل لابن عساكر عن ابن شهاب وهو دال على ضعفه: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ يَوْمًا وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَضَلَّ الْأَنْبِيَاءَ فَقَالَ قَائِلٌ: مُوسَى كَلِيمُ اللَّهِ. وَقَالَ قَائِلٌ: عِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ. وَقَالَ: قَائِلٌ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ [وَهُمْ يَذْكُرُونَ ذَلِكَ] فَقَالَ: أَيْنَ الشَّهِيدِ ابْنُ الشَّهِيدِ، يَلْبَسُ الوَبْرَ وَيَأْكُلُ الشَّجَرَ مَخَافَةَ الذَّنْبِ!. وهو يثير إشكالات مهمة عن مضمونه إذ كيف لأحد أن يتوقف في تفضيل النبي إبراهيم على يحيى بن زكريا؟ وأشد إشكالا منه الصياغة الأخرى لحديث التفضيل والذي ورد في نفس المصدر حيث زعموا أن النبي فَضَّلَ زكريا وقدمه على نفسه الزكية مما يقطع المسلم بأنه لا صحة له! فقد ذكر في نفس الصفحة عن ابن شهاب: كنا جلوسا في حلقة في المسجد نتذاكر فضائل الأنبياء أيهم أفضل فذكرنا نوحا وطول عبادته وذكرنا إبراهيم خليل الله وذكرنا موسى كليم الله وذكرنا ابن مريم روح الله وذكرنا رسول الله ﷺ فبيننا نحن كذلك إذ خرج رسول الله ﷺ! فقال: ما كنتم تذكرون بينكم؟ قلنا: يا رسول الله كنا نذكر فضائل الأنبياء أيهم أفضل فذكرنا نوحا وطول عبادته وذكرنا إبراهيم خليل الرحمن وذكرنا موسى وذكرنا عيسى وذكرناك أنت يا رسول الله. قال: فمن فضلتم؟ قلنا: فضلناك يا رسول الله بعثك الله إلى الناس كافة وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأنت خاتم الأنبياء! فقال رسول الله ﷺ: أما إنه لا ينبغي لأحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا!

قلنا: يا رسول الله ومن أين ذلك؟ قال: أما سمعتم كيف وصفه الله في كتابه فقال «يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا» وقال «وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين» ولم يعمل سيئة قط ولم يهجم بها ..

أقول من الواضح أن هذه الآيات ليس فيها تفضيل على سائر الأنبياء، فقد حوَّط موسى بأخذ التوراة بقوة، وأوتي عيسى الكتاب والنبوة في المهدي، وأما كونه لم يعمل سيئة ولم يهجم بها فهذا جارٍ في سائر الأنبياء من جهة العصمة الضرورية، وكونه نبيا من الصالحين لا يقتضي تفضيله عليهم..



## شهادة يحيى بن زكريا ﷺ

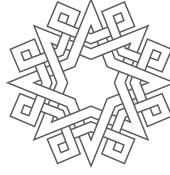
تقريباً يوجد اتفاقٌ من جميع المسلمين على أن يحيى بن زكريا ﷺ استشهد شهادة داميةً. وذكر فيه الكثيرُ من الأحاديث والروايات والمقارنات؛ ومن ذلك ما سطره الشيخ المبرور حسين العصفور المتوفى عام ١٢١٤ هـ - من أعلام المدرسة الأخبارية - في كتابٍ له عن وفاة النبي يحيى بن زكريا ﷺ؛ حيث ساقَ عدداً من الروايات التي تفيد شهادته. ودائماً ما تُذكر أوجه المشابهة بين شهادة النبي يحيى وشهادة الامام الحسين ﷺ في كثير من الموارد؛ فكلاهما قتل على يد طاغية زمانه.

استشهد الإمام الحسين ﷺ على يد الطاغية يزيد، ويحيى ﷺ استشهد على يد (هيرودس) الذي كان يريد أن يتزوج امرأة لا تحل له (قيل ابنة أخيه). مما حدا بيحيى ﷺ أن يجاهر بمعارضته لما يقوم به الحاكم من امتهانٍ للشرع؛ إرضاءً لغرائزه ونزواته. وقد بين النبي يحيى أن ما يحاوله الحاكم من هذا الزواج يُعدُّ جرأةً على أحكام الله ﷻ، وهو حرامٌ شرعاً ومخالفٌ للفترة. وقد قيل إن هذه المرأة الفاجرة العاهرة رقصت أمامه متزينةً، متبرجةً إلى أن سيطرت على قلبه، فقال لها: تمني علي ما شئت. فقالت له: أريد رأس يحيى بن زكريا. فأرسل إلى يحيى ﷺ بعض جلاوزته، وقطعوا رأسه وجاؤوا به في طبق إلى هذه البغي الفاجرة.

---

ومن المعلوم بعد هذا أن نبينا المصطفى هو (سيد ولد آدم) كما روي عنه من الفريقين! وأنه (خير خلق الله) قاطبة! وهذه من البديهيات التي لا تحتاج لاستدلال عند المسلمين.. فسبحان الله كيف نقلوا هذا الحديث أنه لا ينبغي لأحد أن يكون أفضل من يحيى! المخالف لما هو معروف عند عامة المسلمين وعليه قامت الأدلة الكثيرة من أفضلية النبي على من عداه من الخلائق!





## الصابئة عقائدهم والموقف الإسلامي منها

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ<sup>(١)</sup> وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

الصابئة لغةً: من (صبأ)؛ يعني انتقل من دين إلى دين آخر.

الصابئة اصطلاحًا: تُطلق على جماعة يؤمنون بعقائد معينة ويتواجدون في مناطق محددة. يأتي الحديث عنهم.

تعتبر الصابئة من الديانات التي لها شبهة كتاب سماوي ولذلك يتعامل معهم فقهاء الامامية بأحكام أهل الكتاب وبالرغم من أنهم يعتقدون بأنهم أصحاب أقدم ديانة سماوية بما في ذلك اليهودية، حيث ينسبون أنفسهم وثقافتهم إلى النبي شيث هبة الله بن آدم، إلا أن تعداد أتباع هذه الديانة يعد قليلا بالقياس إلى سائر الديانات السماوية.

(١) اعترض البعض -لا سيما من مخالفي القرآن على الآية المباركة - بأنها مخالفة لقواعد اللغة، وهذا يعني أن القرآن فيه أخطاء نحوية فلا يمكن أن يكون وحيا منزلا من السماء! وللإجابة على هذه الشبهة راجع آخر الكتاب ملحق ٣.

(٢) المائة: ٦٩.

يقول الباحثون بأنه؛ لارتباط ديانتهم بالماء الجاري بشكل كبير فإنهم عادة ما يتواجدون بمحاذاة بعض المياه الجارية وخصوصا الأنهار، فهم مثلا في العراق في مناطق شاطئي نهر الفرات ودجلة. وفي الأهواز الإيرانية على ضفاف نهر (كارون). وكذلك لهم تواجدٌ -بحسب ما نُقل- قرب نهر (بردى) بالشام.

ويرجعون جذر التسمية (صبا) الذي يعني في اللغة الآرامية اصطبغ أو غطس في الماء. ويعتمدون على كتاب لهم اسمه (كنزاً ربّياً). ولديهم أفكار خاصة يأتي الحديث عنها في صفحات قادمة.

ورد ذكرُ (الصائبين) في القرآن الكريم ثلاثَ مرات؛ ذُكروا في آيتين بأنهم من ضمن الذين لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وفي آية ثالثة ذكروا باعتبار أنهم من ضمن الذين سيفصل الله بينهم يومَ القيامة إلى جانب اليهود والنصارى والمجوس.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) البقرة: ٦٢.

(٢) الحج: ١٧.

(٣) المائدة: ٦٩.





وتشير هذه الآيات المباركات أسئلة منها:

أولاً: هل في الآيات الكريمة دلالة على جواز التعددية الدينية وأن انتهاج أي إنسان طريقاً من الطرق المذكورة يوصله إلى الجنة؟

ثانياً: ماهي العقائد الأساس للصابئة؟

ثالثاً: ما هو الموقف الإسلامي من دين الصابئة؟

أولاً: في شبهة دلالة الآية على جواز التعدد الديني:

### وبالنسبة للسؤال الأول

والذي حاول أن يتمسك به دعاة التعددية الدينية، يقولون إن ظاهر الآيتين الكريمتين (من سورتي البقرة والمائدة) أن المؤمنين من أتباع الشريعة المحمدية، واليهود، والنصارى، والصابئين؛ مُبشرون بالفوز يوم القيامة؛ لا يصيبهم حزنٌ ولا خوفٌ؛ وبالتالي - حسب الظاهر - يمكن لليهودي والنصراني والصابئي البقاء على ديانتهم؛ وضمن النجاة في الآخرة.

والجواب على هذه الشبهة بأمور - بالإضافة إلى ما سبق ذكره في فصل التعددية الدينية والأصول المشتركة -:

١. إن صريح الآية الكريمة في قوله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)<sup>(١)</sup> يمنع من هذا، فإنه اعتبر أن اتخاذ غير الإسلام ديناً بعد مجيء رسول الله ونسخه سائر الشرائع والديانات غير مقبول، وأن نتيجته الخسارة في الآخرة. نعم من كان على إحدى تلك

(١) آل عمران: ٨٥.

الديانات قبل بعثة رسول الله فهو لا خوف عليه..

لا يقال: إن تلك الديانات هي الإسلام، بالمعنى اللغوي، فإن فيها استسلامًا لله تعالى وخضوعاً له، وبالتالي فإن هؤلاء أيضاً يبتغون - بديانتهم - الإسلام، فلن يكونوا خاسرين!

والجواب عنه: بأن هذا هو نوع من المغالطة فإن عنوان الإسلام واضح في أن المقصود منه اتباع النبي محمد ﷺ، دون سائر الديانات والشرائع، والشاهد على ذلك أن النبي كان يدعو أصحاب تلك الديانات للإسلام، فلو كان الأمر كما تقولون لكان من السهل أن يجادل اليهودي والنصراني والصابئي النبي محمداً بأن ديننا هو الإسلام بمعنى الاستسلام! فلماذا تدعوننا إليه؟

ولكان من الخطأ أن يقول القرآن الكريم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ ويقصد بذلك اليهود! وكان من الخطأ أن يخص الله المسلمين بأنه رضي (لهم) الإسلام ديناً،<sup>(١)</sup> إذا كان الإسلام يعني كل الأديان الأخرى فماذا يعني أن يمن عليهم بأنه أكمل عليهم النعمة حينما رضي (لهم) الإسلام ديناً؟

٢. إن من المعلوم أن القرآن الكريم<sup>(٢)</sup> قد انتقد الأخبار والرهبان وأتباعهم من اليهود والنصارى كثيراً إذ لم يستجيبوا للرسول ووصفهم بالكفر<sup>(٣)</sup> فكيف

(١) ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣.

(٢) في سورة البقرة، وسورة آل عمران وسورة النساء، وسورة المائدة، والتوبة، وسورة القصص..

(٣) فقال ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ المائدة: ١٦ / وقال ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ المائدة: ٧٣ وقال ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ (التوبة: ٣٠ / وخاطبهم بالقول: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ \* يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران ٧٠-٧١ وقرعهم بالقول ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ آل عمران: ٩٩ وبأن كثيراً منهم يودون لو يرد المسلمون كافرين وثنيين ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ



يصفهم هناك بالكفر والمروق عن الدين والمشاقة لله، والاستكبار على أوامره.. إن هذا لهو عين التهافت والتناقض فيما أن يكونوا كفارًا فلا معنى للقول بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون! وإما أن يكونوا من أهل الجنة فلا معنى لأن يكونوا كفارًا! ولكن الصحيح هو ما سيأتي أن تلك الأحكام كانت ثابتة لهم قبل مجيء الرسالة الخاتمة فلما جاءت لم يكن مقبولاً من أحد غير إسلام رسول الله، بل لو جاء موسى وعيسى ﷺ بنفسيهما لما كان لهما إلا أن يتبعا النبي محمداً ﷺ.

٣. إن من المعلوم لكل من اطلع على التاريخ أن النبي ﷺ، قد دعا اليهود والنصارى (من قادة سياسيين وزعماء دينيين وعامة) للدخول في دين الله فدعا هرقل المسيحيين وأرسل له رسالة للدخول في الإسلام والمقوقس المسيحي في مصر كذلك، ونجاشي الحبشة المسيحي، ويهود المدينة وكل أولئك كانوا على ملة وديانة ولم يقل إن هؤلاء ناجون فلا ينبغي دعوتهم، كما لن يقبل منهم ذلك لو قالوا؛ ولو كان بقاؤهم على دينهم ينجيهم لكانت دعوتهم إلى غير دينهم لغوا، فكيف إذا كانت مقرونة بالحروب كما هو في حال اليهود!

إذن ما دام تفسير الآيات بالتعددية الدينية خاطئاً، فما هو التفسير السليم لهذه الآيات؟

إن هناك تفسيرين لها كلٌّ منهما يمكن أن يكون صحيحاً:

الأول: أنها تتحدث عن المؤمنين والمسلمين حالياً، وعن اليهود والنصارى والصابئة قبل بزوغ شمس الإسلام أي أن أصحاب الديانات المذكورة -ممن لم

---

إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿البقرة: ١٠٩﴾

يُدرِكُوا الإسلامَ - إن آمنوا بالله وبالْيَوْمِ الآخِرِ وعملوا الصالحات؛ فهم موعودون بالفلاح والفوز يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أما مَنْ أدرك الإسلامَ منهم أو وُلِدَ فِي زَمَانِ الإسلامِ؛ لا يسعه - إن أراد النجاة - إلا اتبَعَ الإسلامَ.

ومما يؤيد هذا التفسير ما ورد من سبب نزول الآية المباركة؛<sup>(١)</sup> إذ كانت جوابَ السماءِ على سؤالٍ وجهه سلمانُ المحمدي رضوان الله عليه للنبي ﷺ لخصوصِ نِجاةِ أو هلاكِ أتباعِ الدياناتِ السابقة (اليهود والنصارى والصابئين) ممن لم يدرِكُوا بعثة النبي؛ فكان نزول الآية تقريراً أنّ أولئك إن صدقَ إيمانهم بالله وبالْيَوْمِ الآخِرِ وجمعوا مع ذلك الصالح من العمل فهم في ركبِ الناجين يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الثاني: مؤداه أنّ إيمان النصارى واليهود والصابئة بالله واليَوْمِ الآخِرِ؛ يقتضي ويستلزم التصديق بنبوّة محمد ﷺ؛ ذلك أنّ كتبهم السماوية غير المحرّفة تُبشّرُ بولادة الدين الذي يختم الله به الأديان، ويكون مهيمناً عليها، وتذكرُ صفات النبي المبعوث بذلك الدين. وعليه... فإنّ المدار والمعوّل ليس على إدعاء الإيِّمانِ بدينٍ من الأديان؛ إنّما المدار على الإيِّمانِ الحقيقي الذي يقود إلى الالتزام بتعاليم ووصايا ذلك الدين. ومن تعاليم ووصايا تلك الأديان أن يؤمنوا برسول الله ويشهد لذلك قوله تعالى

(١) الطبري، محمد بن جرير: تفسير جامع البيان ط هجر ٢ / ٤٤: وقد نقل قصة اسلام سلمان الفارسي، حين اجتمع برسول الله ﷺ، إلى أن قال:.. فَبَيْنَا هُوَ يُحَدِّثُهُ إِذْ ذَكَرَ أَصْحَابَهُ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُمْ، فَقَالَ: كَأَنَّا بَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيُؤْمِنُونَ بِكَ، وَيَشْهَدُونَ أَنَّكَ سَتُبْعَثُ نَبِيًّا؛ فَلَمَّا فَرَعَ سَلْمَانُ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ قَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «يا سلمانُ هُمُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى سَلْمَانَ، وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُ سَلْمَانُ: لَوْ أَدْرَكْتُكَ صَدْفُوكَ وَاتَّبَعْتُكَ، فَانزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ البقرة: ٦٢ «فَكَانَ إِيمَانُ الْيَهُودِ أَنَّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِالتَّوْرَةِ وَسُنَّةِ مُوسَى حَتَّى جَاءَ عِيسَى، فَلَمَّا جَاءَ عِيسَى كَانَ مَنْ تَمَسَّكَ بِالتَّوْرَةِ وَأَخَذَ بِسُنَّةِ مُوسَى فَلَمْ يَدْعُهَا وَلَمْ يَتَّبِعْ عِيسَى كَانَ هَالِكًا وَإِيمَانُ النَّصَارَى أَنَّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْإِنْجِيلِ مِنْهُمْ وَشَرَّاعِ عِيسَى كَانَ مُؤْمِنًا مَقْبُولًا مِنْهُ، حَتَّى جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهُمْ وَيَدْعُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُنَّةِ عِيسَى وَالْإِنْجِيلِ كَانَ هَالِكًا..»



﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ \* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿. فَإِنَّا تَكْتَبُ هَذِهِ الرَّحْمَةَ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ، أَمَا مَنْ لَا يَتَّبِعُونَهُ مَعَ عِلْمِهِمْ فَلَا تَنَالُهُمْ تِلْكَ الرَّحْمَةُ.

ويشهد له أيضًا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾.

## العقائد الأساسية للصابئة

يشارك الصابئة مع المسلمين في عقائد وأحكام<sup>(١)</sup>؛ منها:

١. الاعتقاد بالله ﷻ: فهم يؤمنون - بحسب كتبهم - بالإله الواحد الأحد الذي لا مثيل ولا نظير له، والذي ليس بجسم، وهذا المقدار من المعرفة بالله سبحانه يشترك فيه الصابئة مع المسلمين. فهم يرون أنفسهم موحدين لله، وديانتهم ديانة توحيدية.

كذلك فإنهم يحترمون ويعظمون عددًا من الأنبياء ﷺ، بينهم آدم أبو البشر، وابنه شيث هبة الله، وكذلك ادريس (اخنوخ) ونوح ويحيى بن زكريا حيث ينظرون ليحيى وكأنه نبيهم الأكبر.

التعاليم الأخلاقية والدينية: كما يوجد في تشريعات الصابئة أحكام تتفق كثيرًا مع المسلمين؛ وهذا راجع إلى ما يقوله بعض العلماء - ممن سيأتي ذكر فتاواهم - أن الصابئة هم قسم من المسيحيين وكان لديهم بعض المبادئ والتعاليم الباقية من زمان شيث بن آدم وإبراهيم الخليل ﷺ ويحيى، فهم في العلاقات الجنسية؛ يجرمون اللواط والزنا،

(١) يراجع: الخيون؛ رشيد: الأديان والمذاهب بالعراق ص ٢٠-٧٠ منشورات الجمل / ألمانيا ومواقع خاصة بالصابئة على النت أو كتبت عنهم.

ونكاح المحارم (الأم والأخت والعممة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت). ويؤكدون كثيرا على الزواج - حتى بالنسبة لرجال الدين - وأن العلاقة بين الرجل والمرأة ينبغي أن تكون في إطاره، كما يؤكدون كثيرا على موضوع العذرية حين الزواج الأول.

وفي ما يرتبط بصيانة النفس المحترمة وتحريم قتلها والاعتداء عليها، والنظرة إلى الصدق، وحرمة الكذب والأمانة؛ ذلك أن هذه التعاليم الأخلاقية أمورٌ مشتركة بين الديانات السماوية جميعها.

### ما يتفاوت فيه الصابئة مع المسلمين:

موقف الصابئة من الكواكب والنجوم: يقول بعض من كتب عنهم إن الصابئة يُقدِّسون الكواكب والنجوم والأفلاك، وينسبون إليها تدبير الكون؛ من مطرٍ، وورقٍ، ويستفيدون من حركتها في استشراف المستقبل.

لكن الصابئة ينفون ذلك بقوة وقد أشار لذلك الباحث الخيَّون في كتابه؛ ونقل عنهم أن هناك نصوصا مندائية بليغة تحذر من عبادة الكواكب والنجوم. وينقل عن بعضهم: أن علاقتهم بالكواكب والنجوم هي نفس العلاقة التي تربط أبناء الشرق بالنجوم من قراءة طالع المواليد الجدد أو تحديد الأوقات والساعات المباركة للبدء بالأعمال المهمة لهم.

كذلك فإن مما يعتقدون به في الكواكب، أنهم يؤمنون بوجود بشر آخرين عليها، بل إنهم يرجعون أصل البشرية إلى تزواج أبناء آدم من بنات قدم من عالم وكواكب أخرى. لذا يحظى هذا العالم الآخر عندهم بمكانة خاصة.

كذلك فإنهم كما نقل عنهم يتوجهون في ذبحهم (مع أن الذبح عندهم يتقدمه ذكر أو صلاة هي بمثابة الاستغفار عن ذبح الحيوان)، وفي صلاتهم - التي يؤدونها في ثلاثة



أوقاتٍ بأذكارٍ مخصوصة - جهة الشمال. وتحديد جهة الشمال خاضع لفلسفة خاصة تعتمد على (أن جهة الشمال هي المباركة لأنها مكان الحق، وآية ذلك أن أعذب النسائم تهب من جهة الشمال)<sup>(١)</sup>

### الماء والطهارة والتعميد:

للماء الجاري؛ كماء النهر موضع بارز في عقائدهم وأحكامهم، وهذا بحسب باحثين هو أحد الأسباب التي جعلت الصابئة يفضلون الحياة قرب الأنهار لأنها تسهل لهم ممارسة طقوسهم العبادية، ولا سيما التعميد الذي يرونه أساسيا فلا يمكن أن يكون الواحد منهم مؤمناً متديناً دون أن يُعمد. والتعميد هو؛ أن يأتي الواحد منهم (رجلاً كان أو امرأة) وهو لابس ثياباً بيضاء وينزل في الماء، ويتولى الكاهن تعميده والمسح على وجهه وجبينه ورقبته ورأسه. ولا بد أن يكون بواسطة الكاهن أو رجل الدين. وهو كأنه يشبه ما لدى المسلمين من غسل الجنابة. وقد نقل أن لديهم غسلًا عن الجنابة أيضًا.

كما أنهم يعتبرون أن يحيى بن زكريا وهو كما قلنا النبي المعظم عندهم، قد عمّد عيسى بن مريم وهو أول تعميد حصل.

### الموقف الإسلامي من الصابئة

يختلف موقف فقهاء المسلمين - باختلاف مذاهبهم - من الصابئة تبعاً لتحديد موضوعهم،<sup>(٢)</sup> فالذين صنفوهم على أنهم قسم من المسيحيين، سيجعلونهم أهل

(١) الخيون، الأديان والمذاهب بالعراق ٤٥.

(٢) قد يكون سبب ذلك الاختلاف أن فرقه كثيرة، والتباين بين أفكارها - تارة بحسب مناطقها حيث عدد الفيومي صاحب كتاب تاريخ الفكر الديني الجاهلي / ٢٧٧، أقساماً متعددة من صابئة الهند

كتاب ويطبّقون عليهم أحكام أهل الكتاب أو يلحقونهم بهم. بينما أولئك الذين حدّدهم باعتبارهم عبّادًا للكواكب (نظرًا لما ذكرنا آنفًا في عقائدهم) فسيصنّفونهم على أنهم كفار إذ من يعبد الكواكب هو من الكفار. ويرتّبون عليهم أحكام الكفار. ومن رأى أنهم أكثر من فرقة وقسم فقد أعطى لكل فرقة حكمها. وهناك من لم يتحقّق له الموضوع كما ذكرنا لاختلاف فرقهم بحسب الزمان والمكان بل وتفسير الآراء، ولذلك فإن بعض الفقهاء جعل الأمر بنحو (إن ثبت أنهم كذا فالحكم كذا..).

١. فمن الذين صرحوا بأنهم طائفة من النصارى أو أن حكمهم هو حكم أهل الكتاب:

(في الطهارة وفي جواز النكاح منهم) المرجع الديني السيد أبو القاسم الخوئي فإنه قال في رسالته العملية: في تعريف أهل الكتاب.. وهم اليهود والنصارى والمجوس بلا إشكال ولا خلاف، بل الصابئة أيضًا على الأظهر، لأنهم من أهل الكتاب على ما تدل عليه الآية الكريمة وهي قوله تعالى<sup>(١)</sup>: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى

والفرس والروم والنبط وأخرى بحسب أفكارها كما قال من أصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص وأصحاب الروحانيات، وأصحاب الحلولية، وثالثة باعتبار آخر كما عنوانه باسم صابئة الفلاسفة وصابئة الحنفاء وصابئة البطائح.. وغيرهم. ونقل ما ذكره السيد عبد الرزاق الحسيني الأمر في كتابه: الصابئة قديما وحديثا ص ٢١: «من المتعذر جدا أن يوفق الباحث إلى معرفة ما بين هذه الفرق من الرابطة؛ فقد ذكر القرآن قسما من الصابئة وفسرها المفسرون بعد أن نسبوا لها أصولا تختلف كثيرا عن الصابئة الحرائية، كما أن هذين القسمين من الصابئة يختلفان كثيرا عن صابئة البطائح المبتوثين الآن في مدن العراق النهرية.

والحق أن كل فرقة من هذه الفرق تختلف في أصول معتقداتها عن الأخرى اختلافا واسعا فقد سكن الصابئة الذين ورد ذكرهم في القرآن بلاد العرب ومصر قبل الإسلام وقبل النصرانية واليهودية وقد انقرضوا وغفت أخبارهم، فأصبح من المتعذر علينا بيان معتقدتهم بالتفصيل».





وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾.

وكذلك رأى المرجع الديني السيد علي الخامنئي بعد دراسة في حال الصابئة ومناقشة وجهات نظر الفقهاء، «ان الاقوى والاطهر بحسب الادلة ان الصابئين يعدون من اهل الكتاب»<sup>(٢)</sup>.

٢. ومن الذين يستفاد منهم التفصيل بين الصابئة المندائيين فيعاملون معاملة أهل الكتاب، وبين الصابئة الحرانيين فلا يعاملون كذلك، ما قد يستفاد من بعض أجوبة المرجع الديني السيد علي السيستاني فقد قال في منهاج الصالحين: وأما الصابئة فلم يتحقق عندنا حقيقة دينهم، وقد يقال: إنهم على قسمين، فمنهم الصابئة الحرانيين وهم من الوثنية فلا يجوز نكاحهم، ومنهم الصابئة المندائيين وهم طائفة من النصراري فيلحقهم حكمهم، فإن ثبت ذلك كان الحكم ما ذكر، وإلا فالأحوط الترك مطلقاً.<sup>(٣)</sup>

٣. وثالث الأقوال؛ هو عدم تبين حال الصابئة الخارجي، وعدم اتضاح موضوعهم في الديانة وهو الذي ينتهي من الناحية النظرية إلى التوقف في الحكم عليهم بأي من النحويين ومن الناحية العملية إلى الاحتياط في التعامل الفقهي معهم؛ ويظهر من رأي المرجع الديني المرحوم السيد أبو

(١) الخوئي ابو القاسم: منهاج الصالحين ١/ ٣٩١.

(٢) الخامنئي؛ السيد علي: الصابئة: حكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية ص ٤٠.

(٣) السيستاني؛ السيد علي: منهاج الصالحين ٣/ ٦٨. وننبه هنا على خطئين مطبعيين في النص؛ في الكلمتين: المندائيين والحرانيين، فإن حقهما من الإعراب أن تكونا مرفوعتين ويكون النص هكذا فمنهم الصابئة الحرانيون، ومنهم الصابئة المندائيون. وكذلك في ضبط كلمة المندائيون، والتي ذكرت في بعض طبعات الكتاب بعنوان المندلايين وهو غير صحيح.

الحسن الاصفهاني، ومثله حاشية المرجع الديني السيد روح الله الخميني فقد جاء في وسيلة النجاة؛ الرسالة العملية للسيد الاصفهاني مع حاشية السيد الخميني: وأمّا الصابئة ففيها إشكال حيث إنه لم يتحقق عندنا إلى الآن حقيقة دينهم، فإن تحقّق أنّهم طائفة من النصارى كما قيل كانوا بحكمهم.<sup>(١)</sup>

وقد أشار المرجع الديني السيد محمد الشيرازي في موسوعة الفقه إلى أطراف الخلاف في الموضوع، في مسألة ١٧٦ من الجزء ٤٨ من موسوعته الفقهية فقال: الصابئة مع ورود ذكرهم في القرآن الحكيم، وكونهم عاشروا المسلمين من الصدر الأول إلى اليوم، دينهم مجهول، وقد قال بعض إنهم قسم من اليهود، وقال آخرون إنهم من النصارى، وقال ثالث إنهم من المجوس، وقال رابع إنهم مشركون.

وعن ابن زهرة والمفيد الإجماع على عدم كونهم أهل الكتاب، قال في الجواهر: لكن الموجود في زماننا منهم في دار الإسلام يعاملون معاملة أهل الكتاب، وإن كان هو من حكام الجور فلا يعتمد عليه في كشف الأمر الشرعي، انتهى.

لكن عن ابن الجنيد التصريح بأخذ الجزية منهم والإقرار على دينهم. وبالجملة فحالمهم مشتبه..

ثم انتهى الى القول:

الظاهر أنهم في الأصل كانوا أصحاب دين، لكن هل هو دين آدم، أم إبراهيم، أم يحيى، أم موسى، أم عيسى ﷺ فلا يعرف.

وكيف كان، فالأصل عدم كونهم أهل الكتاب بالمعنى الخاص، إذ كلما شك في نسبة إنسان إلى دين أو كتاب فالأصل عدمه، كما أنه كلما شك في نسبة إنسان إلى قبيلة

(١) وسيلة النجاة (تعليق السيد الخميني)، السيد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني، ص ٧٣٤.



أو نحوها فالأصل عدم كونه منهم..<sup>(١)</sup>

## التعايش مع الصابئة

التعايش مع المختلفين فكرياً ودينيّاً ومذهبيّاً لا ضيرَ فيه؛ خاصةً إذا كان المخالف ممن يتحلّى بميزاتٍ وأخلاقٍ عالية. بل قد يكون في بعض الحالات كما نجده في واقع المجتمعات اليوم ضرورة حياتية، إذا كان البديل عن ذلك الاحتراب الأهلي، والمنازعات الدائمة بين أرباب المذاهب والديانات المختلفة.

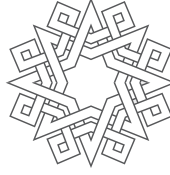
ولقد قدم لنا الشريفُ الرضي -أعلى الله مقامه- وإبراهيم الصابي، مثلاً في التعايش والاحترام المتبادل.

كان إبراهيم الصابي حسنَ العشرة، أديباً مثقفاً يحفظ القرآن، ويصوم شهر رمضان مع المسلمين، على الرغم من أن صيام الصابئة كان ثلاثين يوماً موزعةً على السنة وفق نظام معين. فنشأت بين الشريف الرضي وبينه صداقة عظيمة، دلّ عليها وعلى العلقه القوية التي جمعت الرجلين المبرزين؛ الرثاء الذي سجله الشريف الرضي في حق إبراهيم الصابي في قصيدة خالدة... مطلعها:

أعلمت من حملوا على الأعواد      رأيت كيف خبا ضياء النادي  
جبلٌ هوى لو خرّ في البحر اغتدى      من وقع متتابع الأزباد  
ما كنت أعلم قبل حطك في الثرى      أن الثرى يعلو على الأطواد

(١) الشيرازي؛ السيد محمد مهدي: الفقه ٤٨ / ٢٧





## المجوس هل هم أهل كتاب سماوي؟

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا  
إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾<sup>(١)</sup>.

### المجوسية

ديانةٌ توجد في عالمنا الإسلامي بالإضافة إلى الهند. يقدر عدد أتباعها في العالم بمئتي ألف. والنسبة الكبرى للمجوس في الهند، تليها إيران ثم أفغانستان، ثم أقلية مجوسية في شمال العراق من القومية الكردية.

إنَّ المجوسية هي ذاتها الزرادشتية (وهذا هو الرأي الشائع). وعلى قولٍ آخر: إنَّ الزرادشتية فرقة من المجوسية. سيتواصل البحث هنا بناءً على الرأي المشهور من اعتبار المجوسية والزرادشتية تعبيران عن فرقة دينية واحدة.

### اعتقادهم في زرادشت (زرتوشت بالفارسية)

يقولون إن زرادشت ولد قبل ميلاد السيد المسيح بخمسة قرون، وأن هذا الرجل

في زعمهم تجلّى له جبريل ﷺ وأمره بخلع جسده (خلع البدن) والانطلاق بالروح نحو السماء.

(فكرة خلع الجسد لا تزال موجودة عند فئة معينة من العرفاء المسلمين). وحين وصل إلى السماء اجتمع مع إله الخير (آهورا مزدا) وتعلّم منه الأحكام والشرائع، ثم نزل إلى الأرض وبدأ يدعو لهذه الأفكار والعقائد. وفي هذه الأثناء تعرّف على أحد الأمراء وكان في شرق إيران (خراسان والمنطقة المحاذية لأفغانستان)، فأعجب الأمير بزرادشت وزوجه إحدى أميرات الأسرة؛ فأصبح له حظوة عند الأمير، مما مكنه من بثّ دعوته.

كانت عبادة زرادشت مقابل النار إلى أن توفي ودُفن في بلخ (إحدى المناطق الأفغانية؛ إذ كان محور نشاطه في هذه المنطقة وقد توسعت دعوته تجاه الهند)؛ ولذلك كان أكثر المجوس هم في الهند إلى اليوم. أما من ناحية نبوته؛ فسيأتي الحديث فيما إذا كان زرادشت نبياً أو لا.

ولا تنحصر المجوسية في قومية عرقية أو سلالة معينة. ولذلك فنعتُ المنتمين للعرق الفارسي بالمجوس؛ لا يعدو أن يكون ضرباً من التهريج السياسي المنطلق من نفسٍ طائفي. احتلّ الإسكندر المقدوني بلاد فارس بعد ظهور زرادشت بثلاث مئة سنة؛ ففضى على الديانة المجوسية مؤقتاً وأتلف كتبها ولم يسمح للناس بالاستمرار عليها. وبعد زوال حكم الاسكندر عاد الناس لممارسة المجوسية وإعادة كتابة كتبها المعتمدة ككتاب (ايفستا).

## عقائد الزرادشتيين الموجودة للآن

### ١. الثنوية: يعتقد المجوس بثنائية الخالق لا بتوحيده.

فخالق الخير والجمال والكمال والرحمة والنعمة والعطف هو (آهورا مزدا). وخالق



الشور والميكروبات والأمراض والموت وكل شيء سيء هو (أهريمن). يحكم هذان الخالقان العالم وبالتالي الصراع (بينهما) بين الخير والشر مستمر.

والسؤال أنه سيأتي أن الاتجاه العام لدى الامامية وبعض فقهاء مدرسة الخلفاء هو التعامل مع المجوس معاملة أهل الكتاب في الطهارة والنكاح، فكيف يُعاملون معاملة أهل الكتاب وهم يعتقدون بخالقين اثنين؟!

الجواب: هو أن أصل المجوسية كانت ديناً توحيدياً، ثم على أثر إتلاف الكتب (أو ربما حتى من أيام زرادشت) حدث انحراف عقدي وسلوكي. فعُدَّ المجوس من أهل الكتاب كان بلحاظ أصل الديانة<sup>(١)</sup> قبل أن يطرأ عليها التحريف وابتداع

(١) في دراسة قدمتها الباحثة منيرة العليان، باشراف د. سليمان العيد في جامعة الملك سعود - كلية التربية بعنوان الزرادشتية، جاء فيها عن عقائد الزرادشتية أو المجوسية ما يلي: أولاً: عقيدتهم في «الله»:

يتصور الناس أن الزرادشتيين يعبدون النار بينما هم يؤكدون على قدسيتها فهي رمز لقوة الإله الذي لا يراه أحد، وهو (اهورا مزدا)، هذا الإله واحد لا شريك له ولاند له، وهو خير محض، ومصدر كل مجد ونور وسعادة، وقوته ستنتصر على قوة الشر (أهرمان)، الذي هو سبب كل الشرور.

و(اهورا مزدا)، هو خالق النور والظلمة، ولا بد أن يغلب النور والظلمة، لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث، انما حصلت من امتزاج النور بالظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم وهما يتقاومان الى ان يغلب النور الظلمة والخير الشر ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر ينحط إلى عالمه وذلك هو سبب الخلاص.

ثانياً: عقيدتهم في النبوة: يزعمون ان زرادشت كان نبياً رسولاً أرسل إلى الخلق أجمعين، ارسله (أهورا مزدا)، وكان يوحى إليه، وانه كان ينجي (اهورا مزدا)، ويسمع جوابه عن أسئلته حول من رسم مسار الشمس والنجوم ومن جعل القمر يتزايد ويتضاءل، ومن جعل السماء فوق وأقر الأرض تحت... الخ، ثم يقر له (اهورا مزدا)، بأنه ما فعل هذا إلا أنت، فانت الخالق الإله الأوحد.

وظهرت على يديه خوارق ومعجزات، منها: أنه مر على أعمى فوصف له نبتة، وقال لأهله: اعصروا ماءها في عينيه يرتد بصيرا ففعلوا، فابصر. وغير ذلك... ==

الثنوية<sup>(١)</sup>؛ تماماً كما حدث في المسيحية من ظهور فرقٍ تؤمن بالتثليث (الأب والإبن

==ثالثاً: عقيدتهم في المنقذ، (المخلص) «يؤمن الزرادشتية بأنه سيظهر في آخر الزمان رجل صاحب علم كثير يحيي العدل ويميت الظلم، تنقاد له الملوك، وينصر الدين والحق، إذ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

رابعاً: هناك عقائد أخرى نجملها بالقول:

بأنهم يؤمنون بالبعث والقيامة والحياة الآخرة والحساب والجنة والنار والميزان والصراف والشفاعة، وهذه الأخيرة موكولة إلى زرادشت، وهذه الاعتقادات كما يظهر قريبة جداً من اعتقادات المسلمين لكنه صورها بصور غير معقولة ولا مقبولة، يقول: أن روح الميت إذا فارقت الجسد استقبلها الديان في صورة فتاة حسناء هذا إذا كان عمله صالحاً والعكس تستقبله فتاة قبيحة.. انتهى كلام الباحثة العليان ملخصاً.

ولم تنسب الباحثة العقائد تلك إلى اقوال لهم واضحة أو إلى كتابهم الزند افستا بالرغم من أنها ذكرته في ضمن المصادر التي يعتمدون عليها وذكرت غيره، كما أنها لم تذكر شيئاً عن نكاح المحارم مع أنه من المشهورات عندهم وعنهم!

أقول: إن بعض هذه العقائد المذكورة في دراسة الباحثة والتي تتوافق كثيراً مع ما هو لدى المسلمين، قد نظر إليها كاتب آخر وهو خالد كبير علال - الجزائر - باعتبار أنها تحريف (متعمد) من قبل المجوس أنفسهم بعد العصر الإسلامي وفتح فارس، من أجل إبقاء المجوسية في نسخة (معدلة) ورأى أنهم لأجل ذلك قد أتلفوا أكثر كتابهم (الزند افستا) وحوروا عقائدهم وممارساتهم لتتسجم أكثر مع الحالة الإسلامية، لكي لا تندثر! وقد كتب في هذا الموضوع حوالي ١٤٠ صفحة. فراجع كتابه: تحريف الزرادشتيين للديانة الزرادشتية في العصر الإسلامي.

وكذلك أشار آرثر كريستنسن في كتابه إيران في عهد الساسانيين ص ١٣٢ - ١٣٦ إلى التغيير والإخفاء لنصوص الافستا، وبالذات ما يتعلق منها بالأمر الفقهي، والأساطير الشعبية وقضايا المبدأ والمعاد، وما يرتبط بالنار المقدسة وحسناتها..»

(١) في بعض الكتابات الحديثة للزرادشتيين يوجد تصريح بالتوحيد (يكتايي خدا) كما يظهر ذلك من موقعهم الذي ستأتي الإشارة إليه، ففي جواب على سؤال يقول الجواب: [www.an.jomane.com/mobedan.com/component/faqbookpro/?view=topic&id=2](http://www.an.jomane.com/mobedan.com/component/faqbookpro/?view=topic&id=2) أن الدين الزرادشتي صالح للبشر وأنه لا يتقدم لا سيما وأنه يقوم على أصول أساسية أولها (يكتايي خدا) وبحسب





وروح القدس)؛ ولم يمنع ذلك الانحراف من النظر إلى المسيحيين باعتبارهم أهل كتاب سماوي في الأصل.

## ٢. تقديس النار:

يرى المجوس في النار مصدر الإشراق والظاهرة. فهي مُطَهَّرَةٌ لغيرها، لا ينالها نجاسةٌ أو رجسٌ؛ وهي مظهر لقوة خالق الخير؛ لذا تستحق التقديس والتكريم. ومن هنا عدّوها أصل العناصر الأساسية الموجودة في الكون (التراب والماء والنار).

ومن مظاهر تكريمها وتقديسها أنهم يبقونها متقدة دائماً لهم في أماكن يخدمها سدنةٌ موكلون بها؛ كي لا تنطفئ، لاسيما في الجبال المرتفعة وهي من مظاهر قوة الإله كما يقولون. وفي بعض أجوبتهم المعاصرة يتحدثون عن النار باعتبارها مصدر النور، والنور موجود في الديانات الأخرى إذ ترى الله - كما يقولون - نورا للسماوات! وأن النار في محل العبادة (آتشكده) لما كانت ذات لون واحد فهي تقتضي على النفاق والازدواجية (!) وأن النار هي مصدر الحضارة والصناعة..<sup>(١)</sup>

نص الجواب بالفارسية هكذا (نخستين پایه دین، باور به یکتایی خداست. خدای بی همتا که اهورا هستی بخش) و مزدا (بزرگ دانا) نام دارد. این دو صفت یعنی بزرگی و دانایی هم آهنگ و از هم جدانشدنی است.. ومعناه: عمود الدين الأول الإيمان بوحداية الله، الله الذي لا نظير له، والذي هو باعث الوجود، والكبير العالم، وهاتان الصفتان فيه لا تنفكان ولا تنفصلان.. وفي نفس الموقع ينكرون أنهم ثنوية أو أنهم يعتقدون بوجود خالقين: للخير وللشر، وإنما يعتقدون بأن الخالق واحد، وأن مصدر الشر هو الشيطان، الذي يحارب ويعادي الله.. أقول هل هذا هو ما كان عليه الأصل لدى المجوس - الزرادشتيين في كتبهم قبل تحريفها؟ وقد استعادوه ولهذا يعاملون معاملة أهل الكتاب؟ أو أنه مما نقلناه عن الكاتب خالد علال وأنه بغرض (تزيين) هذه الديانة (وتسويقها)؟ برفع ما هو مستنكر في الأذهان..

(١) موقع تجمع الزرادشتيين على الانترنت: انجمن موبدان بالفارسية - [https://www.anjomane-](https://www.anjomane-mobedan.com)

### ٣. نكاح المحارم:

وهو مشهور عنهم، حتى ليحسب العلامة الفارقة بينهم وبين غيرهم،<sup>(١)</sup> ولا نعلم إن كان لا يزال موجوداً عندهم في هذه العصور أو لا، فإن كتبهم المعاصرة لا تشير إلى وجوده. فهل هذا يعني تغيراً في الاعتقاد به لأجل كونه مستنكراً على مستوى البشر في الغالب؟ أو هو مما يعتقد به لكنه لا يطبق لأن الظروف لا تساعد عليه؟ لا نعلم.

وقد كتب آرثر كريستنسن « اقتضت العناية بنقاوة دم الأسرة - الذي كان من الصفات البارزة في عادات الجماعة الإيرانية - جواز الزواج بين المحارم: بين الأب والبنت والإبن والأم والأخ والأخت.. » وبعد أن أورد أمثلة كثيرة على ذلك من زواج حكامهم وكبارهم في تلك العصور بمحارمهم أورد كلمات بعضهم في أن الزواج بين الأخ والأخت منور بمجد الهي! ونور يطرد الشيطان! ولهذا فإنه رأى أن محاولات بعض الكتاب المحدثين في نفي هذه الفكرة عن الزرادشتيين مع ثبوتها من المصادر الزرادشتية القديمة تعد لغواً من القول.<sup>(٢)</sup>

وقد يبررون هذه الممارسة بأن العلاقة الزوجية تهدف إلى الراحة؛ لذا فإن الأم

(١) ذكر الكثير من حوادثه خالد علال في كتابه السابق، ونقل د. فرست مرعي في مقال له في الانترنت

[http://alhiwarmagazine.blogspot.com/2017/01/blog-post\\_82.html](http://alhiwarmagazine.blogspot.com/2017/01/blog-post_82.html) عن (سعيد

نفيسي) في كتابه (تاريخ اجتماعي إيران - ج ٢، ص ٣٩) قوله: «إن من البديهي المسلم المقطوع به، الذي نجده بصورة قاطعة وحيّة في مصادر ذلك العهد الإيراني القديم: هو الزواج بالأقارب والمحارم من الطبقة الأولى كان معمولاً بل شائعاً بينهم حتماً، وعلى الرغم من الضوضاء الحمقاء التي يفتعلها الزرادشتيون أخيراً».

كما ذكر ذلك ول ديورانت، في كتابه قصة الحضارة - ٢ / ٤٤١ قال: كان الآباء ينظمون شؤون الزواج لمن يبلغ الحلم من أبنائهم. وكان مجال الاختيار لديهم واسعاً، فقد قيل لنا إن الأخ كان يتزوج أخته، والأب ابنته، والأم ولدها.

(٢) كريستنسن، آرثر: إيران في عهد الساسانيين ٣١١.



والبنت والأخت أولى الناس بالراحة والبر، وإنّ الزواج من المحارم نوعٌ من صلة الرحم! بالاضافة إلى الحفاظ على نقاوة دماء الأسرة!!

ويدعمون منهجهم بالكلام في العمليات التناسلية الأولى للبشرية؛ أي كيفية تكاثر أبناء آدم المباشرين. بما يقولونه من أن بدء البشر كان من تزواج الاخوة.

### بدء تناسل البشرية:

#### النظرية الأولى:

إنّ آدمَ كان يُنجب ذكراً وأنثى في كلّ بطن، ويتزوَّج الذكر من الأنثى التي جاءت من غير البطن الذي جاء منه. وهما في النهاية إخوة. فيسأل المجوس: لماذا الاستنكار عليهم في نكاح الأخت - بالتحديد - وهذا هو الأصل في تناسل البشرية؟.

#### النظرية الثانية:

الرأي المحقّق من روايات أهل البيت عليهم السلام أنّ الأسر البشرية الأولى التي تكونت بعد آدم وحواء، كانت من ذكورٍ أنجبهم آدم، وخلق الله لهم أزواجاً إناثاً؛ كما خلق حواءً لآدم أبيهم.

وحتى بناءً على النظرية الأولى؛ أي تناسل البشرية بزواج أبناء آدم من أخواتهم لغير البطون التي ينتمون إليها (وهي تمثّل الرأي المشهور في مدرسة الخلفاء ويشترك معهم فيه بعضُ علمائنا) يردُّ القائلون بها من علماء المسلمين: بأنّ التحليل والتحریم يدور مدار تشريع ذلك؛ فمتى ما أحلّ الله أمراً كان حلالاً، ومتى ما حرّمه كان حراماً. فجواز ذلك في الأسر الأولى الملاصقة لآدم؛ إن صح، لا يعني ديمومة جوازه لاحقاً وقد جاءت الشرائع السماوية اللاحقة لآدم بتحريم نكاح المحارم من الأم والأخت والبنت.

وتوجد أمثلة على إباحة أعقبها تحريم لذات الموضوع في الشريعة الواحدة؛ بغية التدرج في الحرمة؛ ومن ذلك حرمة الخمر التي جاءت بالتدرج؛ حيث حُرِّمَ بدايةً وقت الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾،<sup>(١)</sup> ثم جاء التحريم المطلق له في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.<sup>(٢)</sup>

ملحوظة: قضية النسب أمرٌ معقدٌ يرتبط فيما يرتبط بالميراث. والمجوس بفعالتهم في نكاح المحارم إضافة إلى مخالفتهم للذوق والفترة السليمة ناهيك عن مخالفة الدين والشرائع؛ عقدوا مسألة الميراث بينهم؛ حيث اختلطت أنسابهم. ومن هنا برز في الفقه الإسلامي مبحثٌ بعنوان: كيف يتوارث المجوس؟

#### ٤. الاعتقاد في الجنة والنار أنهما أمران معنويان:

وليسا وجودين ماديين، وأن النعيم والعذاب تعبيران عن الارتياح النفسي والانزعاج الروحي.

#### ٥. ترك جثث الموتى للافتراس:

يقول بعض الباحثين إنه؛ لا يدفن المجوس موتاهم في الأرض؛ لثلاث أسباب؛ إفساداً للطبيعة بالقذارة والنجاسة. وكذلك لا ينتهجون طريقة الهندوس الذين يُحرقون موتاهم بالنار؛ بل يُلقى الميت بحسب الديانة المجوسية في أماكن عالية كي تأكله الغربان والطيور المفترسة الجارحة؛ وفي ذلك امتهانٌ لكرامة الإنسان من جهة، وتعكيرٌ لنقاء الطبيعة بالرائحة الكريهة والأشلاء المتعفنة من جهة أخرى.

(١) النساء: ٤٣

(٢) المائدة: ٩٠



## لماذا عدّ أكثر العلماء المجوس ضمن أهل الكتاب؟

ذكرنا آنفاً أنّ رأي مَنْ عدّهم أصحاب كتاب سماوي؛ هو أنّ (الثنوية) مبتدعة طارئة على دينهم، والأصل كون الديانة المجوسية ديانةً سماويةً توحيدية قبل الانحراف العقدي الطارئ على أتباعها. يوجد رأيٌ غير مشهورٍ لقلّة من العلماء من المدرستين (مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء) مفاده أنّ المجوس ليسوا من ضمن أهل الكتاب؛ مستدلين بقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فقالوا: تدلّ الآية على أنّ هناك طائفتين من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ولم يأت ذكر طائفةٍ ثالثة. إضافة إلى أنه لم يُعرف أنّ لدى المجوس كتاباً، أو أنهم بُعث إليهم نبيٌّ.

غير أنّ الرأي الشائع عند علماء المسلمين في المدرستين (مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء) أنّ المجوس يعاملون معاملة أهل الكتاب؛ اعتماداً على رواية للرسول الأكرم ﷺ من أنه قال: سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وهذا يحتل أحد معنيين:

١. الأمر بمعاملتهم كأهل الكتاب؛ وإن لم يكونوا من ضمنهم؛ أي الحكم عليهم بالطهارة، وجواز النكاح منهم، وقبض الجزية منهم مقابل حمايتهم في البلاد الإسلامية، والسماح لهم بممارسة شعائرهم العبادية، وإباحة ذبائحهم (وهذا الأخير بحسب مدرسة الخلفاء فقط؛ بينما لا يحل ذلك في مدرسة أهل البيت).

٢. أنهم أهل كتاب سماوي بالفعل؛ إذ لو كانوا وثنيين فلا معنى أن يُعاملوا معاملة أهل الكتاب. الوثني الكافر نجسٌ لا يجوز الحكم بطهارته! نعم أصاب كتابهم التحريف، وخالط عقيدتهم وسلوكهم الابتداع، ولكنهم في أصلهم أهل كتاب.

وتوجد رواياتٌ تعيّن أنهم أهل كتابٍ ولهم نبيٌّ، ولكنهم قتلوا نبيهم وأحرقوا كتابهم وهذا ما ورد في حديث ينسب لرسول الله محمد ﷺ حيث جاء في الكافي - وإن كانت رواية مرسلّة إلا أنه عمل بها من قبل العلماء-: سئل أبو عبد الله ﷺ عن المجوس أكان لهم نبي؟ فقال: نعم أما بلغك كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل مكة أن أسلموا وإلا نابذتكم بحرب فكتبوا إلى رسول الله ﷺ أن خذ منا الجزية ودعنا على عبادة الأوثان، فكتب إليهم النبي ﷺ: إني لست آخذ الجزية إلا من أهل الكتاب فكتبوا إليه - يريدون بذلك تكذيبه-: زعمت أنك لا تأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ثم أخذت الجزية من مجوس هجر! فكتب إليهم النبي ﷺ: أن المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب أحرقوه..<sup>(١)</sup>

على هذا فإنّ التحريف أصبح بعد حرق الكتاب المنزل إليهم؛ لا سيما ذلك التحريف الذي أنتج قضية نكاح المحارم؛ إذ سنّ تلك السنّة فيهم حاكمٌ استهوته بنت أخته أو أخيه وكانت فائقة الجمال؛ فسخر رجال البلاط لإصدار فتوى تبيح نكاح المحارم، وتابعه رعيته في ذلك.

بناء على هذه الرواية وبناء على ما قال العلماء من أن -الله سبحانه وتعالى- مايز بين المجوس والذين أشركوا في قول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فقد عدّ المجوس بجانب اليهود والنصارى

(١) الكليني: الكافي ٣/ ٥٧١.



في مقابل الذين أشركوا؛ مما يعني أن أصل ديانتهم ديانة سماويةٌ توحيدية، والتحريف طارئٌ عليها؛ فأتباع الديانة المجوسية أهل كتابٍ في الأصل.

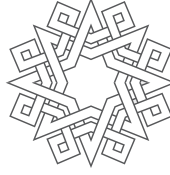
فإذا كانت السنة فيهم سنة أهل الكتاب، فكما تقدم هم محكومون بالطهارة وبجواز نكاح نسائهم من قبل المسلم - مع انتفاء الموانع - وقد ادعى عليه العلامة في تذكرة الفقهاء الاجماع، وقال «فالروايات متظافرة بأنهم أهل كتاب - وبه قال الشافعي لقول عليّ عليه السلام: «أنا أعلم الناس بالمجوس كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه» الحديث، رواه العامة ومن طريق الخاصة: ما تقدم (يشير إلى مرسله الواسطي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام).

وقال أبو حنيفة وأحمد: لا كتاب لهم، لقوله عليه السلام: «سُنُوا بِهِمْ سنة أهل الكتاب» ويحتمل أن يكون المراد من له كتاب باق، أو لأنهم كانوا يعرفون التوراة والإنجيل». (١)

(١) الحلي؛ العلامة الحسن بن يوسف: تذكرة الفقهاء (ط.ج) ٩/٢٧٩.







## بوذا..هل هو نبي؟

### مقدمة

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا  
وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾. (١)

تشير الآية المباركة إلى حاجة الإنسان إلى الدين، وأنه يسعى لتحصيل دين يجيب عن أسئلته المختلفة، ويعطي فلسفة لحياته، ومع الإقرار بهذا تحدد الآية المباركة الدين الأفضل الذي يلبي الحاجة الفطرية الموجودة في نفس البشر. وتعرّف هذا الدين بـ (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) من يعترف بوجود الله وتكون علاقته بالله ﷻ علاقة إسلام وتسليم وخضوع. مع اقتران هذا الإسلام بالإحسان العملي فلا يكفي الاعتقاد فقط، وإنما لا بد أن يرافقه عملٌ وهو الإحسان، ولا بد أن يكون على منهاج النبوة (واتبع ملة إبراهيم حنيفاً).

افتتحنا هذه الصفحات بهذه الآية المباركة كي نشير إلى أن بعض الناس في ضمن سعيهم لتلبية الحاجة إلى التدين، سلكوا طرقاً خاطئة أو ناقصة، وما ذلك إلا لأنهم

يريدون أن يشبعوا هذه الحاجة، غير أنهم لم يهتدوا إلى الدين الأحسن والصرراط الأقوم والذي نعتقد أنه ديانة السماء وما جاء به الأنبياء وفي هذا الزمان دين سيد الأنبياء محمد ﷺ.

الديانة البوذية: من ضمن الديانات الموجودة في عالم اليوم والتي هي ليست ذات كتاب سماوي ولا نبي مرسل.

البوذية نسبة إلى بوذا، ويعني المستنير أو المتفتح، يقدر عدد الممتين إلى البوذية بما يقارب ٤٠٠ مليون في العالم، فهم في الهند والصين، وفي الكوريتين وفي اليابان كما يوجد أتباع لهذه الديانة في الدول الغربية أيضاً. لو أردنا أن نتحدث عن مؤسسها، نقول في البداية أن (بوذا) ليس نبياً على التحقيق، وإن كان بعض الباحثين المسلمين المعاصرين<sup>(١)</sup> قد ذكروا عنه أنه نبي الهند وأنه بُعث من قبل السماء إلا أن هذه

(١) ذكر عدد من الباحثين المسلمين أن بعض الديانات التي صنفت على أنها ديانات أرضية كانت في الأصل سماوية وقد طرأ عليها التحريف بمرور الزمان وأنها سماوية أو على الأقل احتمال أن تكون كذلك. فممن أشار إلى ذلك المرحوم السيد محمد الشيرازي في كتابه (فلسفة التاريخ) حيث ذكر فيه في الفصل السابع: «وإنني أحتمل أن تكون البوذية في الأصل ديناً سماوياً لكنّها حُرّفت، وفي قصة للإمام العسكري ﷺ المذكورة في البحار ما يؤيد ذلك».. وأيضاً قال ما يقاربه في موضوع الهندوسية: «وفي الأصل كانت البرهمية -الهندوكية- ديانة التوحيد، ولذا نحتمل أن يكون لها أصل ونبي واقعي ثم حُرّفوا وبدّلوا، واليوم يعتقدون بالتثليث، وألهتهم الثلاثة هي: براهما، وشيفا، وفيشنو».

كما أن الداعية د. عدنان إبراهيم قال في إحدى محاضراته المسجلة على اليوتيوب: أنه يحتمل أن يكون بوذا نبياً وأن تكون ديانة الهيئة ومع أنه قال إن الموضوع يحتاج إلى درس معمق من قبل علماء الأديان المقارن إلا أنه أشار إلى إشارة رأها في منتهى الروعة، فقال: في قوله تعالى: والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين، قال الزيتون: محل ولادة عيسى بإجماع المفسرين كما قال وطور سينين محل خطاب الله لموسى، والبلد الأمين محل ولادة النبي محمد.. يبقى التين: يقول إن كل دارس للبوذية يعلم أن أول ما جاءته لحظة الاشراف والاستبصار كان تحت شجرة التين، فهي إشارة إلى الأصل الإلهي للبوذية!



الكتابات لم تقم أي دليل يثبت اتصاله بالسماء، ومجرد كونه قد جاء بتعاليم أخلاقية تشابه التعاليم الموجودة في سائر الديانات من الإبراهيمية واليهودية، لا يدل على أن

وقد ألف الباحث المصري نهرو طنطاوي كتابا أثار لغطا في مصر أدى لمنع الأزره ذلك الكتاب وذكر فيه ان الديانات الأرضية هي سماوية ومنها البوذية..ولم يتسن لنا الاطلاع عليه.

وكذلك فعل د مؤيد السعدي حيث كتب مقالة في صفحته على الفيسبوك هي جواب على سؤال هل أن بقية المناطق غير المنطقة العربية والاسيوية قد بعث لها أنبياء أو لا؟ وقد أجب عن ذلك بعدد من الأفكار والخطوات لينتهي إلى أن مثل البوذية والزرادشتية والكونفوشية هي ديانات وأربابها أنبياء..ولأن فيه بعض الاستدلال نشير إليه باختصار:

فابتدأ بالاستشهاد بآيات القرآن مثل ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل - ٣٦) لإثبات أن كل الأمم لها رسل، ثم شرع يقتفي أوجه التطابق بين ملامح شخصيات أنبياء القرآن وملامح قادة الأديان الهندية والصينية والإيرانية القدماء وأحوالهم مع أقوامهم، وموقف أقوامهم منهم ومن دعوتهم فرأى من أوجه التشابه: - العزلة والاعتكاف والتأمل قبل النبوة: وبأنهم كان لديهم وحي وإدعاء النبوة من جهتهم..وهم لم يدعوا أن ما عندهم هو منهم وإنما من الله! ومن أوجه التشابه: تكذيب أهل الترف والجاه للأنبياء وكذلك فإنهم يشتركون في الهجرة من أوطانهم كما أنهم لم يدعوا الألوهية والربوبية..

أقول: لا يظهر مما تقدم بكامله ما (يدل) على سماوية الديانات تلك، ولا على نبوة رؤسائها، نعم يبقى في دائرة الاحتمال ولكنه غير كاف، فإن ما ذكره المرحوم الشيرازي هو بهذا المقدار! وربما لأجل هذا فإنه لم يرتب على هذا الاحتمال أثرا كما ذكر في موسوعة الفقه ٤٨/٢٧ حيث قال: « أما الأديان الأخر: كالهندوكية، والكونفوشوسية، والبوذية، فإنها وإن كانت فيها إثارة من علم، ويحتمل أن يكون الذين جاؤوا بها أنبياء من جملة أنبياء الله الذين جهلناهم، وإنما حرف تعاليمها أهلها، لكن كل ذلك لا ينفع في كونهم أهل الكتاب، يجري عليهم أحكام أهل الكتاب». وما ذكره د.عدنان لا أعلم ما هو وجه الدلالة فيه! خصوصا وأن هذا الموضوع لم يأت من مصدر وحياني، وقد فسر القسم بالتين بتفسيرات مختلفة! لم يكن ما ذكره واحدا منها. وما ذكره د.السعدي من أوجه التشابه يمكن أن يقال يكفي فيه أن أوجه التشابه موجودة بين الأنبياء الربانيين وبين المصلحين الاجتماعيين الأرضيين فإن الكثير من المصلحين الاجتماعيين (غير الانبياء) كان لهم نفس هذه النقاط المتشابهة والمتوافقة! وبإمكان الإنسان أن يأخذ الكثير من أسماء المصلحين فيطبق عليهم نفس أوجه التشابه التي ذكرت.

(بوذا) نبي من الأنبياء. فإن هذه التعاليم الأخلاقية هي مما تدعو إليه الفطرة السليمة والعقول المستقيمة، فلا يلزم أن يكون من يقول بقبح الكذب مثلاً أن يكون نبياً، ولا يلزم أن من يحكم بقبح القتل من غير استيجاب يثبت ذلك أنه من الأنبياء فقط، فالكذب قبيح، وقتل الآخرين عمداً من غير نفس أو فساد في الأرض كذلك. فضلاً عن أن (بوذا) سبقه عدد من الأنبياء مثل موسى بن عمران وقبلة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﷺ. فلم لا يكون قد أخذ تلك الوصايا من كتبهم وآثارهم؟

### من هو (بوذا):

المعروف بين أصحاب هذه الديانة -البوذية- أن بوذا ظهر في الهند، قبل ألف سنة من ميلاد النبي عيسى بن مريم ﷺ، أي أنه يفصلنا عنه حوالي ٣ آلاف سنة. وكان في أول أمره رجلاً غنياً ثرياً متزوجاً، ويعيش عيشة مرفهة إلى أن بلغ الثلاثين من عمره، غير نمط حياته فترك أسرته وما يملكه من مال ورفاه، وخرج عنها مترهباً في أسهل بالية يخلو بنفسه باتجاه الغابات والصحراء. ودعا جماعة للالتحاق به فلم يقبلوا، وواصل طريقته خمس أو سبع سنوات على -بعض الأقوال- وفي هذه الفترة مارس رياضات مختلفة وأعمال شاقة جداً مثل أن يطوي جائعاً أياماً بدون أن يأكل، أو أن ينام في البرد القارس من دون غطاء وما شابه ذلك. وهذه الرياضات يمارسها إلى اليوم أناس من المرتاضين الذين يعتقدون أنه عندما يتم إتعاب البدن تشرق الروح وتصفو النفس، بل لقد تسلسل هذا المنهج إلى بعض المسلمين أيضاً.

### الطريقة البوذية من وجهة النظر الإسلامية

هذا المنهج المتسلل من الرياضات الهندية هو مذموم عندنا غالباً وغير مرحب به من علمائنا ولسان حالهم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، فإن



أردت رياضات شرعية فالصوم مشروع طوال العام -سواء واجب او مستحب-، وإن أردت إتعب بدنك؛ أتعبه في عبادة الله ﷻ، كقيام الليل، وإن أردت الصلة بالله فلديك المناجاة والدعاء فعندك مثلاً كتاب مفاتيح الجنان الذي هو من الكتب الموثوقة ومؤلفه محدث ثقة. ولو كان خيراً، ما سبقونا إليه، لو كانت هذه الطريقة طريقة حسنة لسبقهم إليها أهل البيت ﷺ غير أننا لا نجد أحداً من أهل البيت ﷺ سلك هذا الطريق ولا استحسن سلوكه من أصحابهم، بل كانوا عندما يسمعون عن قيام بعض الصوفية بهذه الأمور يذمونهم ويشنعون عليهم، ليس لعداء شخصي وإنما لأجل الأنا ينحرف المسار.

### النتائج التي توصل إليها بوذا:

كان بوذا يمارس هذه الرياضات المختلفة ويتعب نفسه ويجهد بدنه ويقصد بذلك قهر البدن وتحطيم شهواته ورغباته -لتقوى الروح وتصفو النفس كما يزعمون- وبعد سبع سنوات من هذه الممارسات، فكّر: لنعرف سر السعادة في الحياة لا بد من معرفة سبب الشقاء!

توصل (بوذا) إلى أن سبب الشقاء هو الجري وراء اللذة والشهوة، فهو بمقدار ما يجري وراء ملذاته بنفس المقدار يشقى ويتعب، فهو مثلاً يستدين حتى يتنعم بسيارة حديثة ويلتذ بامتلاكها، ولكنه بعد ذلك يشقى بالديون التي تلاحقه إلى آخر حياته، وهكذا الالتذاذ بلباس معين لنصف نهار، قد تكلفه شقاء شهر كامل من العمل والتعب. أقول: هذا الكلام معقول، ولكنه موجود بنحو أجمل وأفضل في القرآن الكريم وفي روايات أهل البيت ﷺ؛ فالقرآن الكريم يصف هذا الإنسان بأنه قد يتحول إلى عبد لهواه وشهواته ويقول ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ

وَكَيْلًا ﴿١﴾، فيتبع (هواه) حتى يصل إلى درجة عبادة المال والشهوة، فيكون ذلك هو القائد له فينتهي به إلى جحيم التعب الدنيوي وجحيم العذاب الأخروي. المهم أن بوذا عاد من تلك الرحلة كما يقولون ومعه قائمة بالوصايا الأخلاقية العشر. وسيأتي الحديث فيها.

### لا توحيد ولا معاد في ديانة (بوذا)!!

يلاحظ الباحثون أن (بوذا) وفلسفته، لا تتناول أمري المبدأ والمعاد! وليس عنده إجابة على سؤال من أين جاء الكون؟ ومن جاء به؟ ولا بسؤال إلى أين يذهب الإنسان بعد مماته؟ بل نقل أن بعض تلامذته سأله أنه بعد أن يموت الإنسان ويرحل من هذه الدنيا، ماذا يحدث وما هو مصيره؟ فكان الجواب: يجب عليك أن تعمل على تحسين أخلاقك وأوضاعك في هذه الدنيا، فلا شأن لك في ما بعد هذا. كما أنه لا يوجد أي أثر لقضية الجنة والنار والمصير الأخروي. وهذا من الأمور التي يستنتج منها الباحثون عدم نبوته وعدم اتصاله بالوحي أو الأنبياء حتى! وذلك لأن أهم القضايا التي يتبدأ بها الأنبياء أقوامهم في دعوتهم هي قضية التوحيد واتباع النبي وأمر القيامة. (٢)

### وصايا (بوذا) العشر:

عاد (بوذا) وأتى بعشر وصايا مشهورةٌ عندهم؛ خمس لعامة الناس، وخمس أحر خاصة للكهنة ورجال الدين من أتباعه.

### الوصايا الخمس العامة:

(١) الفرقان: ٤٣.

(٢) تقدم الكلام في هذا في موضوع العناصر المشتركة بين الديانات السماوية فراجع.



لا تقتل، لا تسرق، لا تزني، لا تكذب، لا تتناول المخدر والسم.

هذه الوصايا الخمس تقبلها كل فطرة إنسانية سليمة، وهي بنفسها أو بما هو قريب منها موجودة في الديانات الأخرى، ولذلك يُحتمل احتمالاً قوياً؛ أن يكون (بوذا) قد اطلع عليها في كتب وثقافة سائر الديانات، كصحف إبراهيم مثلاً أو توراة اليهود وقد سبقت مجيئه فإنهم يقولون إنه ظهر قبل ألف سنة قبل الميلاد وبعضهم يقول سبعمائة سنة قبل الميلاد وعلى التقديرين فقد سبقه موسى ﷺ حيث كان قبل الميلاد بحوالي ألف وخمسمائة سنة، وأسبق منه صحف إبراهيم ﷺ.

وعادة من يكون لديهم توجهات اصلاحية يسعون للاطلاع على مثل هذه الكتب والمعارف، وعلى فرض عدم اطلاعه عليها قد يكون ممن وصل إلى هذه المعاني بفطرته، وهذه المعاني الأخلاقية تتوافق مع الفطرة الإنسانية.

وأما الوصايا الخمس للكهنة ورجال الدين عندهم، فهي:

١. كل باعتدال ولا تأكل بعد منتصف النهار،

٢. ولا تحضر حفلات الرقص والغناء

٣. لا تستعمل الزينة والعطور،

٤. ولا تستخدم الأسرة المرتفعة،

٥. لا تقبل الذهب والفضة،

جاء بهذه التوصيات الأخلاقية ودعا جماعة للإيمان بها فاستجاب له عشرة تلاميذ اقتنعوا بأفكاره، وبدأوا يثيرونها بين الناس، ثم بقي إلى أن مات في الثمانين من عمره. وقد انتشرت هذه الحالة أو الديانة البوذية بين الهنود باعتبارها تعاليم أخلاقية.

انتشار الديانة البوذية في العالم: استمر هذا الأمر في مسار طبيعي حدود أربعمئة سنة قبل الميلاد، إلى أن تبنى أحد الملوك في الامبراطورية الهندية الديانة البوذية بحماس كبير، وبدأ يجبر الناس على الإيمان بها، فلا بد للكل أن يؤمن بها، ولا يوجد إلا توصيات (بوذا)، وبدأ يبشر بها ويرسل إلى سائر الأماكن المجاورة فانتشرت البوذية في الصين، والكوريتين، واليابان. وبالطبع فإن هاتين المنطقتين؛ الهند والصين بحجمهما السكاني العظيم وفرتا أتباعا كثيرين للبوذية.

ثم انتشرت في العصور الحديثة في أوروبا والعالم الجديد.

وبعدما كانت البوذية عبارة عن الإيمان بشخص بوذا وتوصياته الأخلاقية، تغيرت المسألة ليصطبغ صبغة إلهية، فقليل إن بوذا ليس شخصا عاديا، وإنما هو شخص فيه نفحة إلهية من السماء.

ويقول بعض الباحثين كأن هذا الأمر كان استعارة من المسيحية، وإن كانت البوذية في بدايتها سبقت المسيحية إلا إنها على أثر الاختلاط والتمازج بين المجتمعات فيما بعد وعندما رأى الكهنة البوذيون أن المسيحيين يتحدثون عن عيسى بن مريم وأنه ابن الله أو أنه ثلث إله من السماء أو أنه ربنا الذي في السماء! استورد هؤلاء أصل الفكرة إلى (بوذا)، وبدأوا يصوغونها بشكل مختلف، ويدخلونها إلى البوذية، فقليل هنا بأن (بوذا) كان في السماء قبل أن يولد ورب السماء أنزله إلى رحم أمه، (وبعضهم يمثله بصورة فيل صغير أبيض!!) ثم خرج في صورة إنسان! فهذا هو هنا قد أصبح فيه جانب إلهي وأنه نزل من السماء! ولا بد أن يقدر ويكرم فجاءت فكرة التماثيل لبوذا في كل مكان.

النظرة الإسلامية للديانة البوذية وأتباعها: يكاد يكون إجماع علماء المسلمين من





الطائفتين على اعتبار أن البوذية ليست ديانة سماوية،<sup>(١)</sup> وأن (بوذا) ليس نبياً. إلا ما قاله بعض المثقفين كما ذكرنا، وهؤلاء لم يستدلوا في كتابتهم أو دراستهم بأي إشارة أو قرينة تدعم هذا الإدعاء إلا أن (بوذا) جاء بنصائح وحكم، ودعا الناس إلى الالتزام بها، وهذا كما نوهنا سابقاً ليس دليلاً على أن الديانة البوذية هي ديانة سماوية ولا أن (بوذا) نبي.

### أحكام التعامل مع البوذيين:

بعدما تبين أن هذه الديانة أو الطريقة بشرية وليست سماوية، وأنه لا طريق لإثبات كونها ذات كتاب ولا أن بوذا نبي، فمن الطبيعي أن يلحقها حكم الكافر بالله تعالى، لا سيما وقد نقلنا أنها لا ترتبط في فلسفتها بالمبدأ خالق الكون ولا تعتقد بل لا يهتمها أمر الآخرة والقيامة فلا إيمان لها لا بالمبدأ ولا بالمعاد، كما أنه لا كتاب لها ولا نبي، ونتيجة ذلك أنهم يعاملون معاملة الكافر.

(١) في استفتاء أجيب عليه في موقع المرجع الديني السيد علي السيستاني-<https://www.sis-tani.org/arabic/book/17/953/> بتاريخ ١١/١١/١٤١٤هـ، عن: هل يعدُّ البوذي من الكتابيين؟ وكان الجواب: ليس هو منهم. ومثل ذلك كان جواب المرجع الديني المرحوم السيد محمد الشيرازي <https://alshirazi.com/rflo/ajowbeh/arshif/altahara3.htm> في شأن شخصين كانا مسيحيين فتركا المسيحية واعتنقا البوذية، وهما يعملان في مطعم؟ فأجاب كل: ما يلمسه هذا الشخص مع وجود عوامل السرية يحكم بنجاسته، إلا إذا كان لابساً (الفزاز) أو لم تكن عوامل السرية متوفرة. ومثل ذلك كان جواب المرجع الديني السيد علي الخامنئي في سؤال عن البوذيين في كتاب أجوبة الاستفتاءات ١/ ١٠٠ قال: ما لم يحرز ملامسة اليد والبدن مع الرطوبة المسرية للكافر غير الكتابي لا يحكم بالتنجس.

## والكافر غير الكتابي:

عند فقهاء مدرسة الخلفاء نجس لكنها نجاسة معنوية، وهذا الكلام من الناحية العملية يتساوى مع القول بالطهارة فيهم، وقد أشار بعض علمائهم المعاصرين إلى هذا القول مع دليله، بالتوجيه التالي: نجاسة المشركين بل نجاسة جميع الكفار نجاسة معنوية وليست نجاسة حسية لقول النبي ﷺ «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجَسُ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْجَسُ نَجَاسَةً حَسِيَّةً إِذَا أَصَابَتْهُ النِّجَاسَةُ فَقَوْلُهُ لَا يَنْجَسُ عِلْمٌ أَنَّ الْمُرَادَ نَفْيَ النِّجَاسَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَقَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾<sup>(١)</sup> فأخبر الله تعالى أنهم نجس وإذا قارنا هذا بما ثبت في حديث أبي هريرة من أن المؤمن لا ينجس علمنا أن المراد بنجاسة المشرك وكذلك غيره من الكفار نجاسة معنوية وليست حسية ولهذا أباح الله لنا طعام الذين أتوا الكتاب مع أنهم يباشرون بأيديهم وأباح لنا المحصنات من الذين أتوا الكتاب للزواج بهم مع إن الإنسان سيباشرهن ولم يأمرنا بغسل ما أصابته أيديهم.

وأما الإمامية فالرأي الشائع عندهم هو التفصيل بين الكافر غير الكتابي فيقال بنجاسته نجاسة حسية «للتسالم القطعي على ذلك بين أصحابنا سواء قلنا بدلالة الآية أم لم نقل»<sup>(٢)</sup> وقد اعتمدوا في ذلك على روايات صحيحة عن أهل البيت ﷺ، تثبت نجاسة الكافر، فلترجع في الكتب الاستدلالية. وعلى القول بالنجاسة الحسية فهي تنتقل مع الرطوبة إلى ما لامسه، وأما الكتابي ومن يلحق به فقالوا بطهارته كما تقدم ذكر ذلك (وقد احتاط بعضهم وجوبا بالاجتناب).

وهم بهذا يختلفون عن فقهاء مدرسة الخلفاء، فإن القول بالنجاسة المعنوية ينتهي

(١) التوبة: ٢٨.

(٢) الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي: التنقيح في شرح العروة الوثقى ٣/ ٣٧.



إلى عدم انتقال النجاسة، وهو بهذا مثل الجنب فهو على قذارة ولكنها معنوية وليست حسية فما لامسه وهو جنب (بغير المنى) فلا يتنجس! وهكذا الحال بالنسبة للمرأة الحائض فإنها على غير طهارة ولكن ذلك لا يعني انتقال نجاسة منها إلى غيرها فلو لامست أحدا ولو برطوبة فإنه لا يتنجس!

إن (الكافر) هو من النجاسات وهذا العنوان ينطبق على البوذيين لما سبق ذكره.

### معاملة البوذيين للمسلمين:

مع أنه يفترض في الفلسفة البوذية أن «المبدأ الأول هو الامتناع عن أخذ الحياة (القتل)، حيث ذكر بوذا بوضوح أن أخذ الحياة البشرية أو الحيوانية من شأنه أن يؤدي إلى عواقب كارثية سلبية... وتصرح العديد من الكتب البوذية أنه ينبغي للمرء أن يكون عقله دائماً ممتلئاً بالرحمة والمحبة لجميع الكائنات، وهذا يشمل الأشرار، وكل أنواع الحيوانات، حتى الآفات والحشرات (لا يسمح للرهبان بقتل أي حيوان، لأي سبب كان)»<sup>(١)</sup>.

إلا أنه وللأسف الشديد فإن ما جرى على مسلمي الروهينجا في بورما يختلف تمام الاختلاف عن النص المتقدم! فإذا كانوا يرفضون قتل الحيوانات بل حتى الآفات والحشرات! فإن ما تمت ممارسته مع المسلمين البورميين يتجاوز ما فعله ويفعله أكثر المجرمين تعطشاً للدماء والتدمير!

فلنكن مع القصة من البداية، حيث يقول بعض الباحثين أن بداية وصول الإسلام إلى بورما<sup>(٢)</sup> كانت زمن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قبل سنة ٢٠٣ هـ، أي قبل

(١) تحت عنوان أخلاقيات بوذية من موقع <https://ar.wikipedia.org>

(٢) ميانمار وتعرف أيضاً باسم بورما دولة بجنوب شرق آسيا. يحدها من الشرق الصين ولاوس وتايلند==

ألف ومائتين وأربعين سنة تقريباً، بينما يرى آخرون أن الإسلام وصلها قبل نحو سبعمائة سنة، وعلى أي منهما فقد اعتنق الإسلام عدد كبير في تلك البلاد، وعاشوا فيها متجاورين مع سائر الديانات والنحل.

وكانت -ولا تزال- الأكثرية في تلك المنطقة وجوارها من الصين وتايواند تعتنق البوذية، إلى أن حلت السبعينات الميلادية، ومعها جاء ممارسات لا تنتمي إلى ما يفترض من البوذية التي تعترض على قتل الحشرات والحيوانات ولا تحبذ الاعتداء على الطبيعة الصامتة! فإذا بمن يعتنق هذه الديانة يارسون - كنظام وكشعب - مع المسلمين ممارسات لا تنتمي إلى أي مبدأ أخلاقي، ديني أو غير ديني..

نعم؛ منذ خمسين سنة من السبعينات الميلادية إلى الآن، أي قبل خمسين سنة تقريباً أو أقل من الزمان، مارس البوذيون وهم يشكلون ما يصل إلى ٨٩٪ من السكان، مع المسلمين (وهم مع المسيحيين والهندوس يشكلون ال ١١٪ الباقية) أفعالاً في غاية الشناعة من التمييز الديني والاجبار على ترك الإسلام والاستماع للمواعظ البوذية، والمنع من الذبح الحلال للمواشي - كما يفعل المسلمون -!

وبالرغم من أن هذه الأفعال لم تكن شيئاً جديداً وإنما يذكر المؤرخون لتلك المنطقة أن الاضطهاد الديني للمسلمين بدأ منذ حوالي قرنين ونصف من الزمان، وكان أي سبب شخصي أو سياسي أو ديني كفيلاً بإثارته، واتخاذ حجة من قبل الحكومات البورمية للبدء في المصادرات المالية، والقتل، وغير ذلك في حق المسلمين!

---

==ومن الغرب والشمال الهند ومن الجنوب خليج البنغال. وعدد سكانها يقدر ب ٥٥ مليون نسمة، كانت مستعمرة من قبل البريطانيين إلى أن خرج البريطانيون عنها في ١٩٤٨. تشكل الاغلبية البوذية العدد الأكبر من سكان بورما حيث قيل إنهم يصلون إلى ٨٩٪. وتنقسم النسبة الباقية على المسلمين والمسيحيين والهندوس. يعتبر سجل الحكومة البورمية في حقوق الانسان من أسوأ السجلات.



إن العداة للبريطانيين - وكانوا يحتلون بورما - من الممكن أن يجير عند المتطرفين البوذيين ضد المسلمين لأن بعض موظفي البريطانيين كانوا مسلمين هنودا أو بنغاليين! وإن تصاعد الحالة القومية بعنوان (بورما للبورميين) كان يعني طرد المسلمين لأن قسما منهم أصحاب أصول هندية أو بنغلاديشية! بل إذا دمرت طالبان أفغانستان تمثالي بوذا فيها يكون ذلك سببا كافيا لموجة من العنف ضد المسلمين في بورما! وكذلك فإن قيام بعض المسلحين المحسوبين على المسلمين بمقاومة الحكومة البورمية يعتبر سببا كافيا لتهجير الالاف و حرق القرى واغتصاب النساء المسلمات!

العجيب أن من اعتراضات البوذيين على المسلمين (يعرفون بالروهينجا) أنهم يذبحون البقر والماشية للاستهلاك والاكل ولا سيما في عيد الأضحى! ويصفونهم (بقاتلي البقر) ذما لهم وتبشيعا، بينما هم قاتلو البشر لا يرون ذلك مشكلة! فهم يأنفون من ذبح البقر ويذبحون البشر! ومن اعتراضاتهم عليهم أنهم لماذا لا يأكلون الخنزير!! وكأنه ابن عم البوذيين فجاءوا يطالبون بحقه من المسلمين!

ومنذ عشرين سنة أصبح المسلمون عرضة لكافة أنواع الاضطهاد ويكفي مطالعة التقارير التي أصدرتها منظمات حقوق الإنسان<sup>(١)</sup> وهي لا تسجل إلا المقدار القليل

(١) بحسب تقرير بعنوان أحداث بورما ٢٠١٧ أصدرته منظمة حقوق الإنسان نشر على موقعها في الانترنت

https://www.hrw.org/ar/world-report/2018/country-chapters/313018 جاء

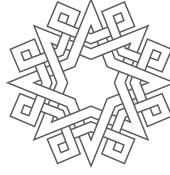
فيه: قامت وحدات عسكرية، بمساعدة ميليشيات من إثنية الراخين، بالهجوم على قرى الروهينغا واركتبت المذابح والاغتصاب على نطاق واسع والاحتجاز التعسفي والحرق العمدة. قُتل بعض الروهينغا الذين فروا بسبب الألغام الأرضية التي زرعها الجنود على طرق بالقرب من الحدود بين بنغلاديش وبورما. أظهرت صور الأقمار الصناعية أن أكثر من ٣٤٠ قرية يسكنها الروهينغا بشكل رئيسي إما دمرت بشكل كبير أو كليا.

قبل ٢٥ أغسطس/ آب، قُدر عدد السكان الروهينغا في بورما بأكثر من مليون شخص، رغم عدم وجود أرقام دقيقة نظرا لاستبعاد الروهينغا من تعداد عام ٢٠١٤. نزح نحو ١٢٠ ألف من الروهينغا ==

الموثق لديها! لمعرفة حجم الكارثة التي يعانيتها المسلمون هناك، كان الله في عونهم.

---

==داخليا وسط ولاية راخين بسبب موجات العنف عام ٢٠١٢. نفى الجيش والحكومة أن الروهينغا مجموعة عرقية، وحرموهم من المواطنة، واصفين إياهم بـ «البنغال» بدلا من «الروهينغا» لتعريفهم كأجانب.



## الهندوسية: التناسخ ووحدة الوجود والتثليث

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

نفتح هذه الآية المباركة الحديث عن إحدى الديانات التي لا تنتمي إلى السماء ولم يأت بها نبي من الأنبياء وهي الديانة الهندوسية.

وهذه الآية المباركة تعتبر المعادل السلبي للآية المباركة التي تتحدث عن من هو أحسن ديناً؟

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

هذا هو الدين الأحسن والأفضل في مقابل منتهى الضلال حين يدعو من دون الله من لا يستجيب له، سواء كان شمساً أو قمراً أو صنماً أو شجراً، فلو ظل يطلب من الشمس أو القمر أو أمثالهما من المخلوقات، من حينه إلى يوم القيامة لن تستجيب لدعائه ذلك بل لا تلتفت إليه، إذ ليس لديها إدراك لحاجته ﴿وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾، وإنما المدعو الحقيقي الذي يستجيب هو الله سبحانه وتعالى.

(١) الأحقاف: ٥.

نقرأ في دعاء الإمام زين العابدين علي السجاد الذي رواه أبو حمزة الثمالي (الحمدُ لله الذي أدعوه فيُجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني والحمدُ لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بطيئاً حين يستقرضني).<sup>(١)</sup>

المدعو الحقيقي الذي هو محل الإستجابة وقضاء الحاجات هو الله سبحانه وتعالى، ودعاء ما عداه ومن عداه يعتبرُ ضلالاً في ضلال.

وهذه الآية تنطبق على ما يمارسه أتباع الديانة الهندوسية والتي هي الثالثة في العالم من حيث عدد معتنقيها، حيث يقدر عددهم بنحو مليار إنسان! (إن صحت هذه التقديرات وهي كما ذكرنا تخضع لعوامل متعددة مما يجعل التوثق من دقتها أمراً صعباً).

ومهما يكن من أمر فإن كونها الثالثة في عدد المعتنقين بعد المسيحية والإسلام، بغض النظر عن التقدير العددي مثير للتعجب! والاستغراب بالنظر إلى الاعتقادات الغريبة الموجودة فيها والنظام الاجتماعي غير العادل المترتب على فلسفتها و..

### من عقائد الهندوسية:

لنقدم الرأي الشرعي في البداية خلافاً لما سبق من المواضيع، فنقول كأنّ الاتفاق قائم بين المسلمين بمذاهبهم المتعددة على اعتبار الهندوسية خارج إطار الديانات السماوية فلا يعتبرهم أحد -فيما رأينا- أهل كتاب ولا شبهة كتاب، ولا هم ملحقون بأهل الكتاب، بل يرونهم من الكفار الذين تترتب عليهم أحكام النجاسة وعدم جواز نكاح نسائهم وعدم سماح الدولة الإسلامية لهم بإظهار عقائدهم وأنه لا تُقبلُ منهم الجزية باعتبار أنها لا تُقبلُ إلا من أهل الكتاب.

(١) القمي، الشيخ عباس: مفاتيح الجنان ٢٥٧.





تشكل الهندوسية من خليط عجيب من الأفكار والعقائد، كما سيأتي غير أن الأعجب هو أن بعض تلك الأفكار قد تسرّب منها في فترات مختلفة إلى ديانات سماوية!! فقد أثار بعض الباحثين ملاحظة عجيبة عن الأفكار التي تسرّبت من الهندوسية إلى المسيحية فيما يرتبط بعقيدة التثليث وعقيدة الفداء وصورة المسيح بن مريم في المسيحية المتأخرة التي تُشابه صورة (كرشنا) في الهندوسية، وأورد بعض آخر نصوصاً من الكتب الهندوسية كـ (الأوبانيشاد) وما شابهها من كتبهم القديمة، وقارن بينها وبين ما جاء في الرسائل المتأخرة للمسيحيين التي شكّلت معظم صورة الفكر المسيحي المعاصر، ووجد مقداراً واضحاً من التطابق بين هذه الأفكار الهندوسية وبين ما تبناه المسيحيون في حق المسيح عيسى بن مريم ﷺ!.

### من هذه الأفكار والاعتقادات

### الفكرة الثانية: ما يرتبط بالخالق

والله الكون: فإن الهندوس يعتقدون بأن الإله مكّون من ثلاث جهات، مع أنه واحدٌ لكنه فيه ثلاث جهات، أو ثلاثة في واحد.

الجهة الأولى: هو الذي يعتبرونه الخالق الذي بيده الخلق ويسمونه (براهما) ولذلك تسمى ديانتهم بالبراهمية لا الإبراهيمية، الإبراهيمية نسبة إلى إبراهيم الخليل ﷺ، والبراهمية نسبة إلى براهما.

الجهة الثانية: هو الإله الحافظ الذي يحفظ الكون ويطلقون عليه اسم (فيشنا) ومن يعتني بالخلق ويدبر لهم أمورهم.

الجهة الثالثة: هو الإله (شيفا)، هذا إله الدمار والفيضانات والزلازل والحرائق

والتدمير وهذه كلها من مسؤوليات شيفا، وأنتم تلاحظون في بعض اللوحات والصور الهندوسية أن هناك شخصاً جالساً ولديه ثمانية أذرع وثمان أيدي فهذا في معتقدتهم إله التدمير.

هؤلاء يقولون هم ثلاثة وهم في نفس الوقت واحد (هو واحد وهو ثلاثة) ولقد تكلمنا عن موضوع التثليث عند عقائد المسيحية وأن ليس مفهوماً أبداً. فإن كانوا أشخاصاً مُتمايزين فكل واحد له وجودٌ خاص فهم ثلاثة لا يمكن أن يكونوا واحداً.

وإذا كانوا مخلوطين فهذا لا يكون، فكلٌ منهم قائماً بذاته وإنما الخليط هو شيء واحد.

الهندوسية عُرِفَتْ قبل ميلاد عيسى بن مريم بـ ١٥٠٠ سنة، لذلك نجد أن بعض الباحثين يقولون أن المسيحيين المتأخرين فيما بعد استوردوا نفس فكرة التثليث ثلاثة في واحد ولكن غيروا رموزها، فعند الهندوس هؤلاء الالهة هي براهما وفيشنو وشيفا، وعند المسيحيين أصبحت الأب والابن وروح القدس.

طبعاً هذا ينطبق على المسيحية المتأخرة، وإلا فإن المسيحية الأولى التي جاء بها عيسى بن مريم ﷺ وآمن بها القوم الذين كانوا في عهده لم تكن فيها هذه الأمور، لكن حصل التغيير والتحريف فيها فيما بعد.

وفي الواقع فإن قضية الالهة لدى الهندوس لا تنحصر في ثلاثة ولا ثلاثائة وإنما تصل إلى «بضعة آلاف من الالهة الصغيرة فهناك مثلاً إله آخر هو ابن شيفا واسمه جانيش، هذا الاله هو الفيل الذي تتجسد فيه الطبيعة الحيوانية للإنسان وتتخذ صورته في الوقت نفسه طلسمًا يقوي حامله من الحظ السيء.. وإلى جانب هؤلاء الالهة



هناك القردة والأفاعي وهي مصادر الرعب التي ترمز لطبيعة الالهة..»<sup>(١)</sup>

## الفكرة الثانية: الاعتقاد بوحدة الوجود

وحدة الوجود يمكن أن يُعبر عنها بتعبيرات متعددة وهي في المبادئ الفلسفية القديمة التي عُرفت عند الهندوسية وبقِيَتْ في بعض تجلياتها ومظاهرها إلى ما بعد، حتى أنها أيضًا تسربتُ ببعض التجليات والأنحاء إلى بعض عُرفاء المسلمين وبعض الفلاسفة والصوفية، فمن هذه التجليات:

-القول بأن الوجود الحقّ والحقيقي هو الله تعالى، وماعدا ذلك لا وجود له في الواقع وإنما وجوده وجودٌ ظنيٌّ، فهذه الأشياء التي تراها ليست وجودات حقيقية، فأنت كشخص مثلاً في الحقيقة لا وجود لك فالوجود للخالق فقط وغيره لا وجود له.

بمعنى آخر..أضافوا شيئاً آخر وهذا موجودٌ عند الهندوسية، أن ما هو موجودٌ في الطبيعة هو وجودٌ حقٌّ لله حلّ الله تعالى فيه، بمعنى أنك لو شاهدت حيواناً فهذا الحيوان الذي تراه كأرنب مثلاً هو في نفس الوقت داخله وجودٌ لله، فكأنما أنت تُشير إلى هذا الأرنب تُشيرُ إلى الله أيضاً.

حتى أن بعضهم يفسر قول بعض المتصوّفة والعرفاء (ما في جُبتِي إلا الله) أي أن هذا الموجود ليس أنا في الواقع وإنما هو الله، وهذا ينطبق على الإنسان وينطبق على الحيوان وينطبق على الشجر وينطبق على كل شيء.

ومن هنا فإنهم مثلاً يجرّمون قتل ذوات الأرواح، فلو أنك قتلت ذا رُوح فكأنك

(١) مظهر، سليمان: قصة الديانات ٩٧.

في الواقع تقتل الله فلا يجب أن تقتله لأن الله موجودٌ داخل ذلك الكائن الحي، فهذه من ضمن عقائدهم وهي فكرة غير صحيحة.

نعم هناك فكرة صحيحة والتي يعبر عنها في ثقافة المسلمين بدلالة كل شيء على الله، والتي يعبر عنها الشعر المعروف:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وما نسب لأمر المؤمنين علي عليه السلام من انه: (ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله)<sup>(١)</sup> هذا المعنى يختلف تماماً عما يذهب إليه القائلون بذلك المبدأ، فمعنى هذا انني أستدل بالخلق على الخالق، وعندما أرى مخلوقاً أعلم أنه لم يخلق نفسه ولم يخلقه نظيره، وإنما خلقه ربّه. ووجود هذا الشيء وجودٌ حقيقي، ولكنه وجود معتمد على غيره في أصله وفي استمراره، والموجد له أصلاً والمبقي له استمراراً هو الله سبحانه. فـ (لا حول ولا قوة إلا بالله).

أما فكرتهم الأولى فتقول إنه لا موجود في الحقيقة إلا الله، وأما سائر الموجودات فهي ظلال لوجود الله، فلا كثرة في الوجود وإنما هو وجود واحد وهو الله وما زاد إنما هو توهم الرائي والناظر.

(١) بالرغم من اشتهاار هذا القول واشتهاار نسبته لأمر المؤمنين عليهم السلام إلا أنني لم أجده في مصدر من المصادر الحديثية الأساسية، والغالب أنه يأتي في كتب العقائد أو الفلسفة أو الشروح أو التفسير وكلها من غير مصدر أساس أو إسناد، فقد ذكره المولى صالح المازندراني في شرح أصول الكافي ٨٣/٣ من غير أن يذكر مصدره، ومثله فعل الملا صدرا في الأسفار الأربعة، والملا السبزواري في شرح الأسماء الحسنى، والشيخ البهائي في مشرق الشمسيين ومفتاح الفلاح. وقد أضاف في تفسير مواهب الوهاب (وبعده ومع وفيه) فصار (ورأيت الله قبله وبعده ومع وفيه) والطريف أنه في بعض المقالات زادت (وفوقه وتحت) فصار النص هكذا (ورأيت الله قبله وبعده وفوقه وتحت ومع وفيه)..



وهذه ما يعبر عنه بوحدة الوجود والموجود. ولهذا فإن الهندوس يقولون مثلاً أن المخلوقات الحية ينبغي ألا تُقتل أو تُؤذى لأن وجودها هو وجود (الله) في زعمهم. ولا أجد أبغ من الآية المباركة في أول الصفحات توصيفا لهذه الاعتقادات والمعتقدين بها

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾.

### الفكرة الثالثة: الاعتقاد بالتناسخ

يعتقد أهل الديانة الهندوسية بتناسخ الأرواح وهو أن الإنسان عندما يموت ينتهي بدنه، وأما الروح فهي باقية لروح أخرى فلا تبقى معلقة هكذا في الفضاء بل لا بد أن لها محلاً، كالصبيغ مثلاً لا يبقى في الفضاء لا بد له من جدار يبقى عليه أو لوح ينطبغ عليه.

فيزعمون أن الروح هي من هذا القبيل فلا تبقى معلقة هكذا وإنما لا بد أن تدخل في جسدٍ آخر، ولذلك إذا مات هذا الإنسان أو الحيوان لا يوجد فرق بينهما تبقى روحه مدةً قصيرةً من الزمان ثم بعد ذلك تتعلق وتدخل في جسدٍ آخر أو بدنٍ آخر.

فقد تدخل روح الإنسان المتوفى في روح حيوان على اعتبار أن الروح لا تبقى معلقة، كروح إنسان تدخل في هرة على سبيل المثال، أو في لبوة أو غير ذلك.

هذا الإنسان الحي على سبيل المثال:

أنت إنسان حيٌّ مكون من بدون وروح هذه الروح التي ستدخل هل تُخرج الروح الأخرى وتدخل مكانها، أم يتقاسمها البدن بالنصف؟ تحل محلها؟ تتزاحم معها؟

كيف يحصل وماذا يحصل؟

ثم ما هو البرهان على هذا الأمر؟

مجرد أن يأتي إنسان بنظرية لأبدي أن يأتي عليها برهان واضح ولم نجد برهاناً واضحاً على هذه الفكرة لا من الناحية العلمية ولا من الناحية الدينية.

### الفكرة الرابعة: نزول الإله من السماء

قالوا إن كريشنا - التي ذكرناه سابقاً في عنوان عقائد الهندوسية - هذا ينزل من السماء وهو في نفس الوقت فيه جزء نأسوتي (بشري) وفيه جزء (لاهوتي).

هم يفترضونه شخصاً غيبياً إلهياً فيه جزء من إله الكون (براهما) كما يسمونه والذي يعتبرونه الخالق الذي بيده الخلق، فجاء هذا الإله أو جزء منه إلى (كريشنا) فتجسد فيه فكأنما هذا الإله لا يستطيع أن يباشر الأمور مع البشر بنفسه إلا من خلال هذا الانحلال والتجسد. فأصبحوا يعظمونه ويقدمونه بنفس الطريقة التي صار يُعظم فيها المسيحيون عيسى بن مريم.

### الفكرة الخامسة: التنظيم الاجتماعي الطبقي الظالم

يفترض الهندوس أن البشر مُقسَمون إلى ثلاثة أقسام ولا تستطيع طبقة أن تصعد إلى الطبقة الثانية وهذا مكتوبٌ عليهم ولا مجال لتغييره لأن خلقتهم هي هكذا، فبراهما كما يزعمون خلق مانو وهو أول البشر ومن رأس مانو (!) خلق البراهمة وهم الكهنة البراهمة وهي أفضل الطبقات. ومن ذراعه خلق من يليهم في الأفضلية وهم الملوك والمحاربون! ومن فخذه جاء أرباب المهن في العالم بين زراع ونجار ممن يوفرون مسائل العيش للكهان والملوك والمحاربين.. ومن قدميه جاء بقية الناس الذين ينتمون



إلى الطبقة السفلى وليس لهم من مهمة سوى خدمة الطوائف الثلاث السابقة في أحسن حاجاتها<sup>(١)</sup>!!

ومن المثير للاستغراب للإنسان كيف أن بلداً كالهند يعتبر من الدول المتقدمة في أنظمتها الديمقراطية، ومن الناحية العلمية يُعد من الدول الرائدة في الصناعات إلا أن حالة الفقر في الجانب الديني يجعل مثل هذه الاعتقادات لا تزال تسيطر على المشهد الشعبي العام! بحيث يلاحظ الناظر وجود فارق كبير بين المستوى العلمي التقني وبين المستوى العقلي في قضية العقائد.

فقد تجد أعلى درجات العلم والمعرفة في جوانب تخصصية، بينما في جهة العقيدة والمعرفة الدينية تجد شيئاً مخجلاً تعافه الفطرة ويمجّه العقل ويتعجب الناظر كيف يؤمن مثل ذلك الإنسان الذي يمتلك ذلك المستوى بمثل هذه العقائد!؟

## الفكرة السادسة: قيمة المرأة

بحسب العقيدة الهندوسية تقبع المرأة في أسوأ الدرجات! فإنها تبدأ معاناتها منذ الولادة، فعند ولادة البنت ينتظرون أن يصبح عمرها ثلاث سنوات، ثم يفكرون فيمن سيتزوجها؟ على سبيل المثال: إذا كان ابن عمها، ذهبوا بها إلى بيت عمها المُفترض أن يكون ابنه زوجها في المستقبل، حتى تتعود على عاداتهم وطريقتهم وتنسجم معهم، أي أن المفترض أنهم يُعوّذوها على عاداتهم فتتحول عندهم إلى خادمة مطيعة، تُؤمر فتتقَدُّ ما يُطلب منها، هكذا إلى أن يحصل الزواج الفعلي، فتتعامل مع والدة زوجها كأنها معبودة وليست مسألة طاعة.

أكثر من هذا، لو افترضنا في هذه الأثناء وقبل الزواج حين أصبح عمرها عشر

(١) سليمان مظهر؛ قصة الديانات ٨٢.

سنوات، مات الذي يُفترض أن يكون زوجها، فإذا كان لديه ابنٌ، فإنه يكون وليّها حتى لو كان عمره سنتين أو خمس سنوات، يأمرها فتطيعه راغمةً غير راغبة، ولو أصبح ذا عشر سنوات فهي محكومة باسم وبيد هذا الولد، وعندهم لا يوجد امرأة ليس لها ولي، إذ لا بد من ذلك فإن كان والدها موجود فهو وليها، وإن لم يكن موجوداً فزوجها، وإذا كان هذا الزوج غير موجود فابنّها، وإذا كان غير موجوداً، فوالد زوجها، وهكذا، فلا يوجد امرأة من غير ولي ذكر.

وبناء على هذا الوضع الحال الحاصل للنساء في هذه البلاد، ظهرت احتجاجات وتحركات، فصدرت بعض التشريعات والقوانين في عام ١٩٩٠ غيرت من هذه الحالة فألغى زواج الأطفال رسمياً، أما في الأماكن التي لا يصلها القانون كالأرياف والقرى وما شابه ذلك هذا لا يُنفذ، فهو من بيئتهم الاجتماعية وما زالت موجودة في أصول عقيدتهم.

### انقسام الشيخ عن الهندوس:

الشيخ فرقة من الهندوس انقسمت عن الهندوس، بعض الباحثين يقول أنهم تأثروا في بداية أمرهم ببعض مبادئ الإسلام وثاروا على بعض الأمور المعتقدة لديهم فصار بينهم وبين الهندوس اشتباكات ومعارك ومشاكل فمن هذه الأمور المرفوضة من قبلهم قضية التثليث، وقضية المنبوذين اجتماعياً وزواج الأطفال.

هذه صورة إجمالية عن هذه الديانة، وعن أفكارها وعقائدها.

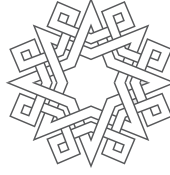
نسأل الله سبحانه أن يثبتنا على دينه إذ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> وأن يعيننا على الالتزام بتكاليفه والإيمان





بعقائده فإنها لنعمة كبرى يستشعرها المسلم ولا سيما من كان على منهاج آل محمد عندما يقارن بين ما هو لديه من المعرفة الصحيحة والعقيدة السليمة والعبادة البديعة لخالق السماوات والأرض وبين ما هو عند ملايين أو مئات الملايين من البشر الذين يجبطون خبط عشواء لا يهتدون سبيلا ولا يبصرون طريقا! ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>





## ملحق ١

### رسالة المرحوم العلامة السيد عبد الستار الحسني<sup>(١)</sup> طاب ثراه إلى مؤلف الكتاب

قال: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خيرته

(١) ترجمه المرحوم الدكتور جودت القزويني - وكلاهما حين كتابة هذه السطور قد رحلا إلى خالقهما  
تغمدهما الله برحمته - في كتابه «تاريخ القزويني» ١٤ / ٨٦، فقال - ما ملخصه:

عبد الستار بن درويش الحسني. (توفي الاثنين ٦ من شعبان ١٤٤١ هـ)

ولد بمدينة بغداد سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م، ودرس بمدارسها الرسمية، وبعد إكماله المرحلة  
المتوسطة دخل إعدادية النضال، وتخرج منها، لكنه لم يكمل تحصيله الجامعي الرسمي.

وكان منذ نشأته الأولى، وهو في المرحلة المتوسطة، قد ظهرت عليه علائم النبوغ. وصادف أن زار  
العلامة الكبير السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، فاختصه الشهرستاني؛ لما رأى نبوغه وتقدمه  
على أقرانه، وطلب منه أن يلازمه؛ ليقرأ له كل يوم في بعض المؤلفات التي يحتاجها بعد فقدان بصره.

وقد مكنته سنوات صحبته للعلامة الشهرستاني من التطور علمياً وأديباً، وصقلت شخصيته  
بالثقافة التراثية المعمقة، حتى تمكن باستيعاب علوم الأدب، وفن التاريخ، مضافاً إلى ولعه بعلم  
النسب وشغفه به، وحفظه لمشجرات الأنساب، أصولها وفروعها على حد سواء.

من خلقه محمد وآله الطاهرين الذين جعلهم الله سبحانه وتعالى أئمة يتلون بالحق وبه يعدلون.

صاحب السماحة شيخنا علامة الخطباء وخطيب العلماء، الخطيب المصقع والمحاضر المفوه الأستاذ الشيخ فوزي آل سيف، لا زال للإسلام سيفاً مهنداً وللدين الحنيف والمذهب عضباً مجرّداً.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد وفاة الشهرستانيّ عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، لازم المجتهد السيّد محمّد مهدي الموسويّ الكاظميّ (ت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)، صاحب كتاب «أحسن الوديعه في تراجم مشاهير علماء الشيعة»، واختصّ به. وقد حضر عليه دروسه في الفقه والأصول، ممّا أدهش أستاذه في تقدّمه العلمي، فأجازه بإجازة «الاحتياط» في الفقه، وهو بتلك السنّ. وكنّت أحتفظ بهذه الإجازة بخطّ الكاظميّ، لكنني فقدتها بعد دمار مسكني في حرب تموز ٢٠٠٦م، بصواريخ الطائرات الإسرائيليّة عند إقامتي ببيروت. لم يعتمد الحسنّيّ في دراسته على أساتذة آخرين، فقد أكملت عدّته، لما يتميّز به من ذكاء خارق، ومواهب جمّة قلّما تجتمع عند أحد. وبالرغم من حضوره حلقات درس بعض المجتهدين وغيرهم، فقد كان يحضر هذه الدروس على سبيل الاختبار لا التحصيل. فلم يكن محتاجاً لتقرير بحث، أو كتابة مطلب، وإنّما ليميّز بين مستويات العلماء ومدى غورهم العلمي، وطريقتهم في التدريس.

بدأ الحسنّيّ حياته بالكتابة والتأليف ونظم الشعر والتجويد فيه، وقد أولع بعلم الأنساب، وتبحّر فيه، حتّى عدّ «نسابة العراق الأوّل» بلا منازع، شهد له بذلك أستاذ الفنّ السيّد مهدي الوردّيّ النسابة، والعلامة الدكتور حسين عليّ محفوظ. وقد سمعت ذلك منهما في مجالس عدّة، بل أخبرني السيّد مهدي الوردّيّ أنّ الحسنّيّ لم يكن نسابة العراق فحسب، بل هو نسابة العالم بأجمعه.

وقد أصبح لقب «النسابة» حكراً عليه، لا يُعرف إلاّ به.

وهو مضافاً إلى تخصصه الفريد بعلم النسب، فقد جمع علوماً مفرّقة، حتّى أصبح من المتخصصين بكلّ علم على استقلاله. فهو لغويّ ماهر، له آراء في اللغة، وكثيراً ما أشكل على لغويي عصره، وقدم البديل لهم.



دعانا اليوم صديقنا سماحة الأستاذ العلامة الباحث الميرزا أبو الحسن الإمامي في قم المقدسة وفي أثناء كلامنا رأيت في التلفاز شخصكم الكريم وأنتم تحاضرون في عام ١٤٢٧ أو ١٤٣٧ للهجرة كما كُتِب، محاضرة عنوانها (حاجة المجتمع إلى الدين في عصر العلم) أو عنواناً قريباً من هذا، وفي أثناء استماعي لمحاضر تكم الوافية الكافية شدني الإعجاب بكم إلى هذه المحاضرة الفريدة التي هي من محاضرات العلماء وليست من

وهو جامعٌ لعلوم الفقه والأصول والمنطق والفلسفة القديمة، مضافاً إلى قراءاته المعمّقة بالتاريخ والأدب، وكتب التراث العربي وعلم الآثار والخطط والإجازات وعلم الرجال والحديث والتفسير. إنّه «دائرة معارف» متشابهة ومتشعبة بكلّ ما تعني هذه الكلمة من معنى. مؤلفاته: له تسعة عشر كتاباً منها ما هو في الأنساب ومسائل فقهية وترجمة شخصيات وأسر ومواضيع تاريخية.

والأستاذ الحسيني شاعرٌ غزير التاج، يستطيع أن يجعل كلامه شعراً. وكانت طريقته أن يعبرَ عمّن يلتقي به بأبيات يذكر فيها مناسبة اللقاء. وكثيراً ما كان يهجو على سبيل المداعبة، أو يقلّب مدحه هجاءً في الوقت نفسه.

فهو شخصيّة تجتمع فيها كلُّ عناصر الغرابة، فهو كريم النفس، أبيها، وهو بسيط في علاقاته وحتى في ملبسه. وكان دائماً يتقلّب في بيوت أصدقائه الخواصّ، وفي المساجد والحسينيّات ومرقد الأولياء والصالحين في بغداد وغيرها.

ومن صفاته أنّه كثير المديح للآخرين من أصحاب الفضل، من العلماء والأدباء، وكثيراً ما كان يضيف عليهم من مشاعره الأدبية بما يليق بهم من التكريم. كما كان كثير الرثاء لأصدقائه ولجملة من الأعلام، حتّى شكّل شعره في الرثاء خاصة «ملفاً» ضخماً، يمكن أن تُعدّ قصائده - لو حُفظت جميعها - من النوادر في هذا الباب.

كانت حياة الأستاذ الحسيني حياةً شاعر وعالم (بكلّ ما تعني هذه الكلمة من معنى)، لكنّه لم يجد لعلمه طريقة لإظهاره. فلم تكن شخصيته مبرمجة للعلم فقط، وإنّما كان متورّعاً لهموم أخرى، تقربّه للحياة المتشردّ أينما حلّ وسكن.. إلى آخر ما ذكره عنه السيد القزويني.

كما ترجم له كامل سلمان الجبوري في كتابه معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م.

محاضرات كل من يرقى المنبر، فأنت محاضر عالم وسنسميها المحاضرات السيفية لأنها معلوم محمد وآل محمد لا ترقى إليها محاضرات الراغب ولا محاضرات غير الراغب.

وأنا دائماً أستمع إلى محاضراتكم وسألت عنكم بعض الإخوة القطيفيين على قلة معرفتي بالناس وعدم ميلي إلى الاختلاط بالناس، فقبل حوالي خمس سنوات في مدينة مشهد الرضا رأيت أحد السادة من أهل القطيف وأظنه يلقب بالسيد فلان العوامي وسألت عنه الشيخ فوزي آل سيف وأخبرته بإعجابي به فقال بأنك خطيب مثقف.

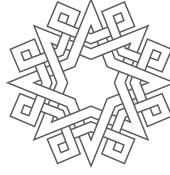
وحقيقةً اقترحت على سماحة الميرزا بأن أسجل كلمة مختصرة عن إعجابي وأنا واثق جداً الوثوق أن كثيراً من طلبة العلم بل أهل العلم الذين لهم مشاعر متناسخة مع مشاعري تجاهكم وأقول: لئن قد فاز في عمل وعلم فإن الفوز مقرون بفوزي.

حقيقةً وأنا ألاحظ على محاضراتكم أنكم إذا بدأت بموضوع تعطونه حقه من البحث والتقرير بما لا مزيد عليه بحيث تسدون الطريق بمن عساه أن يفكر بأن يستدرك عليكم، مع لغة جميلة وأسلوب في الإلقاء بديع وبيان معجز ولست بمبالغ إذا وصفته بالبيان المعجز لأنك تتحدث عن علوم الكتاب المعجز وأسأل الله تعالى ان يحفظكم ويكثر من أمثالكم وليت لنا هناك خمسة من العلماء الخطباء يكونون على نمط سماحة العلامة الخطيب الكبير الأستاذ الشيخ فوزي آل سيف وتذكرت بيتين قد حفظتهما من أيام الصبا وأنا أقرأ في كتاب وفيات الأعيان لأحدهم يقول:

شُرح المنبر صدرًا لتلقيك رحيبًا

أترى ضم خطيباً منك أم ضم طيباً

فأسأل الله وأكرر السؤال من الله تعالى بأن يحفظكم وأن ينفع بكم وأنا الأقل عبد الستار الحسيني عفا عنه المليك الغفار وأرجو دعاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



## ملحق ٢

### هل خرجت النبوة من نسل يوسف؟

من الأمور المشهورة بين الخطباء والكتاب أن نبي الله يوسف عليه السلام، لم تكن النبوة في صلبه لأنه (لم يترجل) عن مركبه لاحترام والده النبي يعقوب، فعوقب على أثر ذلك بحرمان نسله من أن يكونوا أنبياء! وللمناقشة في هذا مجال ولو لإثارة بعض الأسئلة فما هو مصدر هذه الفكرة؟

١. يظهر أن أقدم مصدر ذكر هذه الفكرة هو تفسير علي بن ابراهيم القمي وهو وإن لم يعرف بشكل دقيق تاريخ وفاته إلا أنه يعد من أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام، ومن مشايخ الكليني صاحب الكافي وعلي بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق فقد ذكر في التفسير تفسير القمي..

ففيه حدثني محمد بن عيسى عن يحيى بن أكثم وقال سألت موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على أبي الحسن عليه السلام فكانت إحداها أخبرني عن قول الله عز وجل ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً سجداً يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء، فأجاب أبو الحسن عليه السلام أما سجود يعقوب وولده ليوسف فإنه لم يكن ليوسف وإنما

كان ذلك من يعقوب وولده طاعة الله وتحمية ليوסף كما كان السجود من الملائكة لآدم ولم يكن لآدم إنما كان ذلك منهم طاعة الله وتحمية لآدم فسجد يعقوب وولده وسجد يوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم ألم تر أنه يقول في شكره ذلك الوقت ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ فنزل جبرئيل فقال له يا يوسف أخرج يدك فأخرجها فخرج من بين أصابعه نور، فقال: ما هذا النور يا جبرئيل؟ فقال: هذه النبوة أخرجها الله من صلبك لأنك لم تقم لأبيك فحط الله نوره ومحا النبوة من صلبه وجعلها في ولد لاوي أخي يوسف وذلك لانهم لما ارادوا قتل يوسف قال ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ﴾ فشكر الله له ذلك ولما ارادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر وقد حبس يوسف أخاه قال ﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فشكر الله له ذلك فكان انبياء بني إسرائيل من ولد لاوي وكان موسى من ولد لاوي.<sup>(١)</sup>

وأول ما يلاحظ على هذه الرواية أن مصدرها التفسير المذكور وفيه كلام طويل بين المحققين في وثاقة الرجال المذكورين في أسانيدهم، وعلى أي حال فلا ينفعننا في الحكم بوثاقة رجال هذه الرواية لأنهم قد اشترطوا شروطاً للتوثيق بشهادة علي بن ابراهيم صاحب التفسير أولها أن يكون الراوي شيعياً لقوله «ثقاتنا»<sup>(٢)</sup> ومع كون الراوي يحيى بن أكثم قاضي العباسيين المعروف لا مجال لدخوله في هذا الشرط، وإن كان مذكوراً في القسم الأول من التفسير. هذا بالإضافة إلى ما ذكر في شأنه بالخصوص حيث قال السيد الخوئي في المعجم: كان من الخبثاء غير المنقادين للأئمة المعصومين.. وما يذكر في تاريخه - إن صح - من الانحرافات الأخلاقية يمنع من الأخذ بروايته. وهو واقع

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي ١/٣٥٦.

(٢) لتفصيل المطلب يراجع كتاب أصول علم الرجال للشيخ مسلم الداوري ١٦٣.





في سلسلة رواة هذا الحديث ..

ثم إنه لا يوجد ترابط بين مقدمة الحديث وبين نتيجته وهي خروج النبوة والنور من يده! فإن الحديث بينها هو يسرد أنهم سجدوا لله فسجد يعقوب وولده وسجد يوسف معهم شكرًا لله لاجتماع شملهم، وبينما هو يذكر شكر يوسف لله قائلاً ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.. وهذه أجواء الشكر والاعتراف بالمنة الالهية، يقول فجأة فنزل جبرئيل وقال له افتح يدك وخرج منه نور.. الخ!! فلم يكن هناك ذكر لتكبره عن القيام لأبيه!

وبعد ذلك يقول الحديث بأنه أعطيت النبوة لأبناء لاوي لمواقفه المشرفة من يوسف، وهذا لا غبار عليه لكن الثابت تاريخياً أن النبي داود وسليمان ﷺ كانا من ذرية يهوذا ولم يكن صاحب مواقف هكذا! بل كان صاحب فكرة بيعه بدراهم معدودة<sup>(١)</sup>! فإذا كان العمل الخاطيء ينتج أن يجرم فاعله من كون النبوة في نسله فلماذا لم يكن هذا الأمر هنا؟ مع أن هذا العمل -استرقاق حر- عمل محرم، وأقصى ما فعله يوسف -إن فرض صحة ذلك- فهو خلاف الأدب والأخلاق! فكيف لم يمنع العمل المحرم الذي قام به يهوذا وهو استرقاق يوسف وبيعه من تحقق النبوة في نسله ومنع العمل المخالف للأخلاق من ذلك؟. إضافة إلى ما سيأتي من الحديث في مرتبة المانع الذي يمنع من الأخذ بها!

فهذه الرواية من الناحية السندية غير معتبرة، ومن الناحية الدلالية تثير أسئلة في صياغتها ومضمونها!

٢. الرواية التي نقلها الشيخ الصدوق في علل الشرائع؛ وهي التالية: أَبِي ﷺ قَالَ

(١) سفر التكوين ٣٧ عدد ٢٦: ما الفائدة أن نقتل أخانا تعالوا فنبيعه للاسماعيليين.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ رَفَعُوهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَمَّا تَلَقَى يُوسُفُ يَعْقُوبَ تَرَجَّلَ لَهُ يَعْقُوبُ وَلَمْ يَتَرَجَّلْ لَهُ يُوسُفُ فَلَمْ يَنْفَصِلَا مِنَ الْعُنَاقِ حَتَّى أَتَاهُ جَبْرَائِيلُ فَقَالَ لَهُ يَا يُوسُفُ تَرَجَّلْ لَكَ الصَّدِيقُ وَلَمْ تَتَرَجَّلْ لَهُ ابْسُطْ يَدَكَ فَبَسَطَهَا فَخَرَجَ نُورٌ مِنْ رَاحَتِهِ فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ مَا هَذَا قَالَ هَذَا آيَةٌ لَا يَخْرُجُ مِنْ عَقِبِكَ نَبِيٌّ عُقُوبَةً..

وهذه الرواية أوضح دلالة وأكثر استقامة في مضمونها من السابقة، حيث شرحت عدم ترجل يوسف لأبيه أولاً، ونتيجة ذلك أن جبرئيل جاءه وأخبره بسبب خروج النور من يده.. لكنها من الناحية السننية غير تامة لأنها مرفوعة إلى الإمام الصادق ﷺ، ولا ينفع القول هنا بأن الذي روى عنهم يعقوب بن يزيد وهو ثقة فلا يعقل أن يروي عن جماعة ويكونون كلهم غير ثقات! فإنه يقال إن المشكلة ليست هنا فقط وإنما بعد هؤلاء حيث رفعوا الرواية للإمام ﷺ يعني أن هناك واسطة بينهم وبين الإمام ﷺ غير معلومة!

وكذلك حال الرواية التي نقلها في الأمالي بعنوان وروي في خبر عن الصادق، فيرد عليها نفس الاشكال. بل يظهر أنها نفس الرواية وليست رواية أخرى!

٣. الرواية التي نقلها الشيخ العطاردي في مسند الإمام الصادق: عنه حدثنا محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن يحيى العطار عن الحسين بن الحسن بن أبان عن محمد بن أورمة عن محمد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال لما أقبل يعقوب إلى مصر خرج يوسف ﷺ ليستقبله فلما رآه يوسف هم بأن يترجل ليعقوب ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم

يفعل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرئيل. (١)

وهي نفس رواية الصدوق لكنها بسند آخر هو ما ذكر أعلاه؛ والاشكال السندي أيضا قائم فيها فإن الحسين بن الحسن لم يوثق كما ذكر ذلك الامام الخوئي في المعجم، وابن اورمة اتهم بالغلو ونفى ذلك في المعجم وانتهى إلى أن ما كان من رواياته ليس فيه تخليط أو غلو فلا مانع من العمل به والاعتماد عليه وما جيلويه لم يذكره بتوثيق في المعجم سوى القول إنه أكثر الصدوق الرواية عنه مترضياً عليه وهو على مسلكه لا يدل على التوثيق.

ومن جاء بعدهم كصاحب مجمع البيان وغيره فإنما نقل عن التفسير وقد عرفت حال تلك الرواية عن يحيى بن أكثم، أو عن الصدوق في العلل أو الأمالي وهي رواية واحدة لا تسلم بأسانيد المتعددة.

فلم يبق دليل سالم عن الخدشة يمكن الاعتماد عليه لإثبات فكرة خروج النبوة من نسل يوسف لتكبره واستنكافه عن احترام أبيه أو الرجل له، على أنه يصعب تصديقه مع كل ذلك المدح الذي كاله له القرآن، ولا سيما في نهاية سورة يوسف من كلامه هو مبتهلاً إلى الله شاكرًا. بعد أن رفع أبويه على العرش!

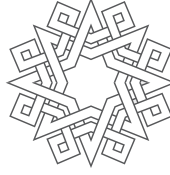
فعلى مستوى الاقتضاء، لا نجد دليلاً واضحاً على هذه الفكرة.

وأما على مستوى المانع فإنه يوجد مانع يمنع من الأخذ بهذه الروايات - لو سلمت سنداً وهي غير سليمة - وهو أنه وجد من نسل يوسف نبي مرسل! وهو يوشع بن نون! فإنه وإن كان المشهور أنه وصي موسى إلا أن النبوة لا تتنافى مع الوصاية، فقد كان شيث هبة الله وصي آدم وهو نبي أيضاً بعده. وكان هارون وصياً وخليفة لأخيه

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله: مسند أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) ٢/ ٢٣٩.

موسى ومع ذلك كان نبياً في زمانه! والعجيب أن الشيخ الصدوق هنا قد ذكر أنه خرجت النبوة من يده بينما هو في كتاب آخر (كمال الدين) يتحدث عن نبوة يوشع بن نون وهو من أحفاد النبي يوسف!! وقد صرح الشريف المرتضى من الامامية في كتابه الشافي بدعوى الاجماع بين المسلمين (وليس الامامية فقط) على نبوة يوشع بعد موسى النبي، ومن المعلوم عند الجميع أن يوشع هو من أحفاد النبي يوسف! وتفصيل ذلك ومصادره في الحديث عن يوشع بن نون قد تقدم في الصفحات السابقة.

بل إن هناك قولاً بين المؤرخين بأن النبي اليسع هو أيضاً من أحفاد يوشع بن نون، الذي هو من أحفاد يوسف وإذا تحقق هذا القول فإن الرقعة تتسع على أصحاب الفكرة السابقة.



## ملحق ٣

### إعراب كلمة (والصابئون) في الآية المباركة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

اعترض البعض - لا سيما من مخالفي القرآن على الآية المباركة - بأنها مخالفة لقواعد اللغة، وهذا يعني أن القرآن فيه أخطاء نحوية فلا يمكن أن يكون وحياً منزلاً من السماء! وذهب بعضهم بها عريضة! ولو التفتوا إلى بعض الجهات العلمية وتعمقوا فيها لخففوا من غلوائهم. ونقول في هذا المجال أولاً:

إن ذلك لو كان خطأً لالتفت إليه مشركو قريش وهم أساس البلاغة وفرسان اللغة العربية، والقرآن قد تحداهم بأن يجدوا فيه خللاً واحداً وتحلفاً عن الموازين العلمية أو البلاغية أو غيرها، فلو كان ذلك خطأً بحسب موازين اللغة لكان لهم أن يظهره وأن يشهروه وأن يشهروا به لا سيما وأن التحدي لهم في أول درجاته تحد لغويٌّ. فلما لم يفعلوا وهو بمسمع منهم ومرأى ينبغي أن يستنتج أن هذا ليس من الأخطاء ولا يخل حتى بالبلاغة! ونفس الكلام يأتي بالنسبة لعلماء اليهود والنصارى في تلك الأزمنة

التي نزل فيها القرآن، وهم العارفون باللغة ويهمهم بلا ريب أن ينقضوا القرآن الذي نقض أساس بنائهم.. فلم يفعلوا ذلك.. ولو كان لأشكلوا عليه واعترضوا بأنه مخالف لقواعد اللغة. بل حتى علماء اللغة المسلمون لا ريب أنهم لو رأوا فيه خلا وخطأ لسألوا النبي عن ذلك! واستفسروا عنه.. ولم يحصل.

فلا ينبغي أن يأخذ البعض من المتأخرين الغرور ليتصوروا أنهم أتوا بما لم يعرفه جهابذة شعراء العرب وفحول الأدب واللغة الماضون.. هذه مقدمة مهمة نرى لزوم الالتفات إليها.

وأما الجواب عن السؤال؛ والاشكال وهو أن كلمة (الصابئون) وهي جمع مذكر سالم يرفع بالواو والنون وينصب ويجر بالياء والنون، كيف جاءت هنا مرفوعة، والحال انها ينبغي أن تكون منصوبة بالياء والنون لكونها معطوفة على (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) وهما بحسب الفرض منصوبان لكون الاولى اسما لإن، والثانية معطوفة عليها! واسم ان منصوب. والمعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه فكان ينبغي أن يقول (والصابئين) لكنها جاءت في هذه الآية بلفظ (والصابئون) مرفوعة!

وهناك عدة أجوبة قدمت من قبل أهل اللغة؛ تقتصر على بعضها بما هو سهل الفهم:

١. فقد قيل إن هناك تقديراً في الآية بحيث تكون الآية هكذا (إن الذين آمنوا والذين هادوا - والصابئون كذلك - والنصارى..) فإذا كانت بهذا النحو، تصبح مبتدأ وخبراً وحقهما الرفع، وتكون كأنها جملة معترضة، والباعث على ذلك ربما لأن الصابئين ليسوا ملة ونحلة قائمة بذاتها وإنما هم من النصارى - الفئة المستقيمة - على ما سبق الحديث عنه..

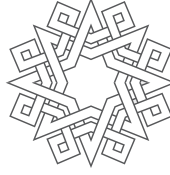
٢. أن العطف في اللغة تارة يكون على اللفظ فيتبعه في الاعراب، وأخرى يكون



العطف على المحل فيتبع المحل في الاعراب وإن كان اللفظ مختلفا في حركته الاعرابية. ومثاله البسيط: إنَّ زيدا قائم..فتارة يلاحظ لفظ زيدا وهو هنا منصوب لأجل دخول إنُّ، وأخرى يلاحظ محله وهو كونه مبتدأ ومحل المبتدأ مرفوع، فإذا تم العطف ولوحظ اللفظ فلا بد من نصبه، وأما لو تم العطف ولوحظ المحل فإنه يرفع لأن محل المبتدأ مرفوع..وتوجد عليه شواهد في اللغة من شعر العرب، ونحن هنا يمكن أن نجعل (الصابئون) معطوفة على محل المبتدأ، ومحل المبتدأ مرفوع، فإذا عطفت عليه كانت مرفوعة بالواو والنون..وهناك أجوبة أخرى أيضا.







## كلمة شكر

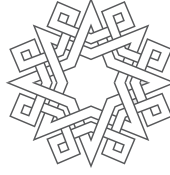
في نهاية هذا الكتاب أتوجه بالشكر الكثير للإخوة الفضلاء

الفاضل محمد رضا الطريفي الجمريّ، والفاضل علي حسن الجمريّ، والفاضل  
علي جعفر الجمريّ، والفاضل لؤي يوسف طرّادة، والفاضل سعيد ارهين، والفاضل  
أبي محمد العباد والفاضل سعيد المرزوق، ولا أنسى ابنا الفاضل الشيخ أحمد انصيف  
كذلك.

وللأخوات الفاضلة ليلى الشافعي، والفاضلة أم عبد الجليل الرميح، والفاضلة  
زهراء أم فاضل، والفاضلة أم رضا، والفاضلة أم هادي

على الجهود المباركة التي قدموها وقدمنها، حتى أخذ الكتاب صورته النهائية،  
كما أخص بالذكر والشكر الأخ الفاضل عبد الأمير البحراني على ما بذله من جهد  
مشكور في تصحيح النسخة النهائية. وأسأل الله سبحانه أن يجعل لهم ولهن بكل كلمة  
نافعة درجة في الجنة إنه على كل شيء قدير.





## المصادر

بعد القرآن الكريم

حيث أن أكثر المصادر التي تم اعتمادها هي نسخ الكترونية على مواقع أو تطبيقات، فسيتم الاشارة إلى اسم الكتاب والمؤلف والمطبعة وأيضا سيتم الاشارة إلى الموقع الذي تم أخذ النسخة منه وهي كالتالي: مكتبة مدرسة الفقاهة ar.lib.eshia.ir وسيرمز لها بالحرف (ف) ومكتبة أهل البيت ishia book وسيرمز لها بالحرف (ب) وهناك مصادر توجد في مكتبة أهل البيت -

الموقع الالكتروني ablibrary.net - سيرمز لها بالحرف (م). وبعض كتب مدرسة الخلفاء تم الاعتماد على تطبيق تراث تطبيق app.turath.io وسيرمز لها بالحرف (ت)، وهناك نسخ كتب تم تنزيلها في صفحات أو مواقع مخصصة لهذا الغرض على الانترنت، فسيشار إليها.. وسيكتب كاملا في غير هذه الحالات. ولا يخفى أن قسما من معلومات هذه الطبعات قد لا تكون موجودة بالكامل.

## - أ، ب -

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد: شرح نهج البلاغة، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم (ف).
٢. الإصفهاني، السيد أبو الحسن الموسوي وسيلة النجاة (تعليق السيد الخميني)، مؤسسة تنظيم آثار الامام الخميني، قم (ف).
٣. البحراني، الشيخ ميثم: شرح نهج البلاغة، مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي - الحوزة العلمية - قم (م).
٤. البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر (ب).
٥. البدري؛ السيد سامي: التوراة قراءة إسلامية مقال نشر في مجلة الفكر الإسلامي سنة ١٩٩٩م - العدد ٢١ و ٢٢.
٦. نسخة الكترونية قرئت بتاريخ ٢ / ١١ / ١٤٤١ في موقع مؤسسة تراث النجف الحضاري najafcf.com
٧. البروجردي، السيد حسين: جامع أحاديث الشيعة، مطبعة مهر. قم (ب).
٨. البدري السيد سامي: لوحات: - (المهدي والمسيح في سلسلة الآباء ونهاية العالم) - (ميثاق النبيين): إصدار مركز تراث النجف الحضاري والديني - العراق.
٩. بسيوني، د. محروس، التعددية الدينية؛ رؤية نقدية / مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية ع ١٢ سنة ١٤٣٨هـ نسخة الكترونية موقع www.taibahu.edu.sa



١٠. البلاغي، الشيخ محمد جواد، الهدى إلى دين المصطفى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (م).
١١. البيهقي، الحافظ أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، دار الفكر بيروت (م).

### - ت، خ -

١. التويجري، حمود بن عبد الله: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض جريدة الرياض السعودية الأربعاء ١٢ المحرم ١٤٢٨هـ العدد ١٤١٠٠ / الإلكترونية قرئت بتاريخ ١٤٤١ / ١٠ / ١٣.
٢. الجزيري، عبد الرحمن بن محمد عوض، الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية، بيروت (ت).
٣. حرز الدين؛ عبد الرزاق: تاريخ النجف الأشرف (ف).
٤. الحسيني، السيد ابن طاووس: الإقبال بالأعمال الحسنة، دفتر تبليغات اسلامي، قم (ف).
٥. حسين، محمد فهد؛ النبي إبراهيم في العراق بين التوراة والقرآن: مجلة القادسية عدد ٤٣ و٤ مجلد ٤ سنة ٢٠٠٥ / الإلكترونية قرئت بتاريخ ١٤٤١ / ١٠ / ٢٥ [www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=13553](http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=13553)
٦. الحلبي، العلامة الحسن بن يوسف: تذكرة الفقهاء، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم (م).
٧. الحلبي، العلامة الحسن بن يوسف: كشف المراد في تجريد الاعتقاد، نشر جماعة المدرسين بقم.

٨. حنبل، الامام أحمد بن: مسند أحمد، دار صادر، بيروت (م).
٩. الخامنئي؛ السيد علي: الصابئة: حكمهم الشرعي وحقيقتهم الدينية، نسخة الكترونية في موقعه <https://www.leader.ir/ar/book/18/www.leader.ir>
١٠. الخوئي؛ أبو القاسم الموسوي: شرح العروة الوثقى - الزكاة - تقرير الشيخ محمد تقي البروجردي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي قم (م).
١١. الخوئي، السيد أبو القاسم: منهاج الصالحين، مؤسسة الخوئي الاسلامية.
١٢. الخيون؛ رشيد: الأديان والمذاهب بالعراق منشورات الجمل، ألمانيا/ نسخة الكترونية مصورة على الانترنت.

#### - د، ط -

١. الداوري، الشيخ مسلم: أصول علم الرجال، تقرير الشيخ محمد علي المعلم، طبع نمونه، قم.
٢. ديورانت، ول: قصة الحضارة، دار الجيل بيروت.
٣. الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، الطبعة الثالثة (م).
٤. الرضي، الشريف محمد بن الحسين الموسوي، نهج البلاغة، دار الكتاب اللبناني بيروت.
٥. الري شهري؛ المحمدي الشيخ محمد: ميزان الحكمة، مؤسسة دار الحديث، قم (م) الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت.
٦. السمعاني، منصور بن محمد المروزي: تفسير السمعاني دار الوطن، الرياض (ت).



٧. السيستاني؛ السيد علي: منهاج الصالحين (ف).
٨. السيوطي، جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر - بيروت.
٩. الشيرازي، السيد محمد مهدي: فلسفة التاريخ، نسخة الكترونية على موقع المؤلف <https://alshirazi.com/compilations/history/falsafa/file/5.htm>
١٠. الشيرازي؛ السيد محمد مهدي: الفقه، دار العلوم، بيروت.
١١. الشيرازي؛ الشيخ ناصر مكارم: الأمل في تفسير كتاب الله المنزل (م).
١٢. الصحاري؛ سلمة بن مسلم العوتبي الانساب (ف).
١٣. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه: علل الشرائع منشورات المكتبة الحيدرية، النجف (ف).
١٤. صقر، المفتي عطية: فتاوى دار الإفتاء المصرية) ت) الطباطبائي؛ السيد محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة اسماعيليان قم (ف).
١٥. الطبراني، الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع (ب).
١٦. الطبرسي: أبي علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت (م).
١٧. الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك مؤسسة الأعلمي، بيروت (م).
١٨. الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان) ت) الطبري الصغير، محمد بن جرير: دلائل الإمامة، نشر مؤسسة البعثة (ف).

١٩. الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.
٢٠. آل طوق، الشيخ أحمد: رسائل آل طوق القطيفي شركة دار المصطفى لإحياء التراث (ف).
٢١. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر: بلاغات النساء (ف).

### - ع، ك -

١. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله: تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (ت).
٢. العاملي، محمد بن الحسن الحر: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، مؤسسة الأعلمي، بيروت (ف).
٣. العاملي، محمد بن الحسن الحر: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم.
٤. العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت (م).
٥. العطاردي، الشيخ عزيز الله: مسند أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عطار، طهران (ف).
٦. علال، خالد كبير: تحريف الزرادشتيين للديانة الزرادشتية في العصر الإسلامي، نشر كي تاب K.tab.net. الكترونية.
٧. العليان، منيرة: الزرادشتية، جامعة الملك سعود كلية التربية، الرياض نسخة الكترونية.





٨. فلاحى، ياسر: منطق توحيد أم منطق شرك؟ مجلة نصوص معاصرة،  
الالكترونية قرئت بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٤٤١ <https://nosos.net/category>
٩. الفيومي، محمد إبراهيم: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر  
العربي (ت).
١٠. القمي؛ جعفر بن محمد قولويه: كامل الزيارات، مكتبة الصدوق، قم (ف).
١١. القمي، الشيخ عباس: مفاتيح الجنان مجمع إحياء الثقافة الإسلامية (ف).
١٢. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي، دار السرور، قم (ف).
١٣. الكاشاني، الشيخ محسن الفيض: الوافي، مكتبة الإمام أمير المؤمنين  
علي عليه السلام، اصفهان كاشف الغطاء، الشيخ محمد حسين: التوضيح في بيان  
حال الإنجيل والمسيح، دار الغدير بيروت (ف).
١٤. كريستنسن، آرثر: ايران في عهد الساسانيين / ترجمة يحيى  
الخشاب / دار النهضة العربية بيروت نسخة على الانترنت في موقع  
<https://ketabpedia.com/>
١٥. الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، نشر المكتبة الإسلامية، طهران (ف).
١٦. المازندراني، المولى صالح: شرح أصول الكافي دار احياء التراث العربي  
بيروت (م).

- م، ن -

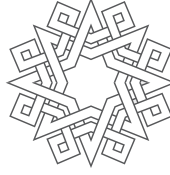
١. المجلسي؛ العلامة محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة  
الأطهار مؤسسة الوفاء بيروت (م).

٢. المجلسي، العلامة محمد باقر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الاسلامية، طهران.
٣. المسعودي، علي بن الحسين: التنبيه والاشراف، دار صعب، بيروت (م).
٤. المسيري، د عبد الوهاب: من هو اليهودي، دار الشروق، القاهرة، نسخة مصورة على الانترنت.
٥. المصطفوي؛ حسن: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارة الارشاد الاسلامي.طهران (ف).
٦. المرتضى ،علي بن الحسين الشريف: تنزيه الأنبياء، دار الأضواء، بيروت (م).
٧. المروزي السمعاني، منصور بن محمد: تفسير السمعاني، دار الوطن، الرياض (ت).
٨. مظهر، سليمان: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، نسخة مصورة على الانترنت [ebook.univeyes.com](http://ebook.univeyes.com)
٩. المقدسي؛ عبد الله بن أحمد بن قدامة: المغني، مكتبة القاهرة (ت).
١٠. المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، دار الكتب العلمية، بيروت (ف).
١١. الميانجي، علي الأحمدي: مكاتيب الرسول، دار الحديث، ق (ف).
١٢. النجمي، محمد صادق: أضواء على الصحيحين، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم (ف).
١٣. النشار؛ د.مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند افلاطون واثرها في الفلسفة



الإسلامية والغربية، روابط للنشر وتقنية المعلومات، نسخة على الانترنت.  
١٤. النويري، أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب  
والوثائق القومية، القاهرة (ت) النيشابوري، مسلم: صحيح مسلم، دار  
الفكر، لبنان (م).





## الفهرس

- ٧ ..... بين يدي القارئ
- ١١ ..... خريطة الرسل بين آدم عليه السلام والمصطفى صلى الله عليه وسلم
- ١١ ..... الأولى: التطور العقلي للبشرية
- ١٢ ..... الثانية: ماذا يعني نسخ الرسالات؟
- ١٤ ..... خريطة الأنبياء والرسل
- ٤٧ ..... النبي آدم وقصة الخليفة
- ٤٩ ..... تاريخ البشر بين رأي الديانات والعلم الحديث
- ٥٩ ..... آدم النبي رأس الخير والبركة
- ٥٩ ..... هل هناك ١٢٤ ألف نبي ورسول؟
- ٦٥ ..... هل هناك أنبياء خارج الشرق الأوسط؟
- ٦٧ ..... هل كان أرسطو نبيا؟

- ٧١ ..... الحاجة إلى الدين في عصر العلم.
- ٧٢ ..... العصر الأول: عصر الخرافة.
- ٧٣ ..... العصر الثاني: عصر الدين.
- ٧٤ ..... العصر الثالث: عصر العلم.
- ٧٩ ..... الحاجة الأولى: الحاجة المعرفية.
- ٨١ ..... الحاجة الثانية: الحاجة التشريعية والقانونية.
- ٨٥ ..... الحاجة الثالث: الحاجة النفسية والروحية.
- ٨٧ ..... عناصر مشتركة أو تعددية دينية؟
- ٨٩ ..... الفرق بين العناصر المشتركة وبين التعددية الدينية:
- ٨٩ ..... ماذا تعني (التعددية الدينية)؟
- ٩٥ ..... هل الطريق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق؟
- ١٠١ ..... بعض المشتركات بين الأديان.
- ١٠٧ ..... أبو الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام.
- ١١٠ ..... ولادة نبي الله إبراهيم.
- ١١١ ..... بعثة النبي إبراهيم.
- ١١٥ ..... إبراهيم يلقى في النار.
- ١١٦ ..... إبراهيم يغادر العراق.
- ١١٧ ..... استقرار لوط في سدوم.



- ١٢٢..... من هو الولد الذي أمر الله إبراهيم بذبحه؟
- ١٢٥ ..... صحف النبي إبراهيم وشريعته
- ١٢٧..... فماهي ملة إبراهيم؟
- ١٢٨..... ما طبيعة صحف إبراهيم؟
- ١٣١..... ما يرتبط بالعقائد في صحف إبراهيم
- ١٣٤..... قوانين الحياة في صحف إبراهيم
- ١٣٧..... المستحبات والسنن في صحف إبراهيم
- ١٣٩ ..... النبي موسى بن عمران عليه السلام حياته وعصره
- ١٤٢..... النيل مركب نجاة لموسى عليه السلام
- ١٤٣..... موسى وأحوال الإسرائيليين زمان فرعون
- ١٤٦..... وصول موسى عليه السلام إلى مدين
- ١٤٨..... حين كلم الله موسى تكليمًا
- ١٤٩..... الانحراف بعد النجاة
- ١٥١ ..... التوراة تعريفها وتحريفها
- ١٥٧..... المراحل التاريخية لتحريف التوراة
- ١٥٨..... أقسام التحريف الذي حصل للتوراة
- ١٦١ ..... العهد القديم ماذا حُرِّفَ وماذا سَلِمَ؟
- ١٦٥..... أولاً: ما يرتبط بالاعتقاد بالله تعالى

- ١٦٨..... ثانيا: ما يرتبط بالاعتقاد بالأنبياء والرسل
- ١٧٢..... ثالثا: ما يرتبط بالقيامة واليوم الآخر
- ١٧٥ ..... الموقف الإسلامي تجاه اليهود
- ١٨٢..... من أحكام التعامل الفقهي مع اليهود
- ١٨٧ ..... المسيح عيسى بن مريم حياته وعصره
- ١٨٨..... نظرة على الأوضاع إبان ولادة المسيح
- ١٩١..... ملاحظتان في ولادة المسيح:
- ١٩٧ ..... الإنجيل في المسيحية وعقائدها
- ٢٠٥..... بولس الطرسوسي ودوره في المسيحية:
- ٢٠٦..... ١. بُنوة عيسى بن مريم لله -تعالى الله عن ذلك-:
- ٢٠٦..... ٢. عقيدة الخطيئة والخلاص:
- ٢٠٨..... ٣. عقيدة الثلث:
- ٢١١ ..... الفرق المسيحية والموقف الإسلامي منها
- ٢١٤..... الكاثوليك
- ٢١٥..... البروتستانت
- ٢١٨..... الأرثوذكس
- ٢١٨..... المسيحيون دعاء سلام؟!:
- ٢٢٣ ..... سيد المرسلين محمد المصطفى ومراحل حياته المباركة





- من الولادة للبعثة: ٢٢٥.....
- المرحلة الثانية: وهي فترة البعثة إلى بداية الهجرة. ٢٢٩.....
- المرحلة الثالثة: الهجرة للمدينة. ٢٣٠.....
- دين الإسلام رؤية من الداخل ٢٣٣.....
- التعارض بين الدنيا والآخرة. ٢٣٤.....
- هل نقدم مصلحة الفرد أو مصلحة المجتمع ٢٣٤.....
- مثلث العقيدة والشريعة والأخلاق ٢٣٧.....
- الإسلام من الخارج جغرافية الأمة وتاريخ المذاهب ٢٤٣.....
- المدارس الكلامية في المسلمين: ٢٤٧.....
- الانقسام في المذهب الفقهي ٢٤٩.....
- النبي الشهيد يحيى بن زكريا عليه السلام ٢٥٣.....
- وراثته يحيى لأبيه زكريا عليه السلام ٢٥٤.....
- من صفات النبي يحيى عليه السلام ٢٥٦.....
- شهادة يحيى بن زكريا عليه السلام ٢٦١.....
- الصابئة عقائدهم والموقف الإسلامي منها ٢٦٣.....
- العقائد الأساسية للصابئة ٢٦٩.....
- الموقف الإسلامي من الصابئة ٢٧١.....
- المجوس هل هم أهل كتاب سماوي؟ ٢٧٧.....

- ٢٧٨..... عقائد الزرادشتيين الموجودة للآن
- ٢٨٣..... بدء تناسل البشرية:
- ٢٨٩..... بوذا..هل هو نبي؟
- ٢٩٢..... من هو (بوذا):
- ٢٩٤..... لا توحيد ولا معاد في ديانة (بوذا)!!
- ٢٩٧..... أحكام التعامل مع البوذيين:
- ٢٩٩..... معاملة البوذيين للمسلمين:
- ٣٠٣..... الهندوسية: التناسخ ووحدة الوجود والتثليث
- ٣٠٥..... الفكرة الثانية: ما يرتبطُ بالخالق
- ٣٠٧..... الفكرة الثانية: الاعتقاد بوحدة الوجود
- ٣٠٩..... الفكرة الثالثة: الاعتقاد بالتناسخ
- ٣١٠..... الفكرة الرابعة: نزول الإله من السماء
- ٣١٠..... الفكرة الخامسة: التنظيم الاجتماعي الطبقي الظالم
- ٣١١..... الفكرة السادسة: قيمة المرأة
- ٣١٢..... انقسام السيخ عن الهندوس:
- ٣١٥..... ملحق ١
- رسالة المرحوم العلامة السيد عبد الستار الحسني طاب ثراه إلى مؤلف الكتاب



ملحق ٢ ..... ٣١٩

هل خرجت النبوة من نسل يوسف؟ ..... ٣١٩

ملحق ٣ ..... ٣٢٥

إعراب كلمة (والصابئون) في الآية المباركة: ..... ٣٢٥

كلمة شكر ..... ٣٢٩

المصادر ..... ٣٣١



## قنوات التواصل مع الشيخ

الايمل	fawzialsaif@gmail.com
الموقع الالكتروني	www.al-saif.net
قناة اليوتيوب	m.youtube.com/user/Fawzialsaif
تطبيق آيفون	bit.ly/alsaiapp
تطبيق أندرويد	bit.ly/1zPHwFh
قناة التلغرام	bit.ly/1M8Lzhk
المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس	goo.gl/VMmT7X
روابط المقاطع القصيرة	goo.gl/XkTvmj
قناة الساوند كلاود	m.soundcloud.com/fawzialsaif
تطبيق الكتب اندرويد	play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaif.books
ايفون وايباد	appsto.re/us/_ptClb.i
الموقع الرديف	al-saif.app
الانستغرام	instagram.com/fawzialsaif_ shortclips?igshid=195mov23vh9mx
قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون	apple.co/31oqGiO